كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى

نائب رئيس مجلس الوزراء للخدمات

ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء

يسعدنى أن أفتتح هذا المهرجان اللغوى العالمى للاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وأن ألتقى بأعلام اللغة والعلم ، والأدب والفن ، من أعضاء المجمع المصريين ، وزملائهم من أبناء الأمة العربية والمستشرقين ، ومن رؤساء المجامع والجامعات والهيئات العلمية والثقافية ، وممثليها من أنحاء العالم فى الشرق والغرب.

كما يسعدنى أن أوجه إليهم تحية التقدير والترحيب والشكر ، على سعيهم النبيل ، للاحتفال بهذه المناسبة الكريمة .

أيها الأساتذة الأجلاء :

إذا كانت اللغة هى الوسيلة المثلى ، للتعبير عن شعور الإنسان وفكره، وتحقيق التفاهم بين الأفراد والجماعات ، وتوثيق الصلة بين ماضى البشرية وحاضرها ومستقبلها وإذا كانت لغتنا العربية قد اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة قرآنه الحكيم ، فنالت أعظم تشريف وتكريم ، وإذا كان مجمعنا هذا معقل هذه اللغة الشريفة ، فإن ذلك يكسب هذا الاحتفال قيمة سامية مجيدة ، ويجعلنا نعتز بهذا المعقل اللغوى العظيم نهيئ له ما يزيد من طاقاته الخلاقة ، لكى يواصل رسالته الجليلة ، فى أوسع المجالات وأرفع المستويات .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى الجلسة الإفتتاحية للاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع فى يوم الاثنين ٢٠ فبراير ١٩٨٤ م

أيها الأساتذة الأجلاء :

لقد كان للغتنا العربية التفوق والريادة على مدى عدة قرون ، ظلت فيها حضارتنا العربية الإسلامية مصدرا للحضارة فى العلوم والفنون والآداب ، وكانت البعوث تتوافد من الخارج لتتلقى المعرفة فى معاهدنا ، حتى قامت النهضة الأوربية مستفيدة من حضارتنا ، ومازالت بعض المصطلحات والألفاظ العربية مستعملة فى اللغات الأوربية شاهدا بما كان للغتنا وحضارتنا من آثار عظيمة فى الحضارة الإنسانية ، تلك الآثار التى اعترف بها كبار المؤرخين والمفكرين العالميين .

هكذا عاشت لغتنا العربية فى ازدهار وانتشار ، طوال مسيرتها الحضارية على مدى زمانى امتد عدة قرون ، وعلى مدى مكانى امتد إلى كثير من بلدان العالم .

ولكن هذا الازدهار الحضارى لم يستمر حين تعرض أهله للفرقة وواجهوا الغزو ، مما استنفد طاقاتهم ، وأخذت اللغات الأجنبية تقتحم مجتمعنا وتتسرب إلى لغتنا العربية

وحين تحررت بلادنا من قيود الاحتلال ونهضت ، أخذت لغتنا تزدهر مرة أخرى وتسعى لتلحق بالركب العلمى الحضارى وحققت انتصارات أكدت مكانتها على المستوى العالمى ، فصارت واحدة من اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، وصارت تسمع بالتقدير فى المحافل والمؤتمرات التى تعقد فى أرجاء العالم . وقد أخذت الدول الإسلامية فى أفريقيا وآسيا ، وغيرهما تحرص على تعليم لغتنا العربية إلى جانب لغاتها القومية .

ولايفوتنى التنويه بما يلقاه إنتاجنا الأدبى والعلمى من إقبال يتزايد فى كثير من الدول المتقدمة ، بترجمة روائعه الأدبية والعرفان لما يضيفه الفكر العربى إلى رصيد العلم فى العالم .

أيها الأساتذه الأجلاء :

لقد أخذت لغتنا العربية تتقدم بخطى واثقة ، لتستعيد مكانتها بين لغات العالم المتحضر ولا يسعنى فى هذا المقام ، ونحن نحتفل بالعيد الذهبى للمجمع اللغوى ، إلا أن أشيد بإنجازاته الكبيرة ، من معجمات لغوية كمعجم ألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الكبير والمعجمين الوسيط والوجيز ، ومن معجمات علمية متخصصة ، فى الجيولوجيا والفيزيقا والفلسفة ، والجغرافيا ، وما هو وشيك الصدور من المعجمات فى البيولوجيا والطب والكيمياء والصيدلة ، والأحياء والزراعة وغير ذلك من العلوم .

ولا ريب أن إخراج هذه المعجمات العلمية المتخصصة – بما تحتويه من عشرات الألوف من المصطلحات – سيتيح لأمتنا العربية توحيد المصطلح العلمى العربى ،وييسر لها تحقيق حلمها الكبير فى تعريب الدراسات العلمية من التعليم الجامعى .

كما لا يسعنى كذلك إلا الإشادة بإنجازات المجمع فى مجال ألفاظ الحضارة،ومصطلحات الفنون ، وفى تيسير تعليم النحو العربى وتيسير الكتابة العربية ، وتصويب الألفاظ والأساليب ، ودراسة لهجاتنا القديمة والحديثة ولغة العلم والإعلام العربى ، والعناية بنشر تراثنا اللغوى وتشجيع إنتاجنا الأدبى وإعـداد البحوث فى قضايا اللغة والأدب والفكر .

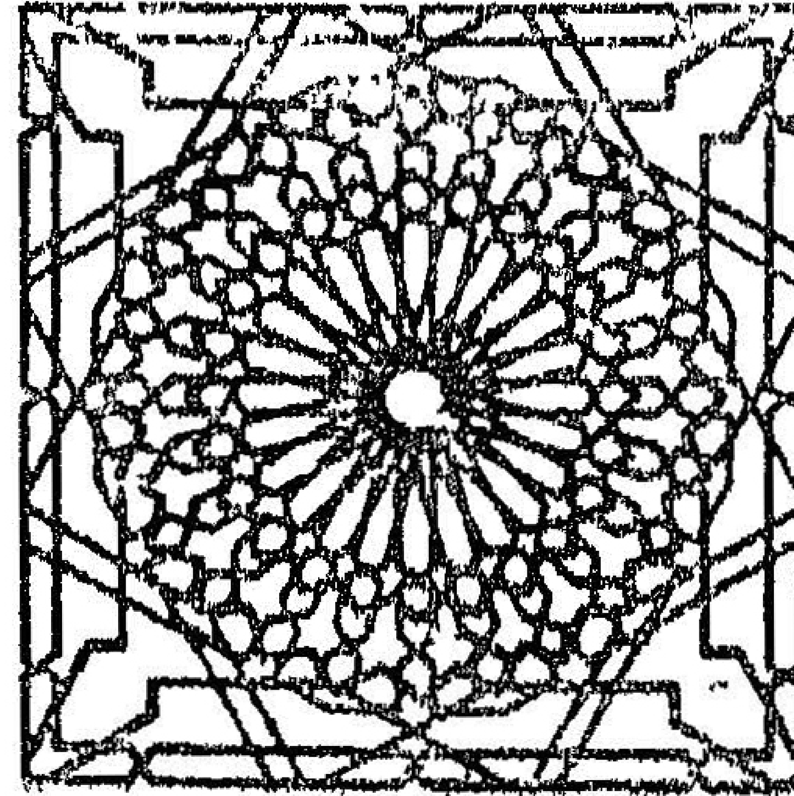
أيها الأساتذة الأجلاء :

كل هذا يشهد لأعضاء هذا المجمع الجليل بأنهم أمناء على لغتنا العربية ، وبأنهم قادرون على تحقيق آمالنا فى أن تؤكد لغتنا مكانتها المرموقة ، بين اللغات العالمية الكبرى

فتهنئة لكم بعيدكم الذهبي ، وشكرا متجددا لضيوفنا العلماء الأعلام ، ودعاء خالصا لله تعالى بأن يظل المجمع منارة للغتنا الخالدة وأمينا على خدمة أمتنا العربية المجيدة .

والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته



كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور
رئيس المجمع

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم والبحث العلمى .

السادة الزملاء الكرام .

سيداتى ، سادتى

إنى أضم صوتى إلى صوت السيد النائب فى الترحيب بالضيوف الكرام ، وشكرهم على إسهامهم معنا فى الاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع لغة القرآن .. وكنا ولا نزال نعول على مشاركتهم ، ونعتد بعطائهم .

ولست فى حاجة أن أقول: إن العربية سبقت اللغات الأوربية الكبرى فى عالميتها ، فقد كانت لغة العلم الأولى فى العالم بأسره طوال عدة قرون ، من القرن التاسع الميلادى إلى القرن الثالث عشر . وعنها أخذت السريانية والعبرية والأردية شرقاً . وأفادت منها اللاتينية غرباً . وهى التى وجهت نظر اللاتين إلى البحث عن الثقافة اليونانية والفارسية والهندية ، وقد كانوا لا يعرفون منها إلا قشورا .

وأصبح من المسلم به اليوم أن النهضة الأوربية الحديثة مدينة للعربية فى وعيها ويقظتها ، فى علومها وفنونها . وإذا كان البحث العلمى العربى قد توقف زمنا ، فما أجدره أن يستعيد نشاطه ، ويسترد مكانته ، وهاهى ذى العربية تأخذ مكانها فى المحافل الدولية إلى جانب اللغات العالمية الكبرى ، وكم أثير فى طريقها من صعوبات واعتراضات ، وأحرص على أن أقرر أن مجمعكم هذا قد رد عليها جميعها ، وذللها بمحرريه ومختزليه .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى الجلسة الافتتاحية للعيد الخمسينى للمجمع .

سيداتى ، سادتى :

إن خمسين عاما حقبة قصيرة فى تاريخ المجامع اللغوية والعلمية . ومع هذا يستطيع مجمعكم أن يباهى بما تم به من طابع عالمى ، وما قام عليه من أساس موضوعى . صوب فيه إلى خدمة العربية فى ذاتها على أيدى من يحسن خدمتها دون تفرقة بين جنس أو وطن ، وهذا اتجاه فريد فى بابه بين المجامع اللغوية على اختلافها . تكون فى البداية من عشرين عضوا نصفهم من المصريين . والنصف الآخر من العرب المستعربين . التقوا جميعاً على مائدة اللغة العربية . وتفانوا فى خدمتها . فكانوا يجتمعون مرة كل عام ، ولمدة شهر ونصف تقريباً ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . وما أشبه لقاءهم هذا بندوة علمية دولية يربط أفرادها غرض واحد ، وتجمع بينها غاية مشتركة والأخوة فى العلم قد لا تقل عن الأخوة فى النسب أو فى الوطن . ولم يفرق شمل هذا المجمع الكريم إلا الحرب العالمية الثانية التى باعدت زمنا بين الأعضاء المصريين وزملائهم من العرب والمستعربين . ثم التأم الشمل مرة أخرى ولا تزال الحرب قائمة ، وعاد منهم من عاد إلى خدمة اللغـــة . وأذكر أنى رأيت واحدا منهم فى زيه العسكرى ، ولم يمنعه واجبه الوطنى من أن يؤدى رسالة العلم والمعرفة . وقد احتفظ هؤلاء العرب والمستعربون بعضويتهم إلى أن لقوا ربهم ، وتفانوا فى خدمة اللغة العربية ما وسعهم ، ولا أدل على هذه الأخوة العلمية الصادقة من أن المجمعيين جميعاً التقوا على أن يكلوا إلى مستشرق ألمانى من بينهم إخراج معجم عربى تاريخى ، وهذا المستشرق هو فيشر الذى أمضى من قبل نحو ٥٠ عاما فى جمع النصوص العربية القديمة ، وتخصص تماما فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام . وكم وددنا أن لو تابع مهمته حتى النهاية ، ووضع المجمع تحت تصرفه كل ما هو فى حاجة إليه من مراجع ، ومساعدين ولكن الحرب اعترضت طريقه ، ثم حال قصر الأجل دونه وإتمام ما تعاقد عليه .

ومن حسن حظ مجمعنا أن تواردت عليه أفواج من صفوة الصفوة ، وشيوخ الأدب واللغة وكبار العلماء والمتخصصين وأئمة الفقه والقانون وقد أرخنا لهم فى كتاب ظهر منذ عشرين عاما بعنوان «المجمعيون فى ثلاثين عاما» ، ونعد كتابا آخر للمجمعين فى خمسين عاما . ومن حقهم علينا أن ننوه بهم فى عيدنا هـــذا وأن نسجل اعترافنا بجميلهم ، فقد عززوا المجمع بماضيهم ومجدهم ، وأثروه بعلمهم وبحثهم . ويطول بى الحديث إن وقفت فقط عند من لقى ربه منهم ، وفى ذكر أسمائهم ما يغنى عن التعريف بهم . ومن ذا الذى يجهل فى فوج المؤسسين الخضر حسين ، وحسين والى ، وإبراهيم حمروش بين الأزهريين ، أو الإسكندرى والعوامرى والجارم بين شيوخ

دار العلوم : أو الأب انستاس الكرملي بين العراقيين أوكرد على بين السوريين ، أو حسنى عبد الوهاب بين التونسيين وفى الفوج الثانى ، وعدته عشرة من المصريين، أئمة وأعلام لقوا ربهم بعد أن خدموا أمتهم ولغتهم . وعلى رأسهم مصطفى المراغى ، ومصطفى عبد الرازق بين الأزهريين ، ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى بين رجال القانون ، وعلى إبراهيم بين الأطباء ، وهيكل ، وطه حسين ، والعقاد ، وأحمد أمين بين كبار الكتاب والباحثين.وفى الفوج الثالث ، عدته عشرة آخرون مصريون ، أشباه وأفزاز، أمثال السنهورى بين القانونيين ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب خلاف من مدرسة القضاء ، وزكى المهندس من دار العلوم ، وأحمد زكى ، و مصطفى نظيف ، ومحمد شرف بين العلماء والأطباء وتلا هذا ١٥ عضوا وهو فوج رابع بين مصريين وعرب رحم الله من رحل منهم وأطال فى أجل الباقين. وأذكر من بين الراحلين رضا الشبيبى شيخ العراقيين ، وقدرى طوقان عالم الأردن . وأنيس المقدسى أستاذ الأدب اللبنانى ، والبشير الإبراهيمى من رجال الصحوة الأولى فى الجزائر ، والفاضل بن عاشور مفتى تونس .

أفواج أربعة تعاقبت وكلها بالتعيين ، وعدتها ٥٥ عضوا : وانضم إليهم ما يزيد عن ٧٠ عضوا اختارهم المجمعيون بأنفسهم . والأصل أن تتولى الحكومة التعيين فى الكراسى الجديدة ، ثم تترك للمجمعيين أن يستكملوا أعضاءهم بأنفسهم ، ولهم دورة انتخابية مرة كل عام .

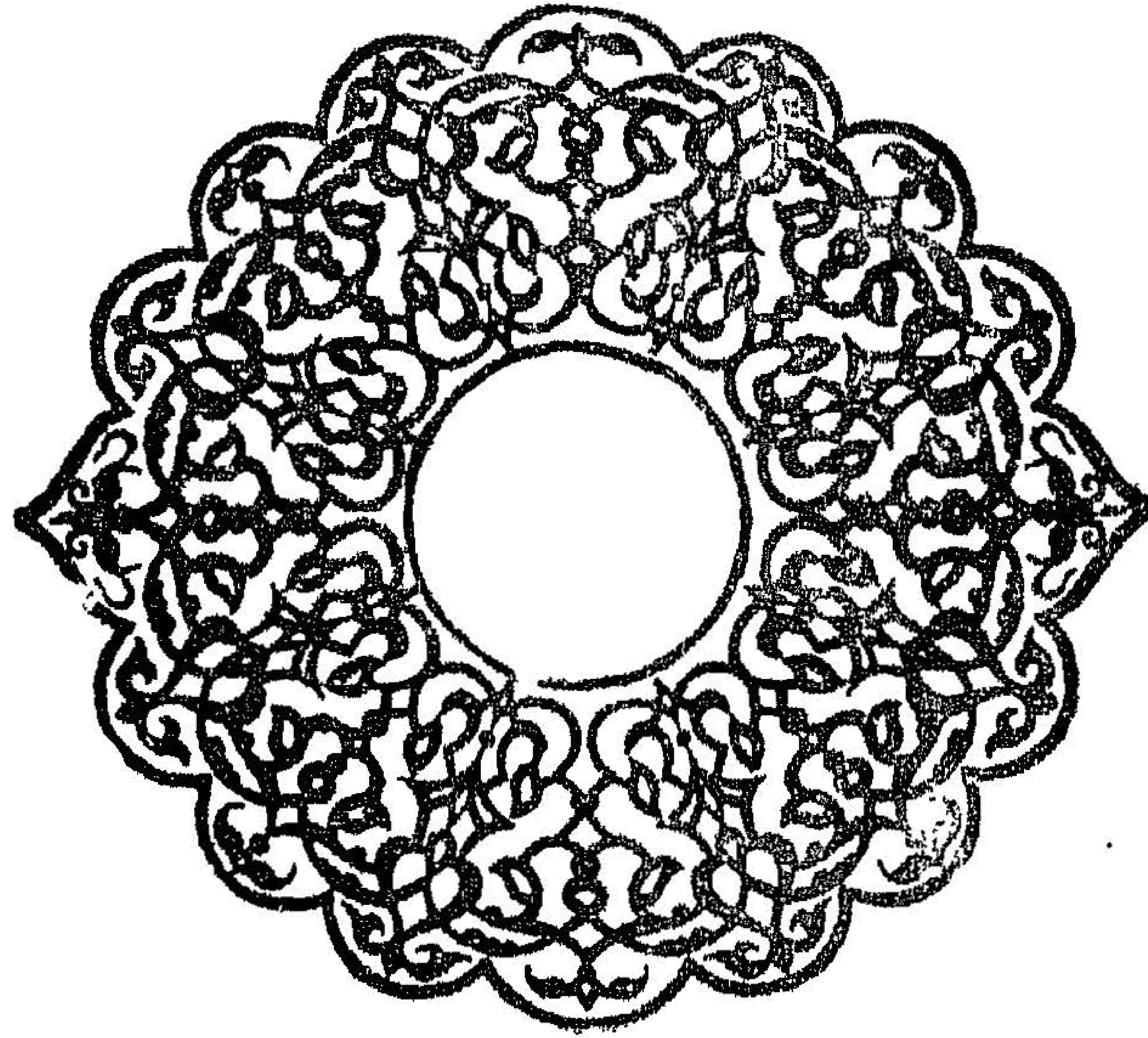
وقد زودوا المجمع بزاد وفير لانذكر منه إلا بعض من لقوا ربهم ، أمثال : عبد الحميد بدوى ، وعلى بدوى ، ومصطفى القونى بين القانونيين ، وعبد الرحمن تاج ، ومحمد على النجار ، محيى الدين عبد الحميد بين الأزهريين ، وشفيق غربال ، ومحمد رفعت وعبد الحميد العبادى ، وأحمد بدوى بين المؤرخين ومحمد عوض ومحمد الصياد بين الجغرافيين ،وعلى توفيق شوشه ، ومحمد كامل حسين، وأحمد عمار بين الأطباء ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الحميد حسن وحامد عبد القادر ، ومحمد خلف الله من أبناء دار العلوم وأنطون الجميل ، وتوفيق دياب والمازنى ، وأحمد حسن الزيات من الصحفيين . ومحمود تيمور شيخ القصصيين ، وعزيز أباظة الأمير الشانى للشعراء تغمدهم الله جميعاً برحمته ، ومعذرة إن كان فاتنى ذكر بعضهم . وآمل أن يسجلوا جميعاً بالمجمع فى سجل شرف يليق بهم

* * *

على أن سجلهم الحقيقي في محاضر المجلس والمؤتمر ، وفي مجلة المجمع ومطبوعاته ؛ وفيما أبدوه من آراء ومقترحات ، وفيما انتهوا إليه من قرارات وتوصيات ؛ وما قعدوا من أصول فبرهنوا على حيوية العربية ومرونتها ، وقدرتها على مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا . فأجازوا الاشتقاق من الجامد وكان ممنوعاً ، وترسعوا في المصدر الصناعي وما أكثر استعماله في أسماء المذاهب والمدارس الفكرية واستحدثوا صيغاً للدلالة على الآلة والمكان والزمان ، وسلموا بجواز النسب إلى الجمع كما ينسب إلى الفرد . وأقروا ألفاظاً واستعمالات حديثة كنا نتردد بالأمس في قبولها ولا أزال أذكر ملاحظة للمرحوم السنهوري عندما قال يوما : يكفي المجمعيين فخرا أنهم أدخلوا كلمة أوبرا في معجمهم الوسيط وللمجمع مؤلفات متلاحقة تثبت ما قرر من أصول جديدة ، وما قبله من ألفاظ وأساليب مستحدثة .

سيداتي ، سادتي :

شكرا لكم على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :



كلمة المجامع اللغوية
للدكتور حسنى سبح رئيس المجمع السورى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الدولة لشئون التعليم والبحث العلمى : الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية فى القاهرة السادة الزملاء الأماثل أعضاء مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيها السادة والسيدات .

إنه يسعدنى ويشرفنى أن أقف أمامكم ، لألقى كلمة مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية فى القاهرة، يسعدنى أن أنقل إلى السادة الأعلام فيه ، مع التهنئة الخاصة تحيات زملاء لهم فى المجامع العربية الثلاثة من الشام إلى العراق فالأردن عن مدى اعتزاز الجميع واغتباطهم بما وفق إلى انجازه مجمعكم الموقر . طوال هذه السنين الخمسين من عمره المديد إن شاء الله، من منجزات باهرة ، وما قام فيها من أعمال جليلة ، وما خطا خلالها من خطى سديدة ، حرى بها التقدير والإعجاب ، وذلك فى سبيل إعلاء شأن لغتنا المقدسة لغة التنزيل العزيز لجعلها لغة عصرية قلبا وقالبا تفى بأداء حاجات الزمن الذى نعيشه وتساير ركب الحضارة الماضى بخطى حثيثة ، زاده الله توفيقا وأمده بعونه ، وولى وجهتنا نحو كل مافيه خير الإسلام والعروبة وبعد فإنا ونحن نحتفى اليوم جميعا بمرور خمسين عاما على قيام هذا الصرح المجيد من صروح العروبة ونذكر مآثر مؤسسيه الأوائل تغمدهم الله برحمته وسائر من تعاقبوا على العضوية فيه ، فنستمد من هديهم هديا يضئ لنا مجاهل الطريق ومن ذكر عزماتهم عزما يعيننا على المضى فيه .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى الجلسة الافتتاحية للعيد الخمسينى للمجمع .

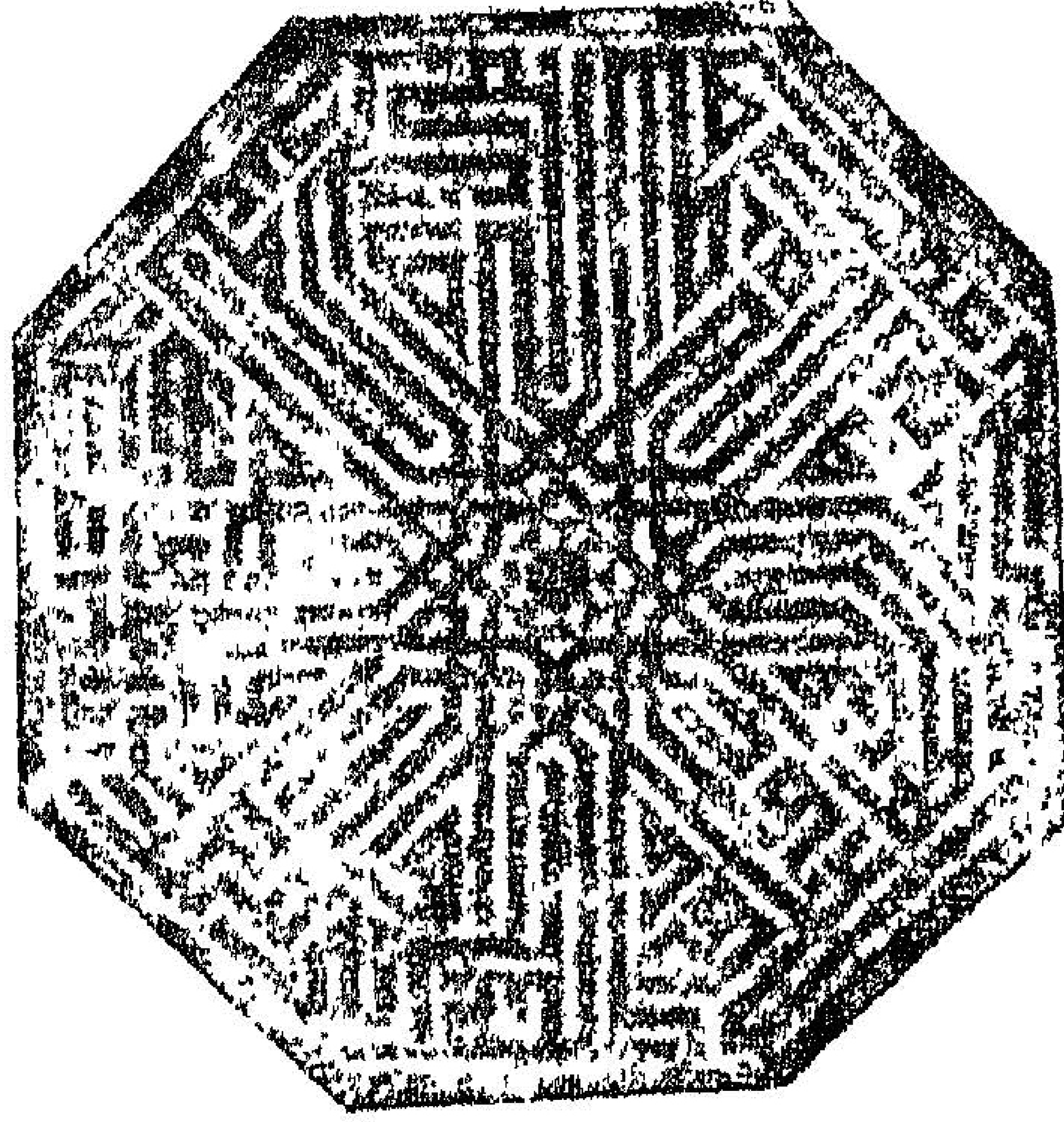
لقد كان مجمعا دمشق والقاهرة ولايزالان شقيقين يعملان لغاية واحدة ، وكان قيامهما تعبيرا عن إرادة هذه الأمة فى حياطة لغتها التى هى أشرف ما نطق به البشر ، وحضارتها التى هى أكرم حضارة عرفها بنو الإنسان وتهيئة أسباب النماء لها .

ولئن سبق مجمع دمشق فى الظهور أخاه ببضع عشرة سنة لقد كان مما ساعد على قيامه مالقيه مؤسسه الأستاذ محمد كرد على من تشجيع وعون من أكابر أصحابه فى مصر ، من مهدوا لقيام مجمع القاهرة أيضا ومنهم أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا وغيرهما رحمهم الله . حتى إذا قام مجمع القاهرة ، اختير بين مؤسسيه رئيس مجمع دمشق الأستاذ محمد كرد على وعضوية الشيخ عبد القادر المغربى والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف أيضا ، ثم لم يفتر التعاون بين المجمعين قط حتى إذا كانت سنة ١٩٥٨ وانتصرت إرادة الأمة فى جمع القطرين الشقيقين مصر والشام فى وحدة سياسية اندمج المجمعان فى مجمع واحد ذى فرعين تدار شؤونهما بموجب القرار الجمهورى ١١٤٤ تاريخ ١٩٦٠ واستبدل مجمع دمشق لذلك اسم مجمع اللغة العربية باسمه الأول المجمع العلمى العربى ، حتى إذا شاء القدر أن تتصدع الوحدة السياسية عز على مجمع دمشق أن يتخلى عن اسمه الجديد وظل يعمل بموجب القرار المتقدم ذكره ثم كان أن اقترح مجمع دمشق سنة ١٩٦٩ وهو يحتفل بعيده الخمسينى قيام اتحاد يضم المجامع العربية الثلاثة القائمة إذ ذاك فلبى الدعوة مجمعا القاهرة وبغداد وتم الاتحاد بين المجامع الثلاثة ، ثم انضم إليه مجمع الأردن أيضا ، وإنا لننتظر اليوم الذى تقوم فيه دولة العرب الواحدة التى تضم كل أقطارهم ويكون لها مجمعها الواحد الذى تندمج فيه كل هذه المجامع وإنه لآت بإذن الله ومشيئته .

ولايسعنى الا أن أذكر بالإكبار الخطة الرشيدة التى اختطها مؤسسو هذا المجمع لتحقيق غايته النبيلة ، والأعمال الجليلة التى قام بها أعضاؤه ولجانه على مدى خمسين عاما من تأصيل أصول ، وتحرير قواعد ، ووضع مصطلحات فى شتى العلوم والفنون ، إلى ماقاموا به أيضا من إحياء طائفة من آثار السلف ووضع (معجم ألفاظ القرآن الكريم) ، (المعجم الوسيط) و (المعجم الوجيز) وغيره وعملهم الدائب فى إعداد (المعجم الكبير) .

وقد كان من تمام خطة هذا المجمع الرشيدة مؤتمره السنوى الذى يعقد فى مثل هذه الأيام من كل سنة ويضم أعضاءه العاملـين والمراسلين ومن اختارهم لعضويته من الأقطار العربية ، للنظر فيما تدارسته لجانه ومجلسه من مسائل وما اتخذته من قرارات ، ليؤخذ منها بما هو أحرى بالصواب .

وبعد ، فلئن من حق أرض الكنانة — حرسها الله — أن تفخر بجامعها الأزهر الذى مايزال من نحو أحد عشر قرنا القيم الأمين على مواريث العربية والإسلام ، إنه من حقها أيضا أن تفخر بهذا المجمع الأزهر الذى نرجو أن تعود جهوده على هذه الأمة بالخير العميم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :



لغة القرآن والحضارة والحياة

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

١ – شعشعت كأسُها أورف الضياءُ وعلاها ، إمن سَنا السنا لألاءُ
٢ – وصفا ماؤها كما شف ماس ألقت فى الضحى عليه (ذُكاءُ)
٣ – لذة الطعم . . ما الشهاد لديها ؟ ما رضاب العذراء ؟ ما الصهباءُ ؟
٤ – كل لطف مفرق فى سواها هو فيها ، وكل حسن رواءُ
٥ – مثل وشى الربيع . . زانت يد الله (م) حلاه ، وأبدعت ما تشاءُ
٦ – وجنى النحل . . فيه من كل زهر ما حباه الربيع والأنداءُ
٧ – طاب فى الذوق واستلذ ، وصارت منه للناس نعمة وشفاءُ
٨ – فيه من نشوة الشمول ، ولكن لا يصيب العقول منه بساءُ

٩ – لغة ؟ أم مزاهر ؟ أم مناجا ة عذارى فواتن ؟ أم غناءُ ؟
١٠ – يبهج السمع ، إذ تنغم ، والقلـ ـب سرورًا ، وتنتشى الأعضاءُ
١١ – قاد جرس الألفاظ فيها المعانى وتجارى إيقاعها والأداءُ
١٢ – عاطها حسنك اللطيف ومعنا ك ، بما نحلك لفظها ما تشاءُ

(*) ألقيت القصيدة فى جلسة افتتاح الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

(١) شعشع الضوء : انتشر خفيفا . (٢) ذكاء : الشمس .

(٣) الشهاد : جمع الشهد ، وهو العسل – الصهباء : الخمر .

(٨) النشوة : أول السكر – الشمول : الخمر . – الباء : الأسر .

١٣ – من دراري السماء لوناً ولمحاً ... تتلألأ من ضوئهن السماءُ
١٤ – أو الألى (الخليج) : تزدهر اللبـ ... ـات من لصفهاءَ، ويغلو الرواءُ
١٥ – أو نبات الربيع : تبهى به الأر ... ض وجوهاً، وتزهر الأناءُ
١٦ – في شذا الورد : هاج في نفس الصبـ ... ـح، فماجت من فوحه الأرجاءُ

* * *

١٧ – هي (ليلاي) في الليالي، وتربي ... للبالية (ليليات) ظباءُ
١٨ – يتملى – ملاوة – من نعيم ... خالط المر حلوه والعناءُ
١٩ – ونعيمي في حب (ليلاي) أسمى ... ما تنيل العلاقة العصماءُ
٢٠ – طرب دائم، ووصل مقيم، ... والتذاذات خافق، وارتواءُ
٢١ – و (لليلى) عهد مع العمر باق ... والغواني عهودهن هواءُ
٢٢ – شهوات النفوس مختلفات ... تتجارى ما بينهما الأهواءُ
٢٣ – لا يلمني اللوام إن جهلوني ... كل نفس لها هوى وصباءُ
٢٤ – اصطفاني لها الذي نوع الخـ ... ـلق، وأعلى من شأني الاصطفاءُ
٢٥ – قد تعلقت منه صباي بـ (ليلا ... ى)، وصح الهوى، ودام الولاءُ
٢٦ – دون عشرين والصبا في عرام ... وهواها من صبوتي والغلاءُ
٢٧ – كل شيء سلوت، إلّا هواها ... وهواها له فؤادي وقاءُ!
٢٨ – كيف أسلو هوى به أنا أحيا ... وانتشائي من سحره والفتاءُ؟
٢٩ – الثمانون .. قد أراها استقام الـ ... ـعمر فيها من وصلها، والصفاءُ
٣٠ – ربما .. والفتى رهين الليالي ... والليالي من فوقهن القضاءُ

* * *

(١٤) الخليج العربي : هو مأوى اللؤلؤ. – اللبة : موضع القلادة من العنق – الرواء : حسن النظر في البهاء والجمال.
(١٥) تبهى : تحسن وتجمل. (١٧) الترب : المماثل.
(١٨) الملاوة : مدة العيش، وتملى الحبيب : عاش معه ملاءة من السن.
(٢٠) الخافق : القلب. وهره وتمتع به.
(٢٣) الصباء : الحنين والميل.
(٢٦) العرام : الشراسة والاشتداد – الغلاء : المقالاة.
(٢٨) الفتاء : الفتوة.

٣١ – نعر الناعقون . لكن إليهم وحدهم أعاد ما فروا وأساءوا

٣٢ – هي في أفقها الرفيع ، وهم في غائط الأرض ركع وقماء

٣٣ – خل عنك العلوج إن قرقروها وفروخا هزلى علاها الصاء

٣٤ – خلهم عنك قرقروا أو أصاتوا ، أي حسناء ما لها أعداء ؟

٣٥ – الشناءات دينهم ، والجفاة هواهم ، والسوأة السوءاء

٣٦ – جهلوها ، وهم مراض قلوب نخر الحقد لهم والداء

٣٧ – ثم داءان . . ما أرى لهما الدهر دواء يشفي ، فكل عياء

٣٨ – ومن الجهل للنفوس اغتيال . ومن الداء هلكة وفناء

٣٩ – كبرت أن ينالها منهما اللغو ، دعيت بضيمها اللؤماء

٤٠ – ما لذي القبح يستطار من الحسن ؟ وماذا أرابت الحسناء ؟

٤١ – انقلاب الزمان . . أعرى الزرازير ، فصالوا ، واستوقح الأدعياء

٤٢ – وأرانا الجعلان قد ذمت الورد ، وعابت فراشة خنفساء

٤٣ – طفح الكيل ، فالمهارق سود من قحات ، وحشوهن بذاء

٤٤ – فلم البغض ، وهي للخلق نور يتعالى ، وللحياة ضياء

* * *

٤٥ – لغة المرء ذاته . . إن تهن هان وأضوى ، وزلت الكبرياء

٤٦ – الحفاظ الحفاظ . . يغلي به الصدر ، وتحمي ببأسه الحوباء

٤٧ – وأصول الأرحام ، والوطن الغالي المفدى ، والعزة القعساء

---

(٣٢) قماء : أذلاء صغار حقراء . (٣٣) قرقروها : عابوها . – الصاء : القذى الذي يخرج عقب الولادة .

(٣٤) أصاتوا : صاحوا .

(٣٥) الشناءة : أشد البغض . – السوأة السوءاء : الخلة القبيحة ، وكل كلمة قبيحة أو فعله قبيحة فهي سوءاء .

(٣٧) داء عياء : شديد لا برء منه . (٤٠) يستطار : يذعر ويفزع .

(٤٢) الجعلان : جمع الجعل . وهو حيوان كالخنفساء، يكون في مراح البقر ونحوها وفي مواضع الروث يموت من ريح الورد ، فاذا أعيد إلى الروث عاش (حياة الحيوان) .

(٤٣) المهارق : الصحائف البيض .

(٤٦) الحوباء : النفس . (٤٧) القعساء : المنيعة الثابتة .

٤٨ـ لا يمارى إلّا جهول . . تساوت في غباه اللسناءُ والبكماءُ
٤٩ـ ودعى مزنم متغاض عنده دعوة الحفاظ هراءُ
٥٠ـ ليس يعنيه ما يصان ويرعى أعدو يغوله، أم بلاءُ
٥١ـ كثر العائثون فيها فسادًا وغلا بادعائها الجهلاءُ
٥٢ـ ما لهم ، إن مخضتهم فى امتحان (ألف) من فنونها أو (باءُ)
٥٣ـ هم عليها ، ولست أغلو بحكم شهد (الله) ذو الجلال ، وباءُ
٥٤ـ يرسمون الحدود جهلًا كما يحـ ـلى هواهمُ وتشتهى الخيلاءُ
٥٥ـ خبط عشواء فى الظلام . . تلوى دربها ، واستخفت به الأصواءُ
٥٦ـ يعلق الشوك جسمها فيدمى أو تردى فى هوة فتساءُ
٥٧ـ رب غاوٍ منهم قتيل غرور عنده اللحن والصواب سواءُ
٥٨ـ أعرج النطق ، أعمش الفكر.. ماذا من رزاياه يصلح الرفاءُ
٥٩ـ ولكم مدع حفاظًا عليها ، وعليها من ضيمه ضراءُ
٦٠ـ وعليها ؛ والحكم لله فيها ، أبدا منه غارة شعواءُ
٦١ـ عجب عاجب .. صحيحة عين تتولى قيادها عمياءُ !
٦٢ـ ومعًا فى الرجلين . . جاء يداو يه خبالًا من رجله عرجاءُ
٦٣ـ وعدو مكاشح . . يظهر الحـ ـب رياءً ، وفى الضمير العداءُ
٦٤ـ لست أدرى ، وعل غيرى يدرى فيم هذى الجهالة الرعناءُ ؟
٦٥ـ ومتى ترعوى السفاهة عن غى وطيش ، وينتهى السفهاءُ ؟
٦٦ـ ومتى تجدع الأنوف ، وتلقى فى الكناسات هذه الأقذاءُ ؟

---

(٤٨) يمارى : يجادل . — اللسناء : الفصيحة البليغة . — غباه : غباوته .
(٤٩) الدعى : المتهم فى نسبه . — المزنم : المقطوع من أذنه هنة فتركت معلقة .
(٥٥) يخبط خبط عشواء : يخطى ويصيب كالناقة التى يعينها سواء إذا حبطت بيدها. الأصوء:جمع صوى، وهى ما ينصب من الحجارة ليستدل به على الطريق .
(٥٨) يتلكا (يتلكأ ، سهلت همزته) : يعتل . — المقال : ظلع يؤخذ فى قوائم الدابة ،
(٥٩) الرفاء : من يرفو (يرفأ) الثياب ونحوها .
(٦٠) غارة شعواء : منتشرة متفرقة فاشية .

٦٧ – ومتى يحفظ الذمـام ، ويرعـا ه الكرام الأحـامس الأوفيـاءُ
٦٨ – ليس فيهم من الأشـائب مفتـو ن غبى ، أو معشـر دخـلَاءُ
٦٩ – (لغة الوحى) جل ذا النعت نعتًـا أين للسن هـذه السـيماءُ
٧٠ – شرف فى السماء والأرض سـامى كل عليـاء من ذراه عـلاءُ
٧١ – جلجل (الوحى) فى العلى بصداها وتلقـاه بالخشوع (حـراءُ)
٧٢ – مس قلب (الأمين) حتى إذا مـا فاض منه تخـاوض البلغـاءُ
٧٣ – رج (أم القرى) ، وبارك فى الدهـ ـر عـلاها ، واستغرزت آلاءُ
٧٤ – أى قدس تقدست باسمه (الفصحـ ى) ، وعزت بمجده (العرباءُ)
٧٥ – اصطفاها من عـلم البشر النطـ ق ، ومنه الأصوات والأسماءُ
٧٦ – اصطفاها لـ (وحيه) وهو نـور يتـلَالا بها ، ونعم الوعـاءُ
٧٧ – يا لغات اسجدى ، ويا ناعق اصمت وحـدياك أيها الادعـاءُ
٧٨ – جوهر ثاقب ، على الدهـر يذكو ما استقامت دنيـا ودام ذمـاءُ
٧٩ – تتعـالى من بعـد أفق رفيع نحو أفـق ، ودأبها الارتقـاءُ
٨٠ – وتمـد الحياة من كنزها الوفـ ـر ، ويزكو ممـا تجود الحبـاءُ
٨١ – كلما طـال شوطها طاوعتهـا ما بـراها أين ولا إعيـاءُ !
٨٢ – وكذلك الجياد تعطى قـواهـا والرجـال الأحـرار والكرمـاءُ
٨٣ – غـذت العلـم ما تفرع بالـزا د كريمـاً ، وما ابتغى العلمـاءُ
٨٤ – ونمى من نطافهـا الأدب العـا لى ، ورفت أفنـانه والزهـاءُ !

(٦٧) الذمام : الحق والحرمة . – الأحامس : الشجعان ، جمع أحمس .
(٦٨) الأشائب : الأخلاط من الناس . (٦٩) اللسن : اللغات
(٧١) حراء : من جبال مكة ، كان يتحنث فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفيه نزل الوحى عليه .
(٧٢) تخاوص : غض بصره ، ويقال تخاوضت النجوم ، أى اصفرت الغولاء .
(٧٣) أم القرى : مكة المكرمة . – الآلاء : النعم .
(٧٤) عرب عرباء : صرحاء خلص . (٧٧) حدياك : معارضك ومباريك .
(٧٨) يذكو : يشتد طيبه ويشتعل . – الذماء : قوة التعلب .
(٨٠) الوفر : الكثير . – يزكو : ينمو ويزيد . – الحباء : العطاء .
(٨١) الأين : التعب .
(٨٤) النطاف : المياه الجارية . الأفنان : الأغصان . رهاء الشيء : شخصه .

٨٥ ـ ما استدار الزمان لونًا فلونا وتوالى على الحياة ابتلاءُ

٨٦ ـ يخصب الجدب بالغيوث رواءُ وبها تخصب النهى والذكاءُ

٨٧ ـ ويزان الثرى بغرس وزرع وهى فى الصحب زينة ووشاءُ

* * *

٨٨ ـ رويت من سماسها العذب (مصر) مثلما (النيل) منه تروى الظماءُ

٨٩ ـ وحمت ذخرها تليدًا أصيلًا وكذا تحرس العلى الأصلَاءُ

٩٠ ـ وحبته من الطريف فنونا من فنون يبهى بهن البهاءُ

٩١ ـ شاد (عمرو) ، والفضل ما شاد عمرو فرعته المعاشر الأرباءُ

٩٢ ـ أصل (الدين) و (العروبة) و (الفصـ ـحى) ، فوق (الفسطاط) والنبلاءُ

٩٣ ـ دارة الطهر والبراءة ، والأهـ ـل كرام أماثل نجباءُ

٩٤ ـ هم بنو (مصر) ، (والمحبة) دين عندهم و (الأُخوة) الزهراءُ

٩٥ ـ ورثوها من (أنبياء) كرام علموهم . . يا حبذا (الأنبياءُ)

٩٦ ـ وإذا صحت النفوس تصافت وتلاقت على الهدى الآراءُ !

٩٧ ـ وزها (الأزهر المبارك) شأنًا واستنارت بنوره الأملَاءُ !

٩٨ ـ ينشر (الدين) و (السماحة) و (الفـ ـصحى) ، ويأوى لركنه النبهاءُ

٩٩ ـ الليوث الغيوث من كل نجر والصحاح النيات والحنفاءُ

١٠٠ ـ الحفاظ الأصيل والدأب الصـ ـدق ، هداهم ، والرأب والابراءُ

١٠١ ـ وتجارى الأنسال قرنًا فقرنًا وترضى الأبوة الأبناءُ

١٠٢ ـ فجديد ، يشاد عند قديم وبناءُ ، يعلى عليه بناءُ

١٠٣ ـ نعمت (الدار) هذه الدار .. أوفت فوق (نيل الجنات) منها سماءُ

(٨٦) رواء : جمع ريان .

(٨٧) الوشاء : كثرة المال .

(٨٩) التليد : المال الأصلى القديم .

(٩٠) حبته : أعطته . الطريف : المستفاد من المال حديثا . يبهى : يحسن ويجمل .

(٩٢) عمرو : عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فاتح مصر . الأرباء : العقلاء .

(٩٧) الأملاء : الأخلاق .

(٩٩) النجر : الأصل .

(١٠٠) الرأب : الإصلاح .

١٠٤ـ حاكت (النيل) فى العطاء، فشيدت فوقه، وهو تحتهـا غـذاءُ !
١٠٥ـ ومن (النيل) للنفوس حيـاة، ومن (الـدار) للحياة غـذاءُ !
١٠٦ـ هى (دار الفصحى)، وللدار ربّ قد أعز (الفصحى) ومنه الرعـاءُ
١٠٧ـ أشبلت فوقهـا حنانًا ورعيًّـا فلهـا كل عطفهـا والرفـاءُ
١٠٨ـ رمز (مصر).. فكل قلب بـ (مصر) زهى فيه الحبيبـة السمراءُ !
١٠٩ـ جيروا لله.. قلب كل كـريم يعـربى، دار لهـا وفنـاءُ !
١١٠ـ شمخ (المجمع العظيم)، وأعلى (لغـة الوحى) جهـده البنـاءُ
١١١ـ جمع العلية الفصاح، وعـاشت بيـن جنبيـه أمـة أمنـاءُ
١١٢ـ عبقريون. جاهـدوا، واستطابوا نصب الجهد حسبة، وأفـاءُوا
١١٣ـ أوسعوهـا تجـلة واحـترامًا وقيـامًا، وما عـراهم ونـاءُ
١١٤ـ (لغة الوحى).. لن يمكن منها ألعبـان، تقواه فيهـا هـواءُ
١١٥ـ فصحت، واستقام فيهـا بيـان ليس فيه غيـر الصريح هجـاءُ
١١٦ـ أبت اللعب والتعابث والسخـ ف، وجـدت.. وهكذا الصرحاءُ
١١٧ـ أعطت (الدين) و (الحياة)، ولم تعـ ى بشىء ـ ولم يضن العطـاءُ
١١٨ـ وإذا عيت اللغـات بـزاد تبتغيه الحيـاة، فهى هـذاءُ
١١٩ـ قف هنا: فى (كنانة الله)، واصدع وخليـق بـ (شعبها) الإصغـاءُ
١٢٠ـ أنت فى (دارة العروبة) حـر، وذووها هم قـومك الأصـفياءُ
١٢١ـ (مصر) قلب، ونحن نحن الشراييـ ن، ومنهـا إليه تجرى الدمـاءُ
١٢٢ـ هيكل محـكم الأواصر فـرد تعضـد القلب عنده الأعضـاءُ
١٢٣ـ التقينا، ونحن إذ نرأم (الفصـحى)، هوأنا الحيـاة والإحيـاءُ

(١٠٥) غداء: ذاهب منطلق. (١٠٧) أشبلت: حنت. (١٠٧) الرفاء: الإصلاح.
(١٠٩) جير: يمين بمعنى حقا. (١١٢) فعله حسبه: مدخرا أجره عند الله. ـ أفاءه الخير: جاء به.
(١١٣) الوناء: الفتور والضعف. (١١٤) الألعبان: الكثير اللعب.
(١١٥) الهجاء هنا: تقطيع الألفاظ إلى حروفها، والنطق بهذه الحروف مع حركاتها.
(١١٧) لم يضن: لم يبخل. (١١٨) الهذاء: الهذر بكلام غير مفهوم.
(١١٩) كنانة الله: أرض مصر.
(١٢٢) الأواصر: جمع الآصرة، وهى ماعطفت على غيرك من رحم أو مصاهرة، أو معروف.
(١٢٣) نرأم: نحب.

١٢٤ – نحن نبغى من (الفصاحة) أن تفـ ـصح منا (الأفعال) و (الأنباء)!
١٢٥ – لفـداء التمتام ، آثر عنـدى من بيان لم يصطحبه فـداء
١٢٦ – قرع (الله) من يقول ولا يفعـ ـل ، فالقول شأنه الإيفـاء
١٢٧ – يا لقومى ! وبعض حالات قومى شف داء ، والمصطلحون الدواء
١٢٨ – نحن فى حلبة الحياة ، لنـا السب ق ، وفى أرضنا استطال العـلاء
١٢٩ – (وطن العرب) سرة الأرض ،و (العـ ـرب) على الناس حـولهم شهداء
١٣٠ – وعلى الأمة (الرسول) شهيد كيف تهدى بهـديه الأحيـاء
١٣١ – جل هذا الإكرام من لدن (اللـ ـه) ، وجل التشريف والإعـلاء
١٣٢ – أى شأن لو وعيناه هـذا الشـ ـأن ، واسترعيت به النعمـاء
١٣٣ – جهلت نفسها الخلائف ، فاستعـ ـلت ذئـاب عليهم نـزاء
١٣٤ – صاح فيها الفناء ، فليصدق الذو د لديهم ، وليقـدم الشـرفاء
١٣٥ – إنما تحسن الصنيع البهاليـ ـل ، وتغشى الكرائه البسلاء
١٣٦ – هاكم من يد ل (بغداد) عهدًا بصدق الفعل عنـده والوفاء
١٣٧ – إنَّ (عهد الحفاظ) : للوحدة الكـ ـبرى ضمان ، وللحياة سناء
١٣٨ – يفرض العز أن يوثق بالصـد ق دوامًا ، ويقتضيـه البقـاء

الأستاذ / محمد بهجة الأثرى
عضو المجمع من العراق

(١٢٦) تلميح إلى قول الله عز وجل فى سورة الصف : (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) .

(١٢٩ – ١٣٠) تلميح إلى قول الله عز وجل فى سورة البقرة (الآية ١٤٣) : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً).

(١٣٣) نزاء : جمع نزاء ، مبالغة من نزا : إذا وثب .

(١٣٤) الذود : الدفع والطرد .

(١٣٥) البهاليل : السادة الجامعون لصفات الخير . – الكرائه : الحروب .

(١٣٧) السناء : الرفعة .

رؤساء المجمع السابقون

للدكتور إبراهيم مدكور

يقوم البحث والدرس على أساس من الخبرة التامة ، والرغبة الأكيدة . والعمل الدؤوب . ولا حياة لهيئة علمية إلا بانتظام عقدها ، وتضافر أعضائها ، وإيمانهم برسالتهم إيمانا جازما . ومن حسن حظ مجمعنا أنه قام أول ما قام على رعيل من شيوخ عصره ، بين مصريين ، وعرب ومستعربين ، وكل واحد منهم قمة فى بابه وعلم فى ميدانه . وتلاهم رعيل بعد رعيل وكلهم خيار من خيار . رسموا الخطة وأقاموا الصرح ، وأدعموا البناء . وساروا فى طريقهم فى هدوء وحكمة ، وحزم ودقة ووقفوا جهودهم على خدمة اللغة فى متنها وتركيبها . وعنوا عناية خاصة بوفائها بمتطلبات العلم والحضارة .

وفى عيد مجمعنا الذهبى أرى واجبا على أن أنوه برؤساء المجمع السابقين الذين حملوا الراية ، وقادوا القافلة ، وأعطوا ما استطاعوا من أوسع علمهم وعظيم خبرتهم . واستمسك بهم زملاؤهم طوال حياتهم ، ولم يحرمهم منهم إلا رحلتهم الأخيرة إلى جوار ربهم وهم ثلاثة كرام تعاقبوا على رياسة المجمع أربعين عاما ، وما أغناهم عن التعريف وأود فقط أن أشير إلى شىء من جهودهم المجمعية ، وما خلفوه من أثر فى صحائف الخالدين .

وأولهم محمد توفيق رفعت الذى قاد السفينة عشر سنوات من عام ٣٤ إلى ٤٤ ؛ وشهد مرحلة التأسيس ، وهى دقيقة عادة . ولكنه استطاع بخبرته الطويلة وزاده الوفير أن يواجه الموقف مواجهة صادقة . وكان المجمع فى سنيه الستة الأولى أشبه ما يكون بمؤتمر دولى صغير يضم عشرين عضوا ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين ، والكل مؤمن بالعربية وراغب فى النهوض بها لكى تصبح لغة العلم والحضارة ، وتسهم فى هذا الميدان إلى جانب اللغات العالمية الكبرى . وكانوا يجتمعون طوال شهرين من كل عام ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . يغذونها أساسا بخبرتهم وعلمهم الغزير . واستطاع توفيق رفعت أن يحقق معهم تعاونا تاما وأخوة صادقة .

وشاء ، وهو الفقيه الضليع والقانونى القدير ، أن يبدأ المجمع عمله بوضع لائحته التى تنظم عمله وتحدد اختصاص هيئاته . وقضى المجمعيون فى ذلك ما يقرب من دورة كاملة ، ووضعوا أسسا ومبادىء لا نزال نهتدى بها حتى اليوم، ومن أهم ما اتجهوا إليه تكوين لجان خاصة تقوم بالبحث والدرس ؛ قبل العرض على الهيئة العامة . وأصبح من تقاليد المجمع الثابتة ألا يعرض على مجلسه موضوع قبل أن يستوفى بحثه ودرسه على أيدى المختصين .

وكان المجمعيون أنفسهم فى البداية دعامة هذه اللجان ، ثم استعانوا بالخبراء ، وهذا تقليد آخر ربط المجمعيين بأهل الصنعة ، كلٌ فى ميدان اختصاصه . ويعد هذا التقليد مبدأ هاما من مبادىء العمل المجمعى ، ونخطىء كل الخطأ إن زعمنا أن المجمعيين صناع ألفاظ وتعبيرات، ولجان المجمع مفتوحة لكل من له صلة بها من أعضاء، وللخبراء فيها منزلة خاصة . وحرص توفيق رفعت على أن يسهم فى بعض هذه اللجان ، وكان له فى بحوثها ومناقشاتها دور ملحوظ . وفى هذا ما يؤكد أن رياسة المجمع لم تكن يوما وظيفة شرفية ولا عملا إداريا ، بل هى مهمة تنظيمية يكلها الزملاء إلى واحد منهم .

واستن توفيق رفعت سننا أخرى كتب لها البقاء والحياة ، ومنها بدء كل دورة بعرض ما تم من أعمال وقرارات فى الدورة السابقة، وكان يتولى هو بنفسه هذا العرض . ونما هذا التقليد وتوسع فيه ، واضطلع به الأمين العام للمجمع . وفيما عرضه توفيق رفعت وثائق تاريخية لها وزنها .

ومن سننه استقبال الأعضاء الجدد ، وتوديع الراحلين ، وتلك سنة رأى فيها المجمع آية من آيات الوفاء والتقدير ، وبابا فسيحا من أبواب البحث والدرس ، وعناية بالفكر المعاصر فى مختلف نواحيه . ولكل من الاستقبال والتوديع جلسة علنية تسجل أعمالها ، وتنشر بحوثها ، وقد اضطلع توفيق رفعت نفسه باستقبال خمسة أعضاء جدد وهم أحمد إبراهيم ، وانطون الجميل ، وأحمد حافظ عوض ، وحسن القاياتى ، وعلى توفيق شوشه . وودع اثنين هما حسين والى ، وعبد القادر حمزة .

وله اقتراحات كثيرة نكتفى بأن نشير إلى بعضها ، وفى مقدمتها طبع معجم فيشر والتعاقد معه على إخراجه ، ولهذا المعجم تاريخ طويل ، فقد عاش معه صاحبه نحو ٥٠ عاما ، وكنا نود أن نتوجه على أيدى مجمع القاهرة ، ولكن الحرب العالمية الثانية حالت دوننا وما نريد ، وحاولنا جمع ما تفرق من جزازات هذا المعجم ، ولم شمله دون جدوى ، وذهب مع التاريخ ، ولم نحصل إلا على قدر ضئيل .

وعنى توفيق رفعت بالمصطلح العلمى فشجع لجانه ونوعها ، ودعا إلى حفظ مقـررانها فى جزازات خاصـة على نحو ما اقترحه مجمعى آخر ، وهو لويس ماسينيون ورأى فوق هذا أن تنشر فى «مجلة المجمع» ،وفى بعض النشرات الخاصة . وما أحوجنا أن نربط لغة العلم فى مصر بأخواتها فى العالم العربى جميعه ، وفى تكوين المجمع ما يهدف إلى ذلك . ولهذا شجع توفيق رفعت على اشتراك المجمع فى المؤتمرات العلمية التى تعقد فى مصر أو خارجها ، وفتح الباب لمن شاء أن يسهم فيها من أعضاء المجمع بل كان يحرص على أن يرسل باسمه ممثلون معينون .

ومع كل هذه التوجيهات والتجديدات لا يفوتنا أن نشير إلى أن رئيس المجمع الأول كان أميل إلى المحافظة وأحرص على القديم ، وشاء القدر أن يخلفه رئيس آخر من دعاة التجديد والإصلاح وهو أحمد لطفى السيد تلميذ جمال الدين الأفغانى ، وصديق محمد عبده ، وقد جاراه فى القول بضرورة إنشاء مجمع لغوى ينهض بالعربية ويمكنها من أن تسد حاجات العصر .

ويعد لطفى السيد بحق أول من وضع فكرة إنشاء مجمع لغوى موضع التنفيذ على شكل واضح : بدأ بهذا عام ١٩١٦ فيما سمى «مجمع دار الكتب» ، التى كان مديرا لها وأريد به أن يكون كاتب سر هذا المجمع ، وقد كون من كبار الشيوخ والعلماء وجمع بين العرب والمصريين ، وقدر له أن يعمر بضع سنين ، ثم جاءت ثورة سنة ١٩١٩ ، فاعترضت طريقه ، وانخرط لطفى السيد نفسه فى غمار هذه الثورة ، وعد من قادتها . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى فكرته الغالية عام ١٩٣٢ يوم أن كان وزيرا للمعارف ، واستطاع أن يحول هذه الفكرة من حركة أهلية إلى هيئة رسمية ،وصدر المرسوم الملكى بإنشاء المجمع عام ١٩٣٢ ، وصدر بتكوينه مرسوم آخر عام ١٩٣٣ ، ولم يكن لطفى السيد من أعضائه ، مع أنه كان الداعى والمحرك للموضوع ،وهكذا كان لطفى السيد دائما فى كل دعوات الإصلاح ؛ يذكر هدفه ، وينسى نفسه .

وفى عام ١٩٤٠ فقط ، دخل المجمع على رأس الرعيل الثانى الذى اشتمل على عشرة من صفوة أصدقائه ، أمثال محمد مصطفى المراغى ، وعبد العزيز فهمى ، أو من صفوة تلاميذه أمثال : مصطفى عبدالرازق ، ومحمد حسين هيكل ، وطـه حسين ، وفى عام ١٩٤٥ ، اختير رئيسا للمجمع ، واستمسك زملاؤه برياسته طوال حياته إلى عام ١٩٦٣ ؛ برغم رغبته المتكررة فى أن يخفف من أعبائه ،وله فى المجمع أياد كثيرة وآثار خالدة .

فعلى يديه فرق بين مجلس المجمع ومؤتمره ويضم المجلس أعضاء المجمع المصريين الذين درجوا على أن يعقدوا جلسة يوم الاثنين من كل أسبوع ، وحددت دورة المجلس بثمانية أشهر ، تبدأ يوم الاثنين الأول من أكتوبر وتنتهى يوم الاثنين الأخير من مايو .

وأصبح هذا تقليدا ملتزما حتى اليوم، وقد تضاف بعض الجلسات فى أيام أخرى بموافقة المجلس ، ويجمع المؤتمر بين الأعضاء المصريين والعرب والمستعربين ، ويعقد مرة كل عام وكانت مدة انعقاده طويلة فى البداية ، ثم قضت أعباء الحيـــاة قصرها على أسبوعين رعاية لظروف الضيوف المشاركين، ويعرض على المؤتمر فى كل دورة ماسبق للمجلس أن أقره ، ولا ينشر شىء باسم المجمع إلا بعد إقرار المؤتمر له .

ولاطفى الســـيد مستحدثات أخرى ، نذكر من بينها جوائز المجمع الأدبيـــة ، فقد شاء أن يأخذ المجمع بيد شباب الكتاب وأن يشجعهم على التأليف والكتابة . وتشاء الظروف أن تكون أول جائزة أدبية للمجمع من تبرع سيدة كريمة هى هدى شعراوى . ثم خصص بعد هذا لجائزة الأدب اعتماد فى ميزانية المجمع ، بدأ رمزيا ، ثم نما على مر الزمن .

وكان شباب الكتاب يســـعدون بالجائزة المجمعية برغم تواضعها ، ويكفى أن أشـــير إلى أن الأستاذ نجيب محفوظ شيخ كتاب القصة المصريين اليوم كان من أوائل من حصـــلوا عليها . وقد قصرت فى البداية على شباب المصريين ، ثم فتح بابها للمتسابقين فى العالم العربى جميعا، وأضيفت أخيرا جائزة أخرى لإحياء التراث ، وما كان أحوجنا إليه .

ويرمى لطفى السيد ظلما بأنه كان من أنصار العامية ، ويظهر أننا نسينا ما كان له من يد فى تخريج جيل من أقلام الصحفيين الأوائل الذين جمعتهم «الجريدة» أمثال : طه حسين ومحمود عزمى ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد حسن الزيات .

وكان للطفى السيد قلمه ومحفوظاته القيمة فى الأدب العربى ، وكثيرا ما أصغى لها المجمعيون واستمتعوا بسماعها ، وكان يهدف خاصة إلى أن يقرب العامية من الفصحى وأن يجمع الأمة العربية على لغة خطاب واحدة ، وهذا هدف نتمناه جميعا . ونأمل أن نصل إليه إن قضينا على الأمية ، وثقفنا الناشئين بثقافة عربية كاملة ، ورغبـــة فى التقريب بين العامية والفصحى ، دعا إلى البحث عما تشتمل عليه لغة أصحاب الحرف المختلفة من ألفاظ عربية الأصل ، وهـــذا هدف لا يزال المجمعيون ينشـــدونه . وقد دعا لطفى السيد إلى البحث عما اشتملت عليه لغة هذه الحرف من ألفاظ عربية تمكننا من مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا المعاصرة ، وكون المجمع لذلك جنودا كان على رأسها إسماعيل مظهر .

وحرص لطفى السيد الحرص كله على أن يباعد بين المجمع والسياسة ، برغم أن مجمعنا كان يحمل اسم الجالس على العرش، فسمى «مجمع فؤاد الأول»ثم «مجمع فاروق» . ولم يكن لهذه التسمية أية دلالة خاصة لدى المجمعيين وحظى بعضوية المجمع بعض قدامى السياسيين، ولكنهم كانوا يخلعون رداءهم السياسى قبل أن يتخطوا عتبة دار المجمع . ولا أشك فى أن كثيرين منهم كانوا يسعدون بالروح العلمية التى سادت بحثهم ومناقشتهم ، وكانوا يرون فى العمل المجمعى ضربا من الترويح . وشاءت بعض الأحزاب السياسية دون جدوى أن تبسط شيئا من سلطانها على هذه الحياة،وأبعد لطفى السيد السياسى القديم هذه الأهواء عن صومعة الخالدين .

ورئيس المجمع الثالث هو طه حسين تلميذ لطفى السيد وربيبه ، اتصل به منذ فجر هذا القرن وتوفقت العلاقة بينهما على مر الزمن . وماكان أشد إخلاص التلميذ للأستاذ ؛ وأعظم إعجاب الأستاذ بتلميذه . جمعت «الجريدة» فى البداية بينهما ، وتأكدت العلاقة بينهما فى الجامعة المصرية القديمة ، وكان للطفى السيد صلة بها . وما إن عاد طه من بعثته حتى اتجه نحو الصحافة مرة أخرى ، وله فى السياسة الأسبوعية بوجه خاص توجيه ونشاط أثار الحركة الفكرية فى مصر . ويوم أن أصبح لطفى السيد مديرا لجامعة فؤاد الأول حرص على أن يربط الحاضر بالماضى ، وأن يضم الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة الحديثة ، وفتح الباب لطه حسين كى يؤدى رسالته فى كاية الآداب . ويوم أن اعتدت السياسة على استقلال الجامعة ، وأخرجت طه حسين من كلية الآداب لم ير لطفى السيد بدأً من أن يقف إلى جانب تلميذه وصديقه وقدم استقالته التاريخية .

وعلى بساط مجمع اللغة العربية التقى طـه حسين بلطفى السـيد فى ميدان آخر ، وتعاونا ما وسعهما على دفع حركة التجديد والسير إلى الأمام . وكان من أول الأمور التى واجهتهما مسألة وضع معجم ألفاظ القرآن ،وقد أيدها لطفى السيد وطه حسين معا ، وإن باعد هـذا بينهما وبين الأسـتاذ الأكبر مصطفى المراغى بعض الشىء . وتلى هـذا موضوع آخر كان أعظم خطورة ، وهو الاقتراح الذى قدمه عبد العزيز فهمى ، وهو صديق الطرفين ، داعيا إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، وقد قضى المجمع دورة كاملة ، فى مناقشة هذا الاقتراح؛ومن الظلم أن يُعْزى إلى طه حسين أنه كان من مؤيديه .

ويكفى أن أشير إلى أن المجمع كله رفضـه جملة وتفصيلا . والحديث عن الحروف اللاتينية ألصق بالماضى ولا محل له فى الحاضر ، ومن اللغط أن نعود إليه مرة أخرى . سبق

للمجمع أن تعاقد مع المستشرق الألمانى فيشر على إخراج معجمه التاريخى ، إلا أن هذا العقد لم يحقق مع الأسف أهدافه ، وكان لابد للمجمع من أن ينحو نحوا آخر ، فشكلت لجنة لذلك وكان من حظى أن أسهمت فيها ، وانعقد الرأى على أن هناك نصوصا أدبية ولغوية قديمة ، وأن إحياءها شرط أساسى لاستكمال مصادر المعجم التاريخى ، ولهذا استقر رأى على أن يقنع المجمع الآن بإخراج معجم كبير يعنى بأصول اللغة ومستحدثاتها ويفتح صدره للغة العلم والحضارة ويكمل سلسلة المعجم الوسيط . وشـاء طه حسين راغبا أن يتولى بنفسه أمر هذا المعجم وقضى عشر سنوات يعد له ، ويوم أن دُعى إلى الوزارة رغب زملاؤه جميعا أن يخففوا عنه ولكنه أبى إلا أن يتابع جهده السابق وأخرج من هذا المعجم تجربة وزعت على الباحثين والدارسين لكى يبدو ما يعن لهم من نقـد أو ملاحظة وكانت هذه التجربة دعامة العمل فى المعجم الكبير ، وقد أخرج منه جزء فى حياة طه حسين ولحقه جزء آخر بعد مماته والعمل فيه طويل النفس ، وسيذكر طه حسين ما ذكر هذا المعجم وماتداوله الباحثون والدارسون .

ولطه حسين مواقف أخرى فى مجمع الخالدين سجلتها محاضر المجالس ومؤتمـره ، وأختم حديثى بموقف واحد منها وهو تيسير النحو على الناشئين ، وتلك قضية عاش معها طه حسين منذ خمسين سنة تقريبا ، فقد اشترك فى لجنة كونتها وزارة المعارف لهذا الغرض عام اثنين وثلاثين ، بناء على رغبة محمد بهى الدين بركات الذى كان وزيرا للمعارف حين ذاك ، وانتهت هذه اللجنة إلى مقترحات حفظت فى ملفات الوزارة زمنا ، ثم رئى عرضها على المجمع ولم يكن فيها أى جديد بالنسبة لطه حسين وكان كل همه بعد أن أقرها المجمع مع تعديل طفيف أن تأخذ طريقها إلى العمل والتنفيذ ، وطالب المجمع وزارة المعارف بأن تضع كتبا تتمشى مع هذه المقترحات وتبرع هو نفسه أن يسهم فى هذه الكتب أو يراجعها ولم تستجب وزارة المعارف لدعوته ولكن فكرة التيسير تسير فى طريقها ، وأعتقد أن القائمين على أمر تعليم اللغة العربية فى مدارسنا الأميرية والخاصة يدركون تماما أن اللغة تتعلم عن طريق الحوار والقراءة والمطالعة ، وكأنى بهم يتخففون الآن من القواعد النحوية ما استطاعوا .

هؤلاء هم شيوخ الخالدين الثلاثة الذين قادوا السفينة ووضعوا تقـاليد نهتدى بهـا ونسير على نهجهـا . وإذا كنا نذكرهم فى عيد المجمع الذهبى فإن الباحثين والدارسـين سيذكرونهم على الدوام .

الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المعاجم وكتب التفسير واللغة

للأستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

أحيط القرآن الكريم منذ فجر الإسلام بعنايات فائقة، مختلفة المناهج والضروب والألوان. ولعل أعظم موسوعة فى دراسة تفسير القرآن ومناهج مفسريه ما قام به العالم الجليل الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه «التفسير والمفسرون» فى أجزاء ثلاثة قاربت صفحاتها ١١٣٠ صفحة، بحث فيها نشأة التفسير وتطوره، وألوانه ومذاهبه، وأجرى عرضا تفصيليا لأشهر المفسرين، وتحليلا كاملا لأهم كتب التفسير من عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر.

ومع هذا قد خلت صفحات هذه الموسوعة النفيسة من بيان مسلسل لنوع خاص من أنواع التفسير، هو ما أطلق عليه كتب «غريب القرآن»، وهو ما يعنينى اليوم فى مناسبة بحث تاريخ معاجم تفسير القرآن، التى يقف على رأسها اليوم معجمنا «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذى أصدر مجمعنا الموقر طبعته الأولى فى سنوات تأخذ من سنة ١٩٣٥ ممتدة إلى سنة ١٩٧٠ ويعمل الآن على إصدار طبعته الرابعة فى مزيد من التحقيق والتنقيح.

وإذا رجعنا البصر وتعقبنا المسرد التاريخى لهذا الضرب من ضروب التفسير المعجمى وجدنا أمرا مذهلا فى هذه الزاوية المحدودة من زوايا خدمة كتابنا العزيز، إذ نعثر على محاولات جادة ذات قدر عظيم، أكل الدهر والتاريخ معظمها، وأبقى لنا منها خبرا محدودا.

وبتعقب كتب التاريخ والتراجم والدراسات القرآنية، أمثال برهان الزركشى، وإتقان السيوطى، وطبقات القراء والمفسرين، وفهرست ابن النديم، وكشف الظنون، نستطيع أن نسرد هذه السلسلة التاريخية فى هذه الزاوية:

١ – غريب القرآن، للصحابى الجليل عبد الله بن عباس المتوفى سنة ٦٨

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثانية من العيد الخمسينى للمجمع.

٢ — لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكرى المتوفى سنة ١٤١

٣ — لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠ وقد طبع بتحقيق الدكتور عبد الله شحاته ١٩٧٥

٤ — لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي المتوفى سنة ١٩٥

٥ — لأبي محمد يحيي بن المبارك اليزيدى المتوفى سنة ٢٠٢

٦ — لأبي الحسن النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤

٧ — لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢٠٩

وكتابه المعروف بمجاز القرآن. وقد طبع بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين. وقد عنى أبو عبيدة بكلمة «المجاز» معناها اللغوى العام، أراد المسلك والطريق إلى تفسير ألفاظ القرآن الكريم وتفهم أساليبه على ضوء طبيعة لغة العرب وأساليبها فى كلامها، والتنظير بين هذه وتلك.

٨ — لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى، المعروف بالأصمعى المتوفى سنة ٢١٣

٩ — لأبي الحسن سعيد بن مسعدة، وهو الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥.

١٠ — لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٥٤

١١ — لأبي محمد عبد الله بن سلام الجمحى البصرى المتوفى سنة ٢٣٢

١٢ — لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦. واسم كتابه: «تفسير غريب القرآن». وقد نشر بتحقيق السيد أحمد صقر سنة ١٩٥٨

١٣ — لأبي العباس أحمد بن يحيي بن يسار الشيبانى المعروف بثعلب، المتوفى سنة ٢٩١

١٤ — لأبي طالب المفضل بن سلمة المتوفى سنة ٢٩٠ أو ٣٠٨

١٥ — لأبي بكر محمد بن حسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١. وذكر السيوطى فى البغية أنه لم يتم كتابه. ونجد نصًّا منه فى برهان الزركشى ٢ : ٢٧٩

١٦ — لأبي زيد أحمد بن سهل البلخى المتوفى سنة ٣٢٢

١٧ ـ لأبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى العتكى المعروف بنفطويه ، المتوفى سنة ٣٢٣

١٨ ـ لأبى بكر محمد بن عثمان بن مسبح الشيبانى ، المعروف بالجعد المتوفى سنة ٣٢٠ ونيف . قال القفطى فى إنباه الرواة : « وله كتاب صنفه فى غريب القرآن ، وكان لما فرغ من عمله أخذ نفسه بحفظه فلم يمكنه إلا يسيرا حتى توفى فلم يخرج الكتاب عنه .

١٩ ـ لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ .

٢٠ ـ لأبى بكر محمد بن عزيز ، بهيئة التصغير ، السجستانى ، المتوفى سنة ٣٣٠ .

واسم كتابه « نزهة القلوب » ويسمى أيضا بالعزيزى ، وهو من أشهر كتب غريب القرآن إن لم يكن أشهرها . قال السيوطى فى الإتقان : « أقام فى تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنبارى » . وهذا يدلنا على مبلغ عنايته فيه . وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة بعناية بدر الدين النعسانى بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ ثم أعيد طبعه بعد ذلك مرات أقومها طبعة مصطفى عنانى سنة ١٩٣٦ م . ومن المؤسف ظهور نشرة حديثة سنة ١٩٨٠ من عمل محمد الصادق قمحاوى اعتدى فيها على ترتيب مؤلفه ورتب الكتاب على ترتيب السور والآيات .

٢١ ـ لأبى عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد ، غلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ .

٢٢ ـ لأبى أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة ٣٥٥ .

٢٣ ـ لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ، شارح الحماسة وغيرها ، المتوفى سنة ٤٢١

٢٤ ـ لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش القيسى المتوفى سنة ٤٣٧ .

٢٥ ـ لأبى عمر عبد الواحد بن أحمد المليحى المتوفى سنة ٤٦٣ .

٢٦ ـ لأبى القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (أو الفضل) الراغب الأصفهانى المتوفى سنة ٥٠٢ ، واسم كتابه « مفردات ألفاظ القرآن » . وقد طبع قديما فى المطبعة الميمنية بعناية محمد الزهرى الغمراوى مقابلا على مخطوطات الكتبخانه الخديوية سنة ١٣٢٤ .

٢٧ ـ لأبى محمد عبد الرحمن بن عبد المنعم الخزرجى ـ المتوفى سنة ٥٦٤ .

٢٨ ـ لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ، المعروف بابن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ . واسم كتابه : « تذكرة الأريب ، بما فى القرآن من الغريب » .

٢٩ — لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى ، صاحب مختار الصحاح ، المتوفى بعد سنة ٦٦٨ . قال صاحب كشف الظنون :

ذكر فيه أن طلبة العلم وحملة القرآن ، سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن فأجاب ، ورتبه بترتيب الجوهرى ، وضم فيه شيئا من الإعراب والمعانى . وفرغ من تعليقه فى سنة ٦٦٨

٣٠ — لأثير الدين محمد بن يوسف، المعروف بأبى حيان ، المتوفى سنة ٧٤٥ . قال الصفدى فى نكت الهميان : إن اسم كتابه « إتحاف الأريب، بما فى القرآن من الغريب » .

٣١ — لعلاء الدين على بن عثمان بن إبراهيم المعروف بابن التركمانى ، الماردينى الحنفى ، المتوفى سنة ٧٥٠ . واسم كتابه « بهجة الأريب ، بما فى كتاب الله العزيز من الغريب »

٣٢ — لأبى العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبى ، الملقب بالسمين ، المتوفى سنة ٧٥٦ ، وهو تلميذ أبى حيان الأندلسى . واسم كتابه : « عمدة الحفاظ ، فى تفسير أشرف الألفاظ » . وتبذل كلية اللغة العربية بالأزهر جهدا مشكورا فى تحقيق هذا الكتاب .

٣٣ — لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ . وهو منظومة كما ذكر صاحب كشف الظنون . ولعله الكتاب الوحيد الذى ورد فى هذا المجال على هذه الصورة النظمية .

ومن الواضح أن هؤلاء المؤلفين جميعا لم يكن لهم مناص من اتباع أحد منهجين فى التأليف :

١ — المنهج الأول : التزام ترتيب السور وآياتها ، كما هو واضح فى مجاز القرآن لأبى عبيدة . وقد عنى بكلمة المجاز ما ذكرته من قبل . وكذلك الأمر فى غريب القرآن لابن قتيبة .

٢ — والثانى : الترتيب الهجائى أو المعجمى على اختلاف طرق المعاجم فى اتباع الأبواب أو أوائل الكلمات ، مع اختلافهم كذلك فى التبويب ، وفى ترتيب الأوائل . ويتضح لنا هذا المنهج فيما كتبه السجستانى فى كتابه « نزهة القلــوب » ، والراغب الأصفهانى فى « مفردات ألفاظ القرآن » ، والسمين الحلبى فى كتابه « عمدة الحفاظ » فالأول يتبع منهج سرد الكلمات الغريبة بالترتيب القرآنى فحسب ، الأسبق فالتالى له وهكذا مع ترتيب الكلمات على الحرف الهجائى الأول فقط ، دون نظر إلى الثانى

أو ما بعده، لالتزامه بالورود القرآنى فقط مع مراعاة الحركات الثلاثة فى أوائل حروف الكلمات .

ومثال ذلك فى الباء المكسورة : بسم الله ، بر، بطانة من دونكم ، بضاعة ، بضع سنين بدارا ، بيع ، البغاء ، بدعا من الرسل . فالحرف الثانى غير مراعى فى ذلك ، لأن ترتيب الورود فى المصحف كله يقتضى هذا الوضع .

والكتاب الثانى وهو كتاب الراغب يتبع ذكر المواد اللغوية القرآنية ، ويذكر فيها تفسير الكلمات القرآنية مستطردا إلى تفسير ما يعن له من حديث نبوى أو أثر ، أو أى أسلوب كان ، أو أى لفظ كذلك من ألفاظ المادة .

والكتاب الثالث يتبع ترتيب المواد على نهج سابقه، سائرا معه على ترتيب أساس البلاغة. ومهما يكن من أمر ، فالملحوظ فيما أبقاه لنا الزمان من هـذا التراث النفيس أنه من العسير جدا أن نجد شيئا من هذه المصنفات خاليا من الاستطراد، أو استطراد الاستطراد . ومع ما هذا من عظيم الفائدة، أو من الفائدة المزدوجة ، نجد أنه لا يساير ما جد فى عصرنا الحاضر من دقة نظام الوقت الذى يسرع بنا إلى أمور شتى معقدة ، تقتضينا كثيرا من الإيجاز العلمى المنظم ، الذى يصل بنا إلى البغية فى وقت محدود مناسب .

ونضيف إلى ذلك أمرا آخر ، هو اختلاف النظر قديما وحديثا فى ماهية الغريب من اللغات ، وهو كالأمواج : ما يرى غريبا بالأمس هو واضح اليوم، وما يعد غريبا اليوم كان واضحا مألوفا فى الأمس .

وقد استقر نظام المعجمات فى عصرنا الحاضر على ترتيب مواد اللغة بمراعاة ترتيب حروف الهجاء فى أوائل المواد وما يليها ، فى مواد اللغة وفى مفردات تلك المواد ، مهما اختلفت وجهة النظر فى مراعاة مشتقات المادة وتصاريفها فى داخلها .

والحق أن ما اتبعه المجمع فى تأليف معجماته يتسم بجانب كبير جدا من المحافظة ، وبقدر كبير جدا كذلك من المعاصرة ، يبدو هذا واضحا فى المعجم الكبير ، فى المعجم الوسيط ، وفى المعجم الوجيز .

أما « معجم ألفاظ القرآن الكريم » ، فقد كان التفكير فيه وفى وضع منهجه وتنظيمه يجرى فى بطء متحفظ ، وفى أناة حازمة، وفى حوار متطاول ، ونقاش مسهب بين أعضاء المجمع على مدى ثلاث عشرة سنة ، إذ يرجع التفكير فى إعداد هذا المعجم الذى يعتز به مجمع اللغة العربية إلى تاريخ قديم يمتد إلى سنة ١٩٤٠ فى الجلسة الخامسة (من الدورة السابعة)

من دورات المجمع ، حيث بدأ الحوار الطويل بين أعضائه فى كثير من التردد والتحفظ حول إقرار تأليفه ، وهل هو من اختصاص مجمع اللغة العربية أم هو من اختصاص الهيئات الدينية ؟ وهل يكون فى المعجم الوسيط الذى كان إذ ذاك فى دور الإعداد ، كفاية عنه ، إذ هو يتضمن تفسير الكثرة الغالبة من ألفاظ القرآن الكريم ؟

ولعل الفضل فى بدء تحريك الفكرة بالتنفيذ، يرجع إلى الأستاذ الدكتور منصور فهمى ، الذى ذكر أن « القرآن الكريم هو الأساس المتين للغة العربية » ، وأن « العناية باللغة تتمثل فى العناية بأهم عنصر فيها » .

وقد عرض الأستاذ أحمد أمين صورتين لهذا المعجم المرتقب ، ليقرر المجمع أيتهما يختار ليكون عليها معجم ألفاظ القرآن وهما :

١ — أن يكون ميسرا ليستفيد منه أكبر عدد من المثقفين بتيسير العبارات الواردة فى الكتب القديمة .

٢ — أن يكون علميا وافيا بذكر الاشتقاقات والأصول ، وأقوال المفسرين ، مستخدما للعلم الحديث فى إعداده بوسائله المختلفة . وفى الوقت نفسه أبدى رأيه فى أن يسلك المجمع هذا المسلك الثانى .

وبعد هذا دار نقاش بين الشيخ محمد مصطفى المراغى ، والدكتور طه حسين ، حول طبيعة هذا المعجم ، ورأى الشيخ أن يكون المعجم بحيث ينتفع به أوساط الناس فلا تذكر فيه الخلافات الدينية ، ولا يتعرض فيه لذكر أشياء لم يكن يفهمها العربى وقت نزول القرآن ، ورأى الدكتور طه حسين أن تفسر الكلمات التى لم ينص المفسرون على أن لها أصولا غير عربية ، أن تفسر كما يفهمها اللغويون الآن بعد أن تقدمت الدراسات اللغوية المقارنة ، ودراسة اللغات السامية ، وانتهى الأمر بينهما بما قاله الدكتور طه : « أنه لن توضع فى معجم القرآن كلمة واحدة قبل أن يوافق عليها الشيخ المراغى ، لا باعتباره شيخا للأزهر ، بل باعتبار أننا نثق به ونطمئن إليه كل الاطمئنان » .

وفى الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر فى سنة ١٩٤٠ تقدم الدكتور محمد حسين هيكل باقتراح وضع معجم خاص بألفاظ القرآن لأن فى ذلك خدمة جليلة لمثقفى العصر ، وأعاد الأستاذ أحمد أمين عرض فكرته التى سبق أن عرضها على المجلس ، وارتأى أن يكون هذا العمل عملا موسوعيا ، على غرار ما صنعه الأوروبيون فى الكتاب المقدس ، ولا سيما ما يتعلق بالجغرافيا والتاريخ .

ودارت مناقشات جادة حول هذا المعجم، وبعدها وافق المؤتمر على القرار التالى :

« قرر المؤتمر وضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم ، وتكليف لجنة المعجم البدء فى هذا المعجم ، على أن تؤلف لجنة فرعيه من بين أعضائها ، فكلما أتمت جزءا منه عرضته على اللجنة الأصلية ، وكلما أقرت اللجنة الأصلية قسما عرضته على المجمع . وبذلك قضى على فكرة التردد التى كانت سائدة وقتذاك.

وفى الجلسة الخامسة من جلسات هذا (المؤتمر) أى فى سنة ١٩٤٠ عرض منهج العمل فى المعجم فى ثمانية بنود ، كان فى مقدمتها ما يلى :

« يفسر المعنى اللغوى للكلمة كما جاء فى النصوص العربية وكتب اللغة القديمة . ويرجع إلى ما يمكن أن يكون للكلمة من أصل فى اللغات السامية أو غيرها » .

وقد اعترض الشيخ المراغى على ذلك ، وأشار إلى الاكتفاء بما عرف العرب أنه غير عربى ساعة نزول القرآن أما ما تنوسى أصله أو صار مجهول الأصل فذلك لا ينبغى أن يرد إلى أصله ، وأن علم حديثا أن له أصلا ساميا .

وكان من هذه البنود أيضا : « أن تبين المعانى التى اكتشفها المتأخرون ، المفسرون منهم واللغويون والعلماء ، وأن ينص على مواضعها فى كتبهم وآثارهم العلمية المختلفة.

واعترض الشيخ المراغى أيضا بقوله : « إن القرآن ليس كتابا علميا. انما هو كتاب هداية ووعظ ، كما أن المسائل العلمية تتغير من وقت إلى آخر » .

وانتهى الأمر إلى قرار بوضع هذا المعجم .

وبعد مرور ثلاثة أعوام فى الجلسة (الثالثة) من جلسات (المؤتمر) فى الدورة (العاشرة) سنة ١٩٤٣ – ١٩٤٤ أعيد النقاش فى منهج المعجم ، وتباينت الآراء تباينا فى الشكل وألفت لجنة لوضع المنهج العملى لإنشاء هذا المعجم من الدكتور هيكل ، والشيخ المغربى ، والشيخ أحمد إبراهيم ، والأستاذ جب .

وفى الجلسة (الثانيه عشرة) من جلسات هذا (المؤتمر) عرضت هذه اللجنة تقريرها المتضمن للمنهج المقترح ، وتدارسه الأعضاء فى شكله وفى موضوعه ، ووافق المؤتمر على هذا التقرير بعد إدخال تعديلات عليه ، وشكلت لجنة علمية للعمل فى المعجم من الدكتور هيكل ، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والأستاذ على الجارم، والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد الخضر حسين .

وفى الجلسة (التاسعة عشرة) من جلسات (المجلس) فى هذه الدورة نوقشت ميزانية المعجم ، واتخذ المجلس قرارا لها بناء على موافقه من مكتب المجمع على ما ارتأته اللجنة من أن العمل يستغرق إنجازه ثلاث سنوات ، ويقتضى أن يخصص له مبلغ ثلاثة آلاف جنيه لشراء الكتب اللازمة ومكافأة الأعضاء والخبراء .

وفى الجلسة (الخامسة والعشرين) الختامية أعلن أن الشيخ محمد الخضر حسين استقال من اللجنة لكثرة أعماله فى مشيخة الأزهر وبعض لجان المجمع ، فانضم الشيخ أحمد إبراهيم إلى اللجنة فى المكان الذى خلا باستقالته .

وتمضى ثلاث سنوات أخرى فيعرض فى الجلسة (السابعة عشرة) من الدورة (الرابعة عشرة) سنة ١٩٤٧ ــ١٩٤٨ نموذج لمادة (بكر ، بكم) من المعجم ، ويدور نقاش مضمونه أن المعروض أم يكد يخرج ، كما قال الدكتور مدكور ، عما جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى ، ولذلك حدث تعديل فى منهج المعجم .

وبعد مرور عامين فى (الدورة السادسة عشرة) ١٩٤٩ ــ١٩٥٠ نظر (المؤتمر) فى جلستين من جلساته فى نماذج لبعض المواد جرى فى أثنائهما تعديل جديد فى المنهج .

وفى (الدورة السابعة عشرة) ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ خصصت (الجلسة السادسة) من جلسات (المؤتمر) فى هذه الدورة للنظر فى نماذج من مواد المعجم ، فكان من بين المقترحات أن يضاف إلى المعجم التعريف بالأعلام التاريخية والجغرافية وغيرها مما ورد فى القرآن ، وشكلت لذلك لجنة من الأستاذ أحمد أمين ، والدكتور إبراهيم مدكور ، والأستاذ زكى المهندس .

وفى (الدورة الثامنة عشرة) ١٩٥١ــ ١٩٥٢ خصصت الجلسة السادسة من جلسات (المؤتمر) لعرض نموذج من المعجم ، ناقشه المؤتمر ، وأصدر توصيات جديدة ، ووافق على طبع المواد التى تم إنجازها من نحــو ١٧٥٠ مادة هى مواد القرآن ، وكانت قد قسمته على أربع لجان ، بكل لجنة عضو من المجمع ، وخبير مساعد من خارجه . وقد خصص لكل لجنة ٤٥٠ مادة على وجه التقريب ، فأنجز ما أنجز ، ولم يبق إلا ٢٩٠ مادة ، فرئى أن يقدم للطبع فى مطبعة وزارة المعارف ما تم عرضه على لجنة التنسيق وأتمت النظر فيه .

وفى (الدورة التاسعة عشرة) ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣ فى الجلسة الرابعة من جلسات (المؤتمر) وافق المؤتمر على اقتراح الدكتور إبراهيم مدكور بالبدء فى طبع المعجم ، وتفويض اللجنة فى تقديم ما تراه .

وقد ظهرت أول طبعة للمعجم ما بين سنتى ١٩٥٣ و ١٩٧٠ وكان هذا فى ستة أجزاء ، طبعت الثلاثة الأولى بالمطبعة الأميرية من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٦١ . أما الرابع فقد أخرجه الأستاذ أمين الخولى سنة ١٩٦٨ وطبع بدار الكتاب العربى ، والخامس أخرجه الأستاذ حامد عبد القادر وطبع كسابقه سنة ١٩٦٩ . والسادس ، وهو ختام المعجم ، أخرجه الأستاذ محمد على النجار ، وطبع فى الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠

وهذه الطبعة الأولى متعددة المناهج لم تسر على نظام موحد دقيق .

وقد أعيد طبع المعجم مرة أخرى فى مجلدين فى الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠

وشاءت دار الشروق أن تيسر الاستفادة من هذا المعجم فرغبت إلى المجمع فى إصدار طبعة خاصة سدا للحاجة ، وتلبية للطلب المتزايد فأخرجته فى مجلد واحد سنة ١٩٨١

والمجمع الآن بصدد إصدار الطبعة الرابعة من المعجم ، وقد شكلت لذلك لجنة برياسة الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع، وعضوية عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع ، مع الاستعانة بثلاثة من الخبراء ومحررين من محررى المجمع ، ووضعت منهجا موحدا تتفادى فيه بعض ما ظهر من الأمور التى تحتاج إلى إعادة النظر ، وبدأت عملها فى ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٨٢ وهى تراجع مواد هذا المعجم مادة مادة ، وأنجزت منه إلى الآن ما انتهت فيه إلى حرف الطاء .

وكانت اللجنة موفقة فى مراجعتها إذ بدا لها أخطاء طباعية ، وأخرى تحريرية درست بعناية كاملة ، وجرى إصلاحها فى هذه الطبعة الرابعة مع إدخال تعديلات جديدة ، بعضها فى طريقة عرض المادة بترتيب أدق فى الأسماء والأفعال ، وفى العناية بالسياق الذى يضئ معنى الكلمة .

ومما أضيف فى المنهج الجديد ذكر الأعلام القرآنية مع التعريف الموجز والانتفاع بالسياق القرآنى ومضامينه فى هذا التعريف .

كما أضيف تفسير حروف المعانى ، كحروف الجر والاستفهام والشرط والنداء ، ومعانيها فى السياق القرآنى ، مع الاكتفاء بمثال قرآنى واحد لكل معنى من معانيها .

وإذا أردنا أن نعرض مناهج الأقدمين الذين ألفوا كتبهم بطريقة معجمية ، ونوازن بينها وبين منهج معجمنا المجمعى ، نجد أن أهم ما وصل إلينا منها طباعيا لا يعدو خمسة كتب رئيسية فى هذا المجال :

١ — غريب القرآن ، لابن عباس : وقد طبع مرارا باسم « تنوير المقباس ، من تفسير

ابن عباس » جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادى الشيرازى الشافعى ، صاحب القاموس، من رواية عبد الله بن المأمون الهروى عن أبيه عن أبى عبد الله محمود بن محمد الرازى ، عن عمار بن عبد المجيد الهروى ، عن على بن إسحاق السمرقندى عن محمد بن مروان، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس ، وقد ظهرت أول طبعة منه منذ ٩٠ سنة على هامش الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للإمام السيوطى، فى المطبعة الميمنية سنة ١٣١٤ . وهذا التفسير مقول فيه، فإن الكلبى قد اتهمه جماعة بالكذب . قال السيوطى فى الإتقان : فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب ».

٢ — مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ، وقد سبق القول فيه .

٣ — غريب القرآن ، لابن قتيبة .

٤ — غريب القرآن ، لمحمد بن عزيز السجستانى .

٥ — المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى .

فلنقارن بين ما ورد فى كل أولئك تفسيرا لقوله تعالى فى الآية ٦٤ من سورة الشعراء : « وأزلفنا ثم الآخرين » .

١ — فى التفسير المنسوب لابن عباس المتوفى سنة ٦٨ نجد نص التفسير فى ٤ : ٨١: « وأزلفنا ثم الآخرين » يقول: جمعنا فرعون وقومه فى النهاية، ويقال فى البحر. وكلهم كانوا كافرين .

٢ — فى مجاز القرآن لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ يقول فى كتابه ٢ : ٨٧ : «وأزلفنا ثم الآخرين ، أى وجمعنا . ومنه ليلة المزدلفة ، والحق أنها ليلة جمع . وقال بعضهم: وأهلكنا ».

٣ — وإذا سرنا فى التاريخ إلى ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ وكتابه مرتب على السور والآيات وجدناه يقول فى تفسير غريب القرآن ٣١٧ : « وأزلفنا ثم الآخرين : قال الحسن : أهلكناهم . وقال غيره : جمعنا أراد جمعناهم ، فى البحر حتى غرقوا قال : ومنه قيل : ليلة المزدلفة ، أى ليلة الازدلاف ، وهو الاجتماع . ولذلك قيل للموضع : جمع . ويقال أزلفنا : قدمنا وقربنا . ويقال أزلفك الله ، أى قربك . ويقال أزلفنى كذا عند فلان ، أى قربنى منه منظرا . والزلف : المنازل والمراقى ، لأنها تدنو بالمسافر والراقى والنازل . وإلى هذا ذهب قتادة فقال : قربهم الله من البحر

حتى أغرقهم فيه . ومنه : وأزلفت الجنة للمتقين » أى أدنيت ،وكل هذه التأويلات متقاربة يرجع بعضها إلى بعض .

هذا ما قاله الإمام ابن قتيبة ، وهو تفسير عظيم الفائدة ، ولكنه ضخم الجسم عظيم الاستطراد . ومن الممكن أن يتناوله الاختصار والاختزال إلى سطرين اثنين .

وإذا عرجنا على غريب القرآن ، المسمى نزهة القلوب للإمام أبى بكر محمد بن عزيز السجستانى المتوفى سنة ٣٣٠ وقد رتب كتابه ترتيبا هجائيا ذكيا فريدا على أوائل الحروف بحركاتها الثلاثة ، كما أسلفت القول ، نجده يقول فى ص ١٦ — ١٧ من كتابه : أزلفنا : جمعناهم فى البحر حتى غرقوا . ومنه ليلة المزدلفة ، أى ليلة الازدلاف ، أى الاجتماع .

ويقال : أزلفناهم ، أى قربناهم من البحر حتى أغرقناهم فيه ، ومنه أزلفنى كذا عند فلان ، أى قربنى منه .

أما الراغب الأصفهانى "المتوفى سنة "٥٠٢ الذى رتب "مواد" المفردات" على صورة معجمية بمواد اللغة على نظام الزمخشرى فى أساس البلاغة ، فهذا تفسيره للكلمة فى مادة (زلف) الزلفة : المنزلة والحظوة ، وقوله تعالى : « فلما رأوه زلفة » معناه لما رأوا زلفة المؤمنين وقد حرموها . وقيل استعمال الزلفة فى منزلة العذاب كاستعمال البشارة ونحوها من الألفاظ . وقيل لمنازل القمر . زلف . قال : « وزلفا من الليل » . قال الشاعر :

* طى الليالى زلفا فزلفا *

والزلفى : الحظوة . قال الله تعالى : « إلا ليقربونا إلى الله زلفى » . والمزالف : المراقى وأزلفته جعلت له زلفى قال : « وأزلفنا ثم الآخرين » ، « وأزلفت الجنة للمتقين » . وليلة المزدلفة خصت بذلك لقربهم من منى بعدا لإفاضة . وفى الحديث : « ازدلفوا إلى الله بركعتين » .

أما معجم « عمدة الحفاظ » للسمين الحلبى المتوفى سنة ٧٥٦ ، وكتابه مزج فى "تفسير غريب القرآن والحديث ، مع ترتيبه على المواد ، فإننا نجد فى "مخطوطتى مكتبة تيمور برقم ١٥٨ تفسير و ٣٣٧ لغة هذا التفسير :

قوله تعالى : « وزلفا من الليل » أى ساعات والمعنى ساعة بعد أخرى تقرب منها ، من قولهم : أزلفته أى قربته . ومنه : « أزلفت الجنة » ، أى قربت . ومنه : « وأزلفنا ثم الآخرين » . والمزالف : المراقى لأنها نزلف من يرقى عليها أى تدنيه لما يريد الصعود إليه ، ويكون ذلك فى قرب المنزلة ، ومنه : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » . وقيل المراد بقوله : « وزلفا من الليل » : صلاة المغرب والعشاء . قال الشاعر :

طى الليالى زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا

وقيل : أصل الزلفة المنزلة والحظوة، فأما قوله تعالى : «فلما رأوه زلفة» ففيه جوابان :

أحدهما : أن هذا مما عكس من الكلام كاستعمال البشارة فى العذاب .

الثانى: أن المعنى : لما رأوا زلفة المؤمنين وقد حرموها . وأزلفته : جعلت له زلفى . ومزدلفة : اسم مكان معروف ، وخصت بذلك لقربهم من منى بعد الإفاضة ، وقيل: سميت بذلك لاجتماع الناس فيها ، فإن ليلتها تجتمع فيها الحجاج . والإزلاف: الجمع ، قال ابن عرفه فى قوله : «وأزلفنا ثم الآخرين» أى جمعناهم . والأول أشهر.

وبعد هذا كله نجد استطرادا مطوّلا فى المادة يمتد إلى نحو سبعة أسطر .

فإذا عدنا بعد هذه الجولة الطويلة إلى معجمنا « معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٥٤١ فإننا نراه يتناول التفسير على هذا الوضع العلمى الدقيق:

أزلفنا : « وأزلفنا ثم الآخرين » ٦٤ - الشعراء . أى أدنيناهم وقربناهم من موسى وقومه ليروهم ويدخلوا مداخلهم حتى يغرقوا .

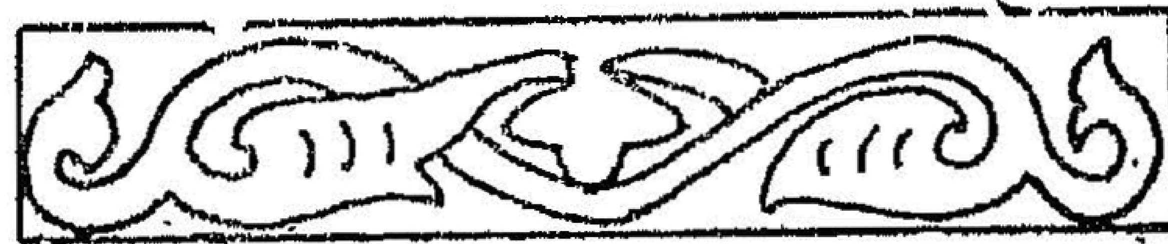
مع وضع رقم (١) فى الطبع تحت أزلفنا، إشارة إلى أن هذه الكلمة لم ترد إلا فى هذا الموضع الواحد من الكتاب العزيز .

وهذا التفسير مع دقته فى عرض الكلمة بذكر موضعها من الكتاب، ومع الإشارة إلى أنها وردت مرة واحدة فى هذا الموضع، تفسير شاف كاف ، تناول المعنى اللغوى والدلالة التاريخية، مع الإيجاز وترك الفضول التى نجدها شائعة فى معاجم السالفين .

وإنما أسهبت فى هذا كله لأقول :إن فكرة مجمعنا اللغوى ، التى اختمرت فى أول أمرها على مدى ثلاث عشرة سنة ،ويتناولها التنقيح والتعديل اليوم، قد أثمرت هذا العمل الجليل، الذى يعيد المجمع الآن طبعه للمرة الرابعة ، بعد تنقيحه وتحريره إسهاما فى خدمة الكتاب العزيز ولغته الكريمة الخالدة .

وشكرا لكم

الاستاذ عبد السلام محمد هارون
الأمين العام للمجمع



مع الخالدين

في العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية

للدكتور عبد الرزاق محيي الدين

غنيت عيدك للأقلام والكتب   فعيدت آبدات العلم والأدب
وقلت : مصر ابتنت صرحًا لمقولها   فقال كل لسان ليتنى عربى
يا معربين وأرض العرب لاحنة   وكاتبين ودنياهم بلا قصب
ومائرين صراع الملك فى سغب   وباسطين ظلال الملك فى لغب
إنَّا لمنكم وإن حدنا وقائدكم   منا وسيان إن أُخطئ وإن تصب
فما الإصابة جازتكم بمنجيتى   ولا الخطيئة أصمتكم لترأف بى
قد ادعينا فلم تفلح دعاوتنا   كما ادعيتم ولما الأمر فى لجب
لا تستقر سماوات بآلهة   فهل تقرّ وكل الحاكمين نبى
جربتموها خلافات بلا سبب   فجربوها لقاءات على سبب

* * *

يا مجمع الخالدين الخالدين به   لا بالحطامين من جاه ومن نشب
يهنيكم أن يعيش الناس فترتهم   وأن تعيشوا بمنجاة من العطب
كم تبعثون وكم تحيون فى زمن   ما أنتم منه فى زى ولا دأب
وكم يقاضى إليكم فى محاكمة   وما شهدتم ويقضى الأمر من كثب
سبحانك الله علامًا وهبت لهم   من فيض علمك ما استعصى على الحقب

* * *

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع.
وألقاها الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عضو المجمع من العراق نيابة عن المرحوم الدكتور عبد الرزاق محيى الدين

علوت يا بيت إبراهيم مذكّرًا بالآل والصحب والأنصار والعقب
فى كل عام لنا حجّ وتلبية لم تخل من نصب لم تشك من تعب
لا يسقط الفرض من عجز ومن كبر ولا نحاشى بإرهاب ولا رغب
من كل فجّ عصى المتن فى صُعُد وكل لجّ سحيق الغور فى صبب
مكبّرين سواء أن يطالعنا نص من الذكر أو قصّ عن النُّصُب
وراء نادرة عزت وما التقطت وخلف شاردة ندّت ولم تؤب
أغنت عليها عصور وهى نابضة وعطلتها عيون وهى فى لبب
أو أرتجتها متون فهى موصدة أو جللتها شروح فهى فى حجب
بقيا على اللُّغة الفُصحى وتعلية مع الحياة وإيفاء بمطَّلب

* * *

يا رادة السلم فى حرب موججة بين اللُّغات وكم حرب بلا حرَب
مرابطون على بعد وربما أتاكم الغزو من دار لكم جنب
وراصدين ثغور الفتح قاذفة بسائغ الرأى أو مرّ المذاق وبى
خذا وردًّا وتعريبًا وترجمة بحزم ذى مرة فى عطف ذى حدب
لا ضائقين بما استعصت شكيمته أو موسعين لمهزول بلا قتب
لا يأخذ الجهد منكم أو يحبط بكم ركبُ الظُّنون على قاع من الريب

* * *

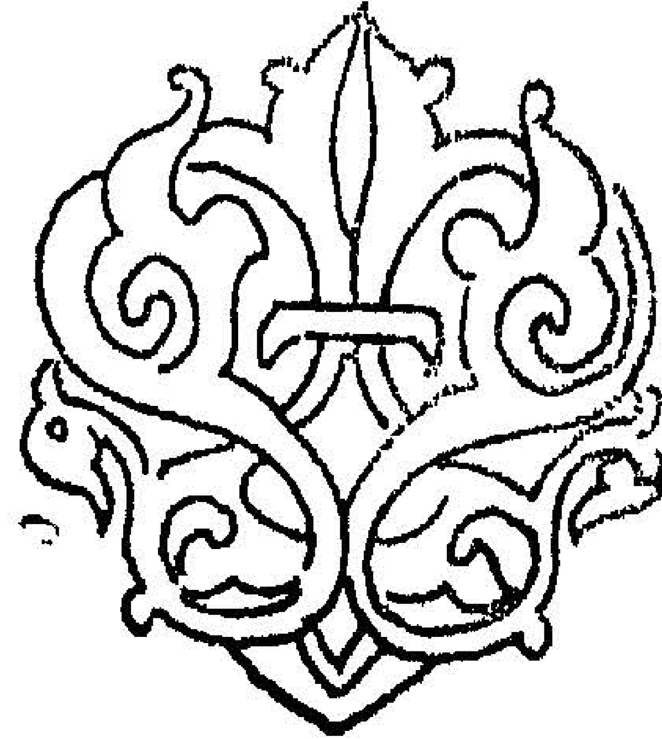
بين العراق ومصر فى الهوى نسب وإن يكن كل أرض العرب من نسب
إنَّا بدأنَا وأسّسنَا وقام على بنائنا ما أشاد الناس من قبب
إنَّا روينا وروّينا وتمّ على سماعنا ما شدته البيد من أدب
إنَّا قعدنَا وقعّدنَا وتمّ على قياسنا ما أفاد الرأى من غلب
إنَّا افترعنا من الإسلام جامعة ليس الغريب تولّاها بمغترب
بدا الخليل وأملاها وقام على تنظيرها سيبويه الفرس والعرب

تصدّر الحسن البصرى مجلسها　　وجال جولته النظام فى الشعب
وشام ماحولها الكندى فانبجست　　من صوب حران أقطار من السحب
لا دجلة الخير ضاقت من تدفقها　　ولا الفرات تلقاها بمضطرب
ألقى الغثاء جفاء حول شاطئه　　وردّها لفرات سائغ عذب
وسوف تبقى ولا دفع يزعزعنا　　عن السراط ولا نزع لمنقلب
ومصر ما مصر فى دنيا عروبتنا　　إلّا الجنان وإلّا ملتقى العصب
كبرى الشقائق أحناهن عاطفة　　وسطى الطرائق إن تمنع وإن تهب
أعلت على قمم الأهرام هامتها　　والأزهر الفذ أسراها مع الشهب
الفاطميون أعلوا من منائرها　　وأوصلوها لآل البيت فى حسب
ووسعته بنو أيوب واتسعت　　للمسلمين حنايا صدره الرحب
فالوافدون سواء فى كفالته　　كما تلاقى بنو العلات عند أب
وسوف تبقى ولا ردع يزعزعها　　عن السبيل ولا نزع لمنقلب

* * *

يا مصر دورك باق ما بقيت له　　أولا فما القوم من نبع ولا غرب
تألّفى ما تناءى من مذاهبنا　　وقرّبى فهو أزكى البر والقرب
حييت عمان فى أعلام مجمعها　　ومجمع الشام فى أعلامه النجب

عبد الرزاق محيى الدين
عضو المجمع من العراق



مجمع اللغة العربية ولغة العلم

للدكتور محمود حافظ

منذ عهد بعيد إبان القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب العرب والحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها بعد أن خيم عليها تخلف قرون ثلاثة سابقة انعكست آثاره على اللغة والعلم والمعارف الإنسانية كلها ، فظهرت فى مصر وكذلك فى شقيقاتها العربيات حركة مباركة فى هذا السبيل على يد نفر من المصلحين والمجددين .

ولكن لعل أعظم إنجاز قومى وعربى أخذ بيد اللغة العربية وخطا بها خطوات فسيحة إلى الأمام ، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور ، هو إنشاء المجامع اللغوية فى الوطن العربى ، ففى مصر وفى بداية الثلاثينيات عام ١٩٣٢ أنشئ مجمع اللغة العربية ولو أن محاولات أخرى جادة فى هذا السبيل قد سبقت إنشاءه فى مطلع هذا القرن وسبقت هذه المحاولات إلى ذلك أيضا دعوة قوية فى أخريات القرن التاسع عشر ، وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز لها لما تطلع إليه أهل العلم واللغة فى مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها ، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وملائمة للحياة العصرية المتطورة ، ودراسة المصطلحات وغير ذلك من المهام فى مختلف المجالات . وقد اهتم العلميون بصفة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظراً للدور الرئيسى الذى يمكن أن يقوم به فى مصر ، بل فى الوطن العربى ، فى تعريب العلم وترسيخ لغة العلم ونشرها ، وكذلك للعون الكبير الذى يمكن أن يقدمه لهم فى مجال المصطلحات العلمية السليمة وقد سار المجمع فى هذين الاتجاهين شوطا بعيدا بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام ، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة فى كثير من المعاجم والمؤلفات ، وقد أدلى فيها المجمع بدلوه وأبلى فيها أحسن البلاء .

الكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء والعلوم الهندسية والطبية والصيدلية والزراعية

وغيرها، وقد امتد نشاطها قرابة أربعين عاما حتى اليوم، وعلى سبيل المثال توفرت لجنة علوم الأحياء والزراعة طوال هذه السنوات على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة وعلوم البحار والزراعة ووضعت بحوثا قيمة فى بعض هذه المجالات وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية فى علوم الأحياء والزراعة التى درستها اللجنة، ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية، وشرحت معانيها، نحو عشرين ألف مصطلح علمى، وقد نشر منها عدة آلاف ظهرت فى مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى يصدرها المجمع كل عام[11].

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لجنة المعاجم بالمجمع وأضافت إليها الشروح والدلالات فى العلم الحديث كما وضعت بحوثا قيمة فى أنواع الحيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل ونشرت كلها فى مجلة المجمع، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهرى (الميكروتكنيك) وكذلك نظرت فى المصطلحات التى أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيها العلمى وراجعت بعضها مراجعة علمية ولغوية، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به اللجنة (وكذلك اللجان العلمية الأخرى بالمجمع) من البحث المستمر فى أمهات الكتب القديمة التى كتبها أسلافنا العرب وفى مختلف المعاجم والمراجع، قديمها وحديثها، مما يساعدها فى عملها وييسر لها إنجازاتها[12].

وقد اضطلعت طوال السنين الأخيرتين بعمل معجم وسيط أو وجيز فى علوم الأحياء دفعت بجزئه الأول مؤخرا إلى المطبعة وفى سبيل إنجاز الجزء الثانى منه فى وقت قريب ويضم هذا المعجم نحو عشرة آلاف مصطلح من المصطلحات العلمية مزودة بالشروح والمقابلات التى أقرها المجمع وقصد بهذا المعجم (اقترح فكرته وعمله المغفور له الدكتور محمود توفيق حفناوى عضو المجمع) أن يكون عونا لطلاب المعاهد والجامعات فى دراساتهم لعلوم الأحياء والزراعة. وقد أنجز المجمع كذلك معاجم أخرى متخصصة فى علوم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا وغيرها، وقد بلغ عدد المصطلحات العلمية التى أنجزها المجمع فى مختلف فروع العلم البحت والتطبيقى نحو مائة ألف مصطلح مزودة بشرحها ومعانيها ومقابلاتها باللغة العربية.

وحين تتصدى اللجان العلمية بالمجمع لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى وتبحث عن أفضل المقابلات له وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق فى الكتب القديمة فتأخذ به لتشيع استعماله ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص فى اللجان العلمية ومجلس المجمع ومؤتمره السنوى كفيلة بصقله وصوغه الصياغة

المثلى وإقراره" وقد أدت آلاف المصطلحات التى أنجزها المجمع بهذا الأسلوب الأمثل والرصين خدمات جليلة للغة العلم ودعمها وترسيخها ونشرها فى مختلف المجالات .

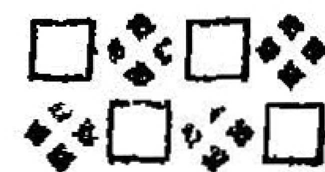
ولعل أهم ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات هو توحيدها فى الوطن العربى وهو أمل طالما تطلع إليه المشتغلون بالعلم واللغة للقضاء على بلبلة قائمة فى استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة فى البلاد العربية ، ومما يجدر الإشارة إليه أن مجمع اللغة العربية فى مصر يقوم بجهود مرموقة فى هذا السبيل ، وذلك فى مؤتمره السنوى الذى يعرض فيه من المصطلحات العلمية ، ويحضر هذا المؤتمر عدد من أعضاء المجامع اللغوية فى الوطن العربى يشاركون فى مناقشاته وأعماله .

ولست فى حاجة إلى القول إنه إذا كانت حركة التعريب العلمى والنقل إلى اللغة العربية فى مختلف مجالات العلوم الأساسية والتطبيقية قد خطت خطوات فسيحة إلى الإمام فى الخمسين سنة الماضية مع ظهور المئات بل الآلاف من الكتب والمؤلفات والمعاجم العربية فى مصر والوطن العربى فإن اللغة العربيـة بمجامعها وحفظتها وكانت ولا شك المعين الذى لا ينضب والبحر الزاخر الذى اغترف منه المؤلفون والدارسون كؤوسا مترعة بآلاف المصطلحات والمقابلات التى زخرت بها كتبهم وأسفارهم ممـا ينهض دليلا ساطعا على قوة هذه اللغة وتراثها وشمولها واتساع آفاقها وقدرتها الفائقة على استيعاب التطور المتلاحق فى شتى قطاعات العلم والمعرفة ودحضا للفرية التى انتشرت بين المتعلمين فى أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذى نشهده فى هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى .

تحية إلى مجمع اللغة العربية فى مصر فى عيده الذهبى ومرور خمسين عاما على إنشائه هيئة مباركة قوامة على اللغة ، وتحية إلى علمائه الأعـلام يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية — لغة العلم — سالف مجدها وهم بالغوه بإذن الله .

والله ولى التوفيق . . .

الدكتور محمود حافظ
عضو المجمع



مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمي

للدكتور محمود مختار (*)

السيد الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع .

سيداتي وسادتي ضيوف المجمع في عيده الذهبي . زملائي الكرام .

أحييكم أجمل تحية في هـذه المناسبة السعيدة في العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية الخالدة ، وبعد .

يقولون إن العلم هو معيار حضارة الأمم وبه تصنف إلى أمم متقـدمة وأخرى نامية وثالثة متخلفة . ومن المعلوم أيضاً أن مطية السير في ركب العلم هي لغته ، بوصفها الصلة الفكرية بين العلماء بعضهم وبعض ثم بينهم وبين مجتمعهم .

وللعلم لغة تتميز عن لغة الأدب ولغة الدين بمفهوم ذي أبعاد ثلاثة هي : طبيعتها وأسلوبها ومفرداتها ، فطبيعة لغة العلم هي الوضوح التام لفظا ومعنى . وأسلوبها التركيز مع الاستعانة بالرموز والأشكال والرسوم والمعادلات . وأخيراً تأتي مفرداتها وهي المصطلحات التي يتحدد كل منها بمفهوم واحد ودلالة واحدة .

وإذا كان العلم المطلق لا وطن له ولا حدود ، فإن لغته تختلف من مجتمع لآخر ، وتتباين قوة وضعفاً بتباين قوة المجتمع وضعفه . فالمجتمع القوي تغزو لغته العلمية أفاقاً بعيدة وتفرض نفسها على أنماط الحـياة الحضارية بوجه عام والمجتمع الضعيف قد يسلك أحد طريقين : فهو إما أن يعزل لغته العلمية عن مسايرة اللغات العلمية الحية ، فيعزل نفسه عن ركب الحضارة ذاتها ، أو أنه قد ينساق خلف مجتمع متقدم منقادا بلغته العلمية مكتفيا بالتقاط ما يمن به عليه من فتات العلم . ومن الواضح أن كلا من طريقي العزل والانسياق أبغض من الآخر .

(*) ألقي هذا البحث في العيد الخمسيني للمجمع في الجلسة السادسة (الختامية) .

وقد يكون من أهم أسباب عجز اللغة العلمية فى مجتمع ضعيف إهمال اللغة القومية فى التعليم وإحلال لغـة أجنبية مكانها ، والنتيجة الحتمية لذلك هى جمود اللغة القومية واضمحلالها وإنحياز الدارسـين لتبعية فكرية أجنبـية تجرهم لنوع من الولاء أو الانتماء لمن استقوا العـلم بلغتهم . وتلك للاسف إحدى وسائل المجتمع القوى لإحكام قبضته على المجتمع الضعيف .

لأنتقل الآن إلى اللغة العربيـة لأتبين موقعها من مقتضيات العـلم ومتطلباته فأقول ، إنها دون شك من أقدر اللغات إيفاء بها . وخير دليل على ذلك هو تألق اللغة العلمية العربية فى عصر النهضة الإسلامية ، التى كتب فيها العرب أعظم المؤلفات العلمية وأخذها عنهم علماء النهضة الأوربية ، وشيدوا بها أسس نهضتهم الحديثة ، وربما كان أروع مثل لذلك كتاب الشفاء لابن سيناء الذى يقع فى أكثر من عشرين مجلدا تناولت شتى مجالات العلوم وترجمت إلى عدد كـبير من اللغات الأوربية . وقد امتد هذا العصر الذهبى لعدة قرون . ولكن نجمه لم يلبث أن أفل فى عصور الاضمحلال والتخلف ، فأصيبت لغة العلم هى الأخرى بالهزال وبالعقم .

وفى نهاية القـرن التاسع عشربدأت صحوة عربية لإعادة اللغة العلمية العربية إلى سابق مجدها ، فنشطت حركة التأليف والترجمة فى علوم الطب والزراعة والصيدلة والفيزيقا والفلك والرياضة ، وظهر عدد من المعاجم العلمية المتخصصة ، ولكن خطى المسيرة لم تلبث أن تباطأت مع بدء نكبة الاحتلال الأجنبى . وتسللت إلى مجتمعنا العربى دعوى عقم العربية وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة . وفرض المحتل لغته على التعليم العام والتعليم العالى مركزا على التعليم الهندسى والطبى والأساسى ، أما التعليم الزراعى والتعليم التجارى فقد حاربا هذه الدعوة واحتفظا وما زالا باللغة العربية العلمية .

وفى الثلاثينيات من هذا القرن تعالت الصيحات والنداءات محذرة من أخطار التعليم الجامعى بلغة غير العربية ومنادية بضرورة تعريب التعليم الجامعى فى كافة تخصصاته . ورب قائل يقول إن موضـوع التعريب فى الجامعات لا يحتاج لأكثر من إصدار تشريع أو قانون يلـزم الجامعات بتدريس العلوم باللغة العربية . وهذا صحيح تماما ، ولكنه لا يعدو أن يكون نقطة بداية فقط ، أو أنه الضوء الأخضر الذى يفتح الطريق للسير فقط . أما الطريق ذاته فله ضوابط وأحكام يجب أن يلتزم بها من يطرقه ليبلغ مداه بنجاح . ولدينا تجربة حية على ذلك ، فقد سبق لأول جامعة فى مصر والعالم العربى أن نصت

فى صدر قانون إنشائها من نحو نصف قرن أو يزيد على أن تكون لغة التدريس فيها هى العربية، ولكنها تحفظت تخوفا من أخطار العجلة ، فأجازت التدريس بلغة أجنبية إذا لم تكتمل للدراسة بالعربية كل مقوماتها . وفعلا كان هـذا التشريع فتحا للطريق أمام الجامعيين وحفزا لهم على ارتياده ، ولكن المعوقات كانت أكبر من جهدهم . فالتعليم الجامعى فى العلوم الأساسية والتطبيقية الحديثة كان هو نفسه جديدا عليهم ، وكانت الأساتذة والمراجع والكتب كلها بلغة أجنبية ، فأبطأت موجة التعريب من خطاها حتى يتضح مسارها وسط عاصفة عاتية من تطور سريع فى العلـوم التقليدية وظهـور علوم بينية وعلوم جديدة ، وما صحب ذلك كله من أنهار مصطلحات علمية جديدة لم تتمكن اللغة العربية العلمية من استيعابها ومواجهتها فى وقت قصير . وقد رأت بعض الجامعات فى الوطن العربى بدافع من القومية العربيـة المتحمسة تجاوز هـذه العقبات وفرض التعليم الجامعى كله بالعربية بتشريع ملزم ، دون اعتبـار لاستكمال مقوماته . فعزلت علماءها عن ركب العلم الحديث .

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المقومات للتعريب بالبحث والتحليل، واكتفى بإلقاء الضوء على ما يحتل منها المقام الأول فى الأهمية وهى :

- وضع المصطلحات العلمية الموحدة على مستوى الوطن العربى
- تشجيع التأليف والترجمة العلمية :
- تطويع اللغة العلمية العربية لمتطلبات العلوم الحديثة .
- العناية بلغة أجنبية حية إلى جانب العناية باللغة العربية .

ومن الواضح أن هذه المقومات الأربعة تمثل أهم مركبات البناء المتكامل لصرح تعريب التعليم الجامعى ، ويأتى وضع المصطلحات العلمية فى المقام الأول منها بوصفها اللبنات التى يقوم بها البناء . وسوف أقتصر فى حـديثى اليوم عن هذا المقوم الأساسى وما تبذل فيه من جهود دون انتقاص بطبيعة الحال من أهمية المقومات الثلاثة الأخرى التى قد يحتاج كل منها لأكثر من حديث منفصل .

والحديث عن المصطلحات العلمية العربية ليس جديدا علينا، فقد سبق أن تناولته هيئات علمية عديدة ومجامع للغة العربية وأفراد كثيرون فى الوطن العربى الكبير . وعقدت له المؤتمرات والندوات وألقيت الأحاديث وكتبت المقالات التى يضيق المقام عن حصرها، ولكن معظم هذه الجهود ظلت حبيسة المجلات والملفات، وظل التعليم الجامعى يعانى مرضه المزمن بلغة أجنبية . وإذا تقصينا أسباب هذا التعثر فى محاولة لعلاجه برز لنا أكثر من سبب :

أولا : إن المصطلحات قد وضعت بجهود فردية مرتجلة غالبا ، قام بها لغوى أو علمى بمفرده . ولا يخفى أن أى جهد فردى قد يخطئ مرة بقدر ما قد يصيب أخرى . والطريق الأصوب إذن ، هو تضافر مجموعات من العلميين واللغويين فى كيان متكامل يظللهم جميعاً هيئة موحدة للتنسيق .

ثانيا : ظهور المصطلح الأجنبى المتخصص الواحد فى معظم المعاجم العلمية بعدد من المقابلات العربية ، مما يترتب عليه زيادة البلبلة فى أى المقابلات أصلح . وبالتالى زيادة مشاكل التأليف والترجمة والتعريب ، والطريق الأمثل إذن هو الاقتصار على مصطلح عربى واحد ، مقابل المصطلح الأجنبى الواحد المتخصص ، وهذا يستلزم هيئة موحدة للإشراف والتقنين .

ثالثا : ظهور المصطلحات فى المعاجم العلمية العربية غير معرفة ، مما يترتب عليه موض المعنى المقصود واللبس ، فتعريف المصطلح هو أشبه بالمذكرة التفسيرية التى تلحق بالقانون لإيضاحه .

رابعا : عدم وجود نهج أو أسلوب موحد متعارف عليه يلتزم أو يستنير به واضع المصطلح وينأى به عن الارتجال أو التزمت ، سواء كان هذا التزمت تمسكا بقديم مهمل أو بمغالاة فى تعريب مطلق .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه العلل فتور الدعوة لتعريب التعليم الجامعى ، بل وظهور لغة مولدة عقيمة تمتزج فيها لغة محلية عامية بلغة أجنبية ركيكة ضعيفة . وقد استشرت هذه اللغة — إن جاز لنا أن نسميها لغة — فى جميع الكليات العلمية الجامعية فى معظم أرجاء الوطن العربى .

فى خضم هذه الزوبعة العاتية ، ولد مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ خمسين عاما . ووكل إليه إلى جانب اضطلاعه برسالته الحيوية فى الحفاظ على سلامة اللغة العربية أن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة للحياة العصرية الحديثة . ورأى المجمع أن المصطلحات العلمية هى العقبة الأساسية التى عليه مواجهتها . فاتخذها هدفا رئيسيا من بين أهدافه ، ووفر لها الإمكانات والمقومات التى تكفل لها الصلاحية وتقيها أسباب التعثر التى أشرت إليها من قبل . وسار المجمع متأنيا فى أول الأمر حتى استقرت خطاه، ثم اتسعت وتسارعت شيئاً فشيئاً يحدوها تعاون وثيق بالهيئات العلمية ويحفزها توفيق مطرد .

فأنشأ المجمع لكل فرع من فروع العلوم الأساسية والتطبيقية لجنة علمية لغوية متخصصة تجمع عددا من اللغويين والعلميين من بين أعضائه وعددا من الخبراء المتخصصين فى المادة ، وتزايد عدد هذه اللجان تباعا لتغطى معظم المجالات العلمية حتى بلغ عددها الحالى تسع لجان يعمل فيها نحو ٣٠ عضوا مجمعيا و٥٠ خبيرا . وكان أحدثها لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات أو ما يمكن أن نطلق عليها اسم لجنة الحاسبات الإلكترونية . وهذه اللجان التسع هى :

لجنة الرياضيات بفروعها .

لجنة الفيزيقا .

لجنة الكيمياء والصيدلة .

لجنة الهندسة بفروعها .

لجنة الجيولوجيا .

لجنة الأحياء والزراعة بفروعها .

لجنة الطب بفروعه .

لجنة البترول .

لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات .

ومهمة كل لجنة من هذه اللجان المتخصصة هى إعداد المصطلحات إعدادا علميا ولغوياً دقيقاً وتعريفها تعريفاً معجمياً ، وذلك وفق نهج مفصل ومحدد رسمه لها مجلس المجمع وأقره مؤتمره العام .

وتعرض أعمال اللجنة المتخصصة على مجلس المجمع لمناقشتها وتهذيبها أو تعديلها أو ردها إلى اللجنة لإعادة نظرها . ويلى ذلك خطوة هامة وأخيرة وهى عرضها على المؤتمر السنوى للمجمع فى حضور أعضائه من مجامع اللغة العربية الشقيقة ؛ لمناقشتها على مستوى عربى شامل وتقنين صلاحيتها للاستعمال على المستوى العربى .

وباكتمال هذه المراحل فى صياغة المصطلح العلمى وتقنينه وتعريفه ، يسجل فى النشرة الدورية للمجمع ليكون فى متناول الجميع ، كما يسجل فى جزازات ترتب وفق الحروف الهجائية فى مجموعات متخصصة . وتحفظ بادارة خاصة بالجزازات والتى نأمل أن يوفر لها حاسب الكترونى فى القريب لتيسير الرجوع إليها ودقة العمل بها .

أما النهج المفصل لاختيار المصطلح الذى أشرت إليه فقد أولاه المجمع اهتماما خاصا : فعهد بوضعه إلى لجنة خاصة من بين أعضائه العلميين واللغويين ، فى ضوء التوجيهات والتوصيات التى كانت ترد تباعا فى جلسات المجمع وما سبق من أحاديث وبحوث فى مؤتمرات التعريب فى الوطن العربى . وخرجت اللجنة من كل ذلك بمشروع نهج لاختيار المصطلح العلمى ، عرض على المجلس فناقشه ، وانتهى فيه إلى صورة سجلت فى محاضرة وأخرجت فى نشرة خاصة مفصلة وزعت على نطاق واسع فى الوطن العربى . ومازالت متاحة لمن يطلبها .

وأستأذنكم فى أن أوجز ماجاء بهذه النشرة بقدر استطاعتى : فقد استهلت بذكر مبادئ مستقاة من قانون إنشاء المجمع ، وهى الحفاظ على التراث العربى والوفاء بأغراض التعليم الجامعى ومسايرة النهج العلمى العالمى . ثم تناولت النشرة بعد ذلك أسلوب اختيار المصطلح نفسه فى كل من حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه ، وأحاطت كلا منها بضمانات وأحكام .

وبدأت بالترجمة فآثرتها على التعريب ما أمكن ، واشترطت فيها أن يتفق المصطلح العربى مع المدلول العلمى للمصطلح الأجنبى دون التقيد بدلالته اللفظية . فلا يقال مثلا تحت التيار مقابل down stream بل يقال مهبط التيار ، ولا يقال قنبلة راديوم مقابل radium bomb بل يقال مصدر إشعاع راديومى .

وأوصى النهج بالحفاظ على الألفاظ العربية الأصل التى انتقلت إلى اللغات الأجنبية مثل القرنية مقابل cornea . وأجاز التحلل من القديم إذا ثبت عدم صلاحيته للاستعمال الحديث مثل الغول مقابل alcohol . كما أوصى بإيثار الألفاظ غير الشائعة لأداء المصطلحات العلمية ذات الدلالات المحددة مثل لفظ كم مقابل quantnm بدلا من كمية . ونص على تجنب الألفاظ الغريبة والمبتذلة .

ولما كانت اللغة العربية تتميز بطواعية كبيرة للاشتقاق والتصريف والتوليد والقياس والمجاز لاتتوافر فى أية لغة أخرى ، فقد أوصى النهج بالاستفادة من هذه الميزة على أن يولها اللغويون فى اللجان عناية خاصة وييسرونها ما أمكن ، حتى لايلجأ العلميون لاستسهال التعريب .

أما تعريب المصطلح فقد أجازه النهج إذا لم تتيسر الترجمة ، وأخضعه لضوابط كذلك . منها أن يكون المصطلح الأجنبى مشتقا أصلا من لفظ إغريقى أو من لغة علمية حية وانتشر استعماله عالميا . وعلى أن يقاس المصطلح المعرب على اللسان العربى

ويكون قريبا ما أمكن من الأصل الإغريقي ، مثال ذلك لفظ فيزيقا مقابل physics بدلا من فيزياء .

وأوصى النهج باعتبار المصطلح المعرب لفظا عربيا تجرى عليه قواعد اللغة العربية مثل التأين والبسترة والأكسدة . وأوصى بإقرار مادرج المختصون على استعماله من مصطلحات خاصة بهم أو مقصورة عليهم مثل فلورة وهدرتة مقابل fluorcscence - hydration . وتصحيح الخطأ الشائع أينما يوجد مثل حاسب إلكترونى بدلا من عقل إلكترونى .

وفى كلتا حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه أوجب النهج تحديد الدلالة العلمية له تحديدا علميا دقيقا وذلك بضرورة وضع تعريف علمى له، مصاغا بأسلوب معجمى: فالمصطلح بدون تعريف كالبناء بدون أساس .

ونص النهج على إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد : ما أمكن لتسهيل الاشتقاق منه والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه . فلايقال مقياس درجة الحرارة بل ترمومتر : وأوصى النهج بتوحيد المصطلحات المشتركة بين المواد المختلفة إلا إذا أختلفت دلالاتها .

ومن المعلوم أن التركيب والنحت فى اللغة العربية غير مستحب لأنه يجافى طبيعتها. ولكن اللغة العلمية تضطر أحيانا لقبوله ، بل وتميل للتوسع فيه . وقد سبق أن استساغت اللغة ألفاظا مركبة كالبسملة والدرعمى والبرمائى .

وأجاز النهج كذلك استخدام السوابق واللواحق والتوسع فيها لمواجهة السيل الجارف من الألفاظ العلمية الحديثة . ولكنه أحاطها أيضا بضوابط تتفق وطبيعة اللغة العربية وأحكامها . منها قصر إلحاق السابقة العربية على لفظ عربى مثل لاسلكى ، وقصر إلحاق السابقة المعربة على لفظ معرب مثل بيوفيزيقا . وهذا معناه عدم المزج بين شقين لمصطلح واحد منحوت من لفظين مختلفى الأصل ، ولأهمية موضوع السوابق واللواحق أفرد له المجمع نشرة خاصة وذيلها بمجموعة كبيرة من الأمثلة فى شتى العلوم .

سيداتى وسادتى :

هذا هو جانب واحد من جهود المجمع فى إعداد المصطلح العلمى ومايستلزمه من أحكام وضوابط لاختياره ولتعريفه ولتقنينه . يبقى بعد ذلك جانب آخر هام ، وهو نشر

هذه المصطلحات بإصدارها فى معاجم علمية متخصصة . وهذه أيضاً قد تبناها المجمع فأنجز منها هذه المعاجم :

- معجم الفيزيقا النووية ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا
- معجم الجيولوجيا ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
- معجم ألفاظ الحضارة والفنون ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
- معجم الفلسفة ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
- المعجم الطبى (جزء أول) ويشمل نحو ٨٠٠٠ مصطلحا .
- معجم الفيزيقا الحديثة (جزء أول) ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
- معجم الكيميا والصيدلة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
- معجم الأحياء والزراعة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
- معجم علم النفس والتربية (جزء أول) ويشمل نحو ١٠٠٠ مصطلح .

وهناك عدد من المعاجم العلمية فى مرحلة الإعداد باللجان المختصة .

سيداتى وسادتى :

هذه صفحة من إنجازات مجمعنا الخالد تناولتها فى إيجاز أرجو ألا يكون مخلا ، بها أثريت اللغة العربية بعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية الحديثة فى المجالات العلمية البحتة والتطبيقية ، قياما بواجب المجمع نحو جعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون والحضارة الحديثة ، وفتحا لطريق تعريب التعليم الجامعى وتذليلا لأكبر معوقاته .

ويشرفنى أن أختم حديثى بتوجيه التحية والتقدير لمجامع اللغة العربية الشقيقة فى دمشق وبغداد وعمان وإلى مركز تنسيق التعريب بالرباط وجميع العاملين فى ميدان التعريب والمصطلحات العلمية . وأدعو لتضافر الجهود بين العلميين العرب بعقد المؤتمرات العلمية بينهم باللغة العربية ، وعقد ندوات للتعريب والمصطلحات بصفة دورية لمتابعة الجديد فيها . وفى هذا كله ما يحفز الهيئات الجامعية على فرض تعريب التعليم فيها دون حاجة لتحفظ ، وبه يوثق الرباط بين أفراد الأمة العربية ويعلو شأنها بين الأمم المتحضرة لتكون خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور محمود مختار
عضو المجمع

مجمعيون شعراء

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قد يجتمع الشعر بخياله الواسع وآفاقه المحلقة مع اللغة (*) والنحو بدراساتهما المنهجية المتزمتة .

ومنذ البدايات الأولى لظهور اللغويين والنحاة رأينا أن بعض علماء هذين العلمين قد انقاد لهم الشعر ، وذل لهم عصيه ، فنظموا وحلقوا فى الخيال ، وأثر عن كثير منهم الأبيات السائرة ، والأشعار المستحسنة . ونستطيع فى هذا المقام أن نعد عشرات من اللغويين القدامى الذين دخلوا ميدان الشعر بجانب المجال اللغوى فأجادوا فيه . ومن هؤلاء اللغويين الشعراء : الخليل بن أحمد ، وابن السكيت ، وابن فارس صاحب «المجمل» و «المقاييس» وابن خالويه ، وأبو سعيد السيرافى ، ومكى ابن أبى طالب القيسى القيروانى ، صاحب « الكشف عن وجوه القراءات السبع » ، و «شكل إعراب القرآن » وغيرهما ، وأبو عبد الله المالقى القرطبى وغيرهم . وهل ننسى الأبيات الرفيعة التى قالها « الخليل بن أحمد » حينما طلبه الخليفة سليمان بن عبد الملك للوفود عليه فى حضرته ، فاعتذر فى شمم العالم المعتز بالله قائلا :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة ... وفى غنًى غير أنى لست ذا مال

سخا بنفسى أنى لا أرى أحدًا ... يموت هزلًا . ولا يبقى على حال

والرزق عن قدر ، لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حولُ محتال

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

وهل ننسى (ابن فارس) اللغوى الذى عز عليه أن يشكو حاجته ، فقال فى عزة الغنى بالله :

وقالوا كيف حالك ؟ قلت خير تقضَّى حاجة ، وتفوت حاج

إذا ازدحمت هموم الصَّدر قلنا عسى يومًا يكون لها انفراج ؟

وهل ننسى « ابن السِّكيت » الذى نسب إليه صاحب (شذرات الذهب) البيتين التاليين :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يُصاب المرءُ من عثرة الرِّجل

فعثرته بالقول تُذهب رأسه وعثرتُهُ بالرِّجل تبرا على مهل

وهل يغيب عن بالنا قول « ابن خالويه » المنطوى على الحكمة :

إذا لم يكن صدر المجالس سيدا فلا خير فيمن صدَّرته المجالس

وكم قائل : مالى رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس .

وهل يفوتنا البيتان البديعان فى الحث على الإقلال من الزيارة « لمكى ابن أبى طالب » ، مع الاستشهاد المحكم الدقيق بمثال من الواقع المحسوس ، وهما :

عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا

ألم تر أن القطر يُسأم دائبًا ويُطلب بالأيدى إذا هو أمسكا ؟

وأخيرًا هل يضيع منا قول « أبى عبد الله المالقى القرطبى » — النحوى اللغوى — فى حسن الظن بالله ، والأمل العظيم فى جميل إحسانه فى الغد ، كما أحسن بالأمس ، حيث يقول :

سهرتْ أعينٌ ونامت عيون لأمور تكون ، أو لا تكون

فاطرح الهم ما استطعت عن النفـ ـس فحملانك الهموم جنون

إنَّ ربًّا كفاك بالأمس ما كا ن سيكفيكَ فى غد ما يكون ..

وبعد : فهذا مدخل لم يكن منه بد للدخول على موضوع « المجمعيون الشعراء » وهم — بارك الله فيهم — مظنة أن لا يجمعوا بين اللغة والشعر ، ولكنهم جمعوا فكتب الله لهم التوفيق فى المجالين .

وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى أحق بالدخول فى مجمعنا قبل أن يلجه من الشعراء والجِنّ ، وكان أولى بأن يكون واحدًا من أفراد فوجه الأول سنة ١٩٣٣ لولا أن المنية أدركته سنة ١٩٣٢ ، فحُجب عن ساحته .. وبهذا حُرم المجمع نعمةَ الظفر بشاعر لم تجد به العروبة منذ ألف عام .

ونستهل الحديث عن شعراء المجمع « بإبراهيم المازنى » ، ولو أنه دخل الحرم المجمعى سنة ١٩٤٧ متأخرًا عن زميله « على الجارم » الذى دخل المجمع فى أول فوج سنة ١٩٣٣ ، وعن رفيقه ، وزميله « عباس محمود العقاد » الذى دخل المجمع سنة ١٩٤٠ ، « والمازنى » جدير بأن يتبوأ مكان الصدارة فى الحديث عن المجمعيين الشعراء ، بشهادة العقاد له فى المقدمة التى كتبها للطبعة الثانية من ديوان المازنى الذى نشره المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦١ حيث يقول : (وللمازنى أسلوب خاص لا يدلك على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التآلف الذى تجده بين قلمه ونفسه ، فإن قلمه يتحرّى الفخامة فى اللفظ والروعة فى حوك الشعر ، كما تتحرى نفسه – على لطافتها – الفخامة فى المشاهد ، والروعة فى مظاهر الكون والطبيعة) .

وما أصدق المازنى وهو يحدثنا عن « الشعر » وقيمته فى مقطوعته : (قبر الشعر) التى يقول فيها :

ليت ديوانى يكون له   من بديع الزهر تيجان
فكأنَّ الشعر فى جدث   فوقه وردٌ وريحانُ
يا لها مِن جفرة عجب   كلُّ ما تطويه أشجانُ
كلُّ بيت فى قرارته   جثةٌ خرساءُ مرنان
خارجًا من قلب قائله   مثلما يزفِرُ بركان

وإذا كان الجزءُ الأول والثانى من ديوان المازنى قد طبعا فى حياة الشاعر وصنعا على عينه ، فإن الجزء الثالث قد طبع سنة ١٩٦١ بعد وفاة المازنى ، وقد

كان مجموعًا عند شقيقه أحمد عبدالقادر الذى قدمه إلى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، فتولى المجلس إصداره بمراجعة الشاعر « محمود عماد » وضبطه وشرحه . وبهذا ظهرت أجزاء ديوان المازنى الثلاثة فى مجلد واحد .

ومن الغريب أن الشاعر المجمعى « المازنى » رضى عن شعره أول الأمر ، ثم أنكره بعد ذلك وهجره ، ثم أعرض عن نظم الشعر جملة وتفرغ للنثر ، ولكن شعره الخالد لم يهجره ، بل ظل منتميًا إليه ، منسوبًا له ، لصيقًا به التصاق الابن بأبيه ، والمرء بذويه ..

ويجرنا الحديث عن « المازنى »المجمعى الشاعر إلى رفيقه وزميله المجمعى الشاعر : « عباس العقاد » . وللعقاد رأى فى الشعر والشاعر جاء فى خلال قصيدته (الحب الأول) حيث يقول :

إنى ألوذ بشعرى حينَ يطرقنى   من الطـوارق نزّال وضيفان
والشعرُ من نفس الرحمن مقتبسٌ   والشاعر الفذُّ بين الناس رحمان
الحب والشعر دينى والحياة معًا   دِينٌ لعمرك لَا تَنفيه أديان
هى الحياة جنينُ الحب من قِدم   لولَا التجاذبُ ما ضمتك أكوان
والشعر ألسنة تُفضِى الحياةُ بها   إلى الحياة بمـا يطويه كتمان

وعلى الرغم من حركة (الديوان) التى قام بها العقاد مشتركًا مع المازنى فى الحملة على (شوقى) الشاعر بوصفه الرمز الذى تمثلت فيه كل خصائص الشعر التقليدى القديم ، لم يُسقط شعر المناسبات من حسابه إذا ما عُنِى الشاعر فيه بأصالة الفكر والشعور . وبهذا أتاح العقاد لنفسه ولتلاميذ مدرسته أن ينظموا فى المناسبات على شريطة ألّا يجعلوا منها معرضًا لتأنق الصناعة وبراعة الأسلوب وحسب ، على نحو ما كان يفعل القدماء ، بل على شاعر المناسبة أن يرتفع بها من مقام الخصوصية والذاتية إلى مستوى الشعور الإنسانى العام فإن العناية فى الشعر بالصياغة وحدها لا تنتج شعرًا له قيمة ، وإنما تنتج جُملًا جيدة الوصف ، ميتة الشعور .

والحق أن الحملة القاسية التى قام بهاالعقاد على المدرسة القديمة للشعر العربى ، وعلى « أحمد شوقى » بالذات كانت تجنحفى كثير من الأحيان إلى الجرح والتجنى على أمير الشعراء ، ولكنها أنجبت لناشعراء أفادوا من توجيهات العقادوالمازنى وملاحظاتهما ، مع عدم المساس ببناء القصيدة العربية التقليدية ؛ وإن كان بعض الشعراء المتحررين انتهزوا الفرصةليتخلصوا من قيود الوزن والقافية .. وتلك قضية لا نتعرض لها اليوم لأنها لا تدخل فى موضوع بحثنا .

وقد انفرد « العقاد » فى شعره بالأصالةوعدم التقليد ، فهو فى الشعر العربى كيان متميز وحده ، ومن هنا أكبره الدكتورطه حسين وقال عنه : (إنى أكبر العقاد لأنى إذا قرأت شعره مرة ومرة ومرة ، لم أستطع أن أقول لنفسى : قد قرأت هذا الكلام من قبلُ ، أو أين قرأت هذا ؟أفى شعر البحترى ؟ أم عند أبى تمام ؟ أم سبق أبو نواس إلى مثل هذا الكلام ؟كلَّا ! إنما تقرأون العقاد فتقرأونه وحده ، لأن العقاد ليس مقلدًا ، ولا يستطيع أنيقلد ،ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية العقاد فوق الفساد ..) .

وعلى الرغم من أن « المازنى » زهد فى الشعر وخلَص للنثر ، وأن عبد الرحمن شكرى زهد فى الشعر وفى النثر وفى الناس وفى الحياة كلها ، فإن « العقاد » ظل مواليًا للشعر والنثر على حدسواء ، فما أجبل ولا نضبت قريحته ، كما ظل وفيًّا لأصدقائه وزملائه المجمعيين . وكأنَّ دموعه وهو فى المجمع كانت وقفًا على رثاء الراحلين من أعضائه . وما زالت محاضر جلسات المجمع وصفحات مجلته حافلة بمراثيه لأحمد لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، ومصطفى عبدالرازق وعبد القادر حمزة ، وإبراهيم المازنى ، وعلى الجارم . كما أن دواوينه حافلة بمراثيه للزعيم محمد فريد ،وسعد زغلول ومحمد محمود ، والكاتبة النابغة مى زيادة وأحمد ماهر ، وهدى شعراوى ، ومحمود فهمى النقراشى ، وحافظ إبراهيم ، والأديب محمد السباعى وغيرهم من شوامخ مصر الحديثة .

ويحملنا اعتبار (الأقدمية) فى دخول المجمع على الحديث عن الشاعر المجمعى: «على الجارم». وللأقدمية اعتبارٌ فى التسجيل، وإن كان ليس لها اعتبار فى التقدير والتفضيل. ولم يكن «الجارم» هو الشاعر الوحيد الذى ظفر بعضوية المجمع فى أول فوج سنة ١٩٣٣، فقد كان من العشرين المعيَّنين الشيخ محمد الخضر حسين الذى صار فيما بعد سنة ١٩٥٢، شيخًا للأزهر. وهو شاعر وله ديوان طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٧، ثم أُعيد طبعه من عهد قريب، وعنوانه (خواطر فى الحياة).

ولقد نظم أستاذنا «الجارم» الشعر وهو طالب فى الأزهر ودار العلوم، وفى إنجلترة، وبعد عودته من البعثة، وظل حياته كلَّها مواظبًا على نظم الشعر، لم يتخل عنه لحظة واحدة، بل شاء الله أن تدركه منيته فجأة وهو يصغى إلى ولده (بدر الدين) وهو يلقى قصيدة والده فى حفل تأبين الزعيم محمود فهمى النقراشى سنة ١٩٤٩ م. ونظم «الجارم» الشعر فى أغلب الأغراض المعروفة فى دواوين العرب فمدح، وهنأ، ورثى، ووصف، وتغزل وافتخر. ولم يدع مناسبة إلا قال فيها وأبدع. ولعله من أوائل شعرائنا الذين ارتفعوا (بالمناسبة) إلى مستوى الأصالة الفكرية والشعور الإنسانى العام، مما جعله مرموق المكانة على الرغم من النظر الشزر الذى كان يوجهه إليه أصحاب المدرسة الحديثة... والحقُّ أن الجارم استطاع فى ذكاء عجيب أن يوائم بين المدرسة التقليدية فى الشعر، وبين متطلبات المدرسة الحديثة. وقد ظهر هذا جليًا فى ديوانه (سبحات الخيال) الذى جمعه ولده «بدر الدين» ونشر فى مجموعة (فى ظلال الوحى) الصادرة عن دار المعارف سنة ١٩٦١. ولم يفت العقاد - رحمه الله - وهو يقدم «لسبحات الخيال» أن يشير إلى هذه المواءمة بين السلفية والعصرية عند الجارم أن يقول: (إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها، وأن تَسْتَقِلَّ بعنوانها... إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة دار العلوم... فالدرعمىُّ لغوى عربى سلفى، عصرى ولكن على منهج فريد فى بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الافرنجية، وبين - مناهج المحافظة والتجديد، ومناهج الابداع

والتقليد . . ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة لشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة « اللُّغة » عن خاطرك ، وأن تنسى أن قائل هذا الشعر يثبُتَ على القديم وإنْ أخذ بنصيبه من الجديد ، وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم . . .) . ولعل رأْى « الجارم » نفسِهِ فى قضية الشعر يوضح لنا القيمة الحقيقية لكل شعر جيِّد حيث يقول :

دولةٌ قامت تناغى دولةً ... فنعمنا فى ظلال الدولتين

ربَّما فى الشعر قامت صفحة ... بالذى يعيا به ذو الصفحتين

إنما الشعر على كثرته ... لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين

نفحة قدسيةٌ أو هذَر ... ليس فى الشعر كلام بين بين

وبعد ، فإن ديوان (سبحات الخيال) « لعلى الجارم » ليس شعرًا جديدًا له ، بل كل ما فيه جاء فى الأجزاء الأربعة — لديوان الجارم ، ولكن ولده الألمعى أراد أن يرد ردًّا عمليًا على الذين كانوا يتهمون والده العظيم بشعر المناسبات التقليدى ، فانتزع من ديوان أبيه قصائد ومقطوعات تدل على الشعر العاطفى والوجدانى والإنسانى عند أبيه ، وتؤكد أن المناسبة عند «الجارم» ترتفع عن المستوى الذاتى المحض إلى مناط الشعور العام ...

وإذا كان « الجارم » يرقُّ فى غزله إلى حد قوله فى « الكافية » التى تغنيها أم كلثوم :

مالى فتنت بلحظك الفتاك ... وسلوتَ كل مليحة إلاك

يُسراك قد ملكت زمام صبابتى ... ومضلتى وهداى فى يمناك

فإذا وصلتِ فكلُّ شىءٍ باسمٌ ... وإذا هجرتِ فكل شىءٍ باكى

فإنه يصلُبُ ويشتد حين يدعو إلى العزم والتسامى نحو القمم فى قوله :

كَتَب الله أن يعيش غريبًا ... كلُّ ذى دعوة إلى الحق ناء

لَا ترى فوق قمة الطَّـود .   إلَّا بطلًا لايهاب هول صعابه

كل ذات الجناح طير ، ولكن   عرفَ الجوُ نسره من غرابه

وإذا كانت جنبات مجمعنا هذا – فى مختلف الدُّور التى سكنها – قد دوَّت بشعر « الجارم » وصوته وإلقائه الجميل المعبر على منابره ، فإن المجمع لا ينسى له قصائده العُصْم فى افتتاح الدورة الثانية سنة ١٩٣٤ ، والدورة الثالثة سنة ١٩٣٥ ومرثيته لأُستاذنا الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ حسين والى ، والمستشرق نلليتو سنة ١٩٣٩ م .

وقد شاء الله ألَّا يُحرم المجمعُ شاعراً جهير الصوت عالى المكان ، يسد المكان الذى كان يشغله « على الجارم » . ولم يطل أمد الانتظار ، فبعد عشر سنوات من وفاة الجارم – وبالتحديد فى سنة ١٩٥٩ – دلف إلى محراب الخالدين الشاعر « عـزيز أباظـة » ، دخـل بأُسلوبه العربى المشرق ، وبيانه الناصع ، وفكره الوضاء ، وكأنه واحد من مدرسة دار العلوم – أو مدرسة الدراعمة – التى أشار إليها العقاد فيما سلف من قول ؛ مع أنه من رجال القانون والحقوق ، ولكن الله يُعطى ما يشاءُ لمن يشاءُ ... فأَعطى (عزيز أباظة) ذلك البيان وذلك الإشراق وتلك الفحولة فى الشعر التى كادت تضيع بعد « أحمد شوقى » . وبهَر « عزيز أباظة » الناس وفجأَهم بديوان يُعدُّ لونًا جديدا فى دواوين الشعر العربى . هو ديوان (أنات حائرة) الذى ظهر فى سنة ١٩٤٣ ليقول للناس : إن هذا أول ديوان كان كله وقفًا على رثاء زوجة ، ورفيقة عمر وشريكة حياة .. وأكبر الناس هذا الصنيع من شاعر جعل رثاءه لقرينته الراحلة براعة استهلاله . وقدَّم طه حسين (أنات حائرة) بكلام مؤثر قال فيه : (لا عليك يا سيدى ! احتمل حزنكَ كما احتملتَه إلى الآن جلْدًا كريمًا ، ورفِّه على نفسك كما فعلتَ إلى الآن بمثل هذا الشعر الذى أقلُّ ما يوصف به أنه يرفعك عن الأَثرة ، ويجعل من مصابك غذاءً لبعض النفوس ، وعزاءً لبعض القلوب ...) .

وكان من حظى حينما أهدى إلى «عزيز أباظة» ذلك الديوان الحزين أن أستقبله ببحث واف فى إحدى مجلاتنا العربية عن «رثاء الزوجات فى الأدب العربى» . ومن هنا توثق الود بينى وبين عزيز أباظة ثم ازداد الود حينما عملت معه وتحت رياسته عضواً فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى ، للفنون والآداب .

وكأنَّ مجمع اللغة كان روضاً أغنَّ لشاعرية « عزيز أباظة » ، وتجلى ذلك فى مراثيه الخالدة لزملائه المجمعيين : العقاد ، ورضا الشبيبى ، وعلى عبد الرازق ومحمد على النجار ، وأحمد حسن الزيات والدكتور مصطفى القللى ، والفاضل ابن عاشور ، والدكتور عبد الرزاق السنهورى .

وإذا كان « عزيز أباظة » قد أثرى الشعر بمسرحياته التى منها قيس ولبنى ، والناصر ، وغروب الأندلس ، والعباسة وغيرها ، فإنه يعد الرائد الثانى – بعد شوقى – للمسرح الشعرى الحديث .

لقد أَلِفَ « عزيز أباظة » منذ ماتت زوجته البكاء والرثاء ! فهو يبكى زوجته فى « أنات حائرة » ، ويرثى بعد ذلك زملاءه فى المجمع وغير المجمع ، وكأنه نَذَر حياته للدموع .ولعل من أحر دموعه قصيدته (ذكريات) التى يقول فى المقطع الأول منها :

يذكرنيكِ كلُّ جليل أمر ومن يسيره فتذوب نفسى
إذا سكَبَ الصباح فأنت همى وإن وقَبَ المساءُ فأنت أُنسى
جمعتِ على الهوى طرفى نهارى كأنى لم أُرَعْ بنـواكِ أمسِ
رعـاكِ الله ما فارقتِ روحى وإن فارقتِ بعض الوقت حسى
أَراكِ كما رأيتك حين كنَّا على حرم الصِّبا نُضحى ونمسى

وما دمنا فى معرض الحديث عن شعراء الديباجة والرصانة فى مجمعنا ، فلن يفوتنا الوقوف قليلاً أمام السيد « حسن القاياتى » وقد نبغ فى نظم الشعر فى سن مبكرة .

ونشر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩١٠ وهو فى السابعة والعشرين ؛ حتى جاز لنا أنه نلقبه (النابغة القاياتى) نسبة إلى بلده « القايات » من أعمال مديرية المنيا . وإذا كنا ألفنا أسماء محبوبات الشعراء القدامى ، من مثيلات هند ، ودعد ، وليلى ، وعزة ، وبثينة ، فإن القاياتى شبب بمحبوبته : (إحسان) ، وهو اسم جديد فى سجل شعراء الغزل ...

ولما حظيتُ بنشر شعرى فى (الأهرام) منذ سنة ١٩٢٧ تحت لقب : « شاعر — الأهرام » ، كان شيخنا « القاياتى » ينشر شعره فى الأهرام أيضا تحت توقيع (حسن القاياتى . السكرية) ، وهو الحى الذى كان يسكنه قريبًا من ميدان باب الخلق . ولم يثنه عمله بالمجمع عن نشر الشعر — وخاصة المقطعات — فى صحف ذلك العهد . ومن أوائله أنه كان من شعراء العرب السبّاقين إلى وصف المخترعات الحديثة مثل التليفون ، والتصوير الفوتوغرافى ، والمركبات التى تتهادى فى الجزيرة بالحسان والفونوغراف الذى أسماه : (مسمعة الغناء) ، ولكنه سُمى (الحاكى) بعد ذلك ... ومن رقيق شعره فى المركبات والحسان الراكبات فيها قوله :

تملَّكَ ظبيٌ بالجزيرة لُبَّهُ ... فما عتبُهُ والمالكُ القلبَ غالبه
مراكب مثلُ السحب خَيَّبن ظَنَّه ... ذواهب عدوًا . أبخَلُ الغيم ذاهبُه
تعلَّنَ لمن يُلقِى شِبَاك لحاظِه ... رُويدكَ ! لا يقتلْك ما أنت ناصبُه !
يطأنَ الثَّرى لينًا ؛ فلو كان وقعها ... على زئبق غضٍّ لما ارتجَّ ذائبُه ..

وقد جمع « القاياتى » بين أناقة المظهر وأناقة الشعر . وهو تأنق لم ألقه إلّا فى الشاعر « محمد الأسمر » . وكان على عفة لسانه فى الحديث هجّاءً مفحشًا فى الشعر . ولم يكن ذلك لطبع فيه ، وإنما كان يصنعه على سبيل (رياضة النفس) كما يقول فى ديوانه ، وكما كان يفعل كبار الشعراء قبيل عهده من أمثال البارودى ، وإسماعيل صبرى . ولم يقف القاياتى — ولو مرة واحدة — على منبر المجمع ليلقى شعرًا كما كان يصنع « على الجارم » و « عباس العقاد » ، و « عزيز أباظة » .

ويدخل معنا فى مجال الشعر الرصين الدكتور « عبد الوهاب عزام » . ولكنّ لشعر عزام مذاقا خاصًا وجوًا خاصًّا وفكرًا خاصًا ؛ تأثر فيه بدراسته للشعر الفارسى والتركى . فقد ترجم « بيام مشرق » لمحمد إقبال عن الفارسية ، كما ترجم له « ضرب الكليم » ، وديوان « الأسرار والرموز » . وعلى الرغم من صلات « عزام » بالمجتمع ، وخاصةً فى أثناء اشتغاله بالسلك السياسى ، فإننا لا نراه شاعر مناسبات على الإطـــلاق، بل نراه وقـــد غمر نفسه فى لجج التصوف والفكر العربى الإسلامى . وحين أصـــدر ديوانه : (المثانى) سنة ١٩٥٤ قدّم له العقاد بمقـــدمة واعية توضح ما بين التصوف وبين السياسة فى أشرف معانيها من روابط .وتصوُّفُ « عـــزام » لاينعزل عن الحياة ولا يهرب من غمراتها ، وفى الوقت نفسه لا ينكُص عن المعالى ، بل يجعلها سلمًا إلى حياة فاضلة . . وكلُّ رباعيات « عزام » و « مثانيه » من البحر الخفيف ، إلّا الرباعية الثالثة ، والرابعة فهما من « الرمل » . ولعله اختار الخفيف لسهولة تقليب المعانى عليه . وتكشف لنا الرباعية التاسعة عن بواعث الشعر الظاهرة والخفية التى لا يحيط بها الشاعر :

ينبع الشـــعر والشواغل شتّى ... كانبجاس الميـــاه بين الرمال
تُبصِرُ المـــاءَ صافيًا لستَ تدرى ... كم فيـــافٍ سرى بها وجبـــال!

و « عزام » مثل « حسن القاياتى » لم يشترك فى مناسبة واحدة من مناسبات المجمع بقصيد أو ببعض القصيد .

ومن شعراء المجمع حفنة كريمة لم يهتمّ واحد منهم بجمع شعره ، أو ضَمْنه فى ديوان أو أكثر ، كما صنع « على الجارم » و « العقاد » ، و « عزيز أباظة » ، وحتى (المازنى)الذى زهد فى الشعر بعد جمعه شعره فى الجزأين الأولين منه ... ومن هذه الحفنة « طه حسين » ، و « مصطفى عبد الرازق » ، و « الفاضل بن عاشور التونسى » ، و « عبد الفتاح الصعيدى » والدكتور « إسحاق موسى الحسينى »

ممثل فلسطين ورمزها الخالد فى مجمع الخالدين .. وقد كان طه حسين ينظم شعرًا تقليديًا حسن الصياغة ، وينشره فى العقد الأول من هذا القرن فى صحافة ذلك العهد . كقصيدته التى نشرها سنة ١٩٠٩ مخاطبًا الإنجليز :

تيمّموا غَير وادى النيل وانتجعوا   فليس فى مصر للأَطماع متسعُ
كُفُّوا مطامعكم عنا ! أَليس لكم   ممَّـا جنَيْتُمُ وما تجنونه شِبع ؟

ولكنه ترك نظم الشعر جملة[١] ، وإن كان قد تناوله بالعرض والنقد والدراسة والتحليل بعد ذلك ، كما فعل فى « حديث الأَربعاء » ، و « من حديث الشعر والنثر » و « حافظ وشوق » ، و « مع المتنبى » وغيرها . وظل حب طه حسين للشعر يتمثل فى رواية البيت أو الأَبيات المؤثرة فى مواطن الاستشهاد[١].

أَما الشيخ « مصطفى عبد الرازق » فكان يقرض الشعر فى شبابه ، كتهنئته لأُستاذه الشيخ محمد عبده التى نشرت فى « المنار » سنة ١٩٠٣ ، ومرثيته لوالده حسن باشا عبد الرازق سنة ١٩٠٧ . وقد كان شعره واعدًا بمستقبل عظيم ، لولا أنه انصرف عنه فى أثناء طلبه العلم بفرنسا ؛ ولما كتب إليه شقيقه (على) يسأَله عمّا صرفه عن الشعر أجابه قائلًا : (إننا شُغلنا هنا بالحقيقة عن الخيال ...) .

أَما « الفاضلُ بن عاشور » فكان ينظم الشعر ، ويعمل الأَناشيد استجابة لدواع وطنية وقومية عالية حتى سنة ١٩٣٩ ، ولكنه انصرف عنه كما جاء فى كتابه : (تراجم الأعلام) المطبوع بتونس – سنة ١٩٧٠م . ويتواضع ابن عاشور فيقول رحمه الله : (ولست مدعيًا أَنى شاعر ، وإن تعاطيت نظم مقاطيع وقصائد كنتُ راضيا عن بعضها أحيانًا)[١]...

أَما « عبد الفتاح الصعيدى » فكان فيه قدرة على نظم الشعر ، وإن كانت الموهبة لم تتجل فيه واضحة كشعراء المجمع الآخرين[١]... وحين تغلبهُ المناسبة كان يستجيب للشاعرية الكامنة فيه . ولعل داليّته التى أَلقاها فى مؤتمر المجمع ببغداد سنة ١٩٦٥ هى الأَثر الباقى من أَشعاره ...

والذى أعرفه من صديقى وجارى فى مؤتمرات المجمع الدكتور « إسحاق موسى الحسينى » أنه شاعر وإن كان مقلًا . وفيه قدرة على الارتجال حين يقتضيه الموقف . ففى مؤتمر الدورة السادسة والأربعين لسنة ١٩٨٠ رأيته يستعير قلماً ويسجل على ورقة كانت معه أبياتا حضرته بمناسبة ختم أعمال المؤتمر ، وإذا به يلقيها علينا فى تأثر عميق، لغياب بعض إخواننا العرب عن شهود لقائنا قائلًا :

فى كل عام لنا فى مصر مأدبة   غنية بغذاء الروح والجسد
فلتبق مصر على الأيام شامخة   تزداد فخرًا بلا حد ولا عد
وليبق مجمعنا للعُرْب مئذنة   تذاع من فوقها الفصحى إلى الأبد

وأذكر من شعره الوطنى الرائع قوله :

أحبب بلادك واعشق ريح تربتها   فالروح من روحها والجسم من تُرْب
طوفت فى الأرض لم أعثر على بلد   يحكى محاسنها فى الشرق والغرب

سادتى : كنت قد أسلفت القول عن مدرسة أسماها العقاد : (مدرسة دار العلوم أو مدرسة الدراعمة) فى معرض تقديمه لديوان « سبحات الخيال» لعلى الجارم . وقد رأيت من باب الوفاء للحق أن أشير هنا إلى ثلاثة من أعلام هذه المدرسة ، يسعدنى أن أجىء تاليًا لهم، وأن أكون رابعهم . وهم : على الجندى ، ومحمد خلف الله أحمد ، رحمهما الله ، والدكتور محمد مهدى علام بارك الله فى عمره .

ولقد كان « على الجندى » شاعرًا من رأسه إلى قدمه ، وكان يتميز بالأسلوب الناصع والديباجة المشرقة . وقد أعانته كثرة محفوظه من الأدب العربى ، وقوة حافظته أن يدير الأفكار والمعانى فى شعره على أفانين من القول ، فلا تخطئه عبارة ، ولا يخونه استعمال ، ولا تعز عليه قافية . وأمامى وأنا أكتب هذا البحث دواوينه الثلاثة : أغاريد السحر ، وألحان الأصيل ، وترانيم الليل ، وكلها تدل على شاعرية محلقة ، وأستاذية فى الشعر متمكنة . والحق أن على الجندى كان

شاعرًا فى مشيته ، وفى حركاته ، وفى نبضه ، وفى نطقه .والحق أن الاستشهاد بشعره هنا هو عمل شاق محيِّر ، فالمرءُ يتحير أىَّ شعر يأْخذ ، وأيه يدع .

ولكن الذى يحضرنى هو قصيدته « صورة الرحمة » التى صنعها وقدمها إلى الطبيب الجراحى الدكتور «ألبرت دوس » حينما تولى علاج ابنته (خالدة) فكتب لها الله الشفاء على يديه ، وفيها يقول :

فتى الطبِّ ! صُنعُكَ لَا يُكفَرُ	لدىَّ وفضـلُك لَا يُنكر
أَحطتَ ابنتى بضروب الحنان	ورحتَ على عمـرها تسهر
وكنت لهـا فوق ما يرتجى	من الوالد الولدُ الأَصـغر
فأَنقـذتها والردى ناشب	بمهجتهـا ظُفُرُهُ الأَحمـرُ
وأَنقـذتَ نفسى بإِنقاذها	وأَنت بحبى لهـا أَخـير
وأَولادُنا ثمـراتُ الفـؤاد	بهم عيشـنا ناعمٌ أَخضـر
أَجىءُ إليك مُعنَّى الحشـا	ودمعى على وجنتى يقطـر
وأَرجـع والنفس ريَّانَةٌ	سـرورًا ، ووجهى مستبشر
شكرنا « لأَلبرت » معروفه	ومعـروفه عنـدنا يُشكر
ثنـائى عليه ثنـاءُ الرياض	تعهَّـدها العـارضُ الممطر
يقـلده الشـعر أمداحه	وقلَّ له الـدرُّ والجوهر

ولا أذكر بعد هذا شيئًا من شعر على الجندى ، فكل شعره حرى أن يذكر ، وألّا يتطرق إليه إغفال أو نسيان ، ولكن الذى أذكره أننى فى يوم تأْبينه بالمجمع سنة ١٩٧٣ رثيته بقصيدة باكية ، منعتنى من إلقائها علةٌ حسبتها القاضية ، وتفضل بإلقائها نيابة عنى الزميل الكريم الأُستاذ محمد شوقى أمين ، بارك الله فى عمره ، ولم أكن يومئذ قد ظفرت بشرف الانتماء إلى مجمع الخالدين .

أما العضوان محمد خلف الله ، والدكتور مهدى علام فلم يهتمّا بجمع أشعارهما فى ديوان . وبائية خلف الله التى نظمها وألقاها فى حفل توديعه سنة ١٩٢٩ـ بمناسبة سفره فى بعثة علمية إلى انجلترة تعد من روائع بواكيره التى أكدت شاعريته وإن كانت سبقتها قصيدته اللامية فى يوبيل دار العلوم سنة ١٩٢٧ ، والتى مطلعها :

ملكتم زمام القول والجمع حافل فهل بعدكم يختال بالقول قائل

وقد كان خلف الله يتسلى بنظم الشعر بعد ذلك ،ولكنه لم يشتغل به كما فعل الدراعمة الشعراء من أمثال محمود غنيم ، وعلى عبد العظيم ، وعبد العزيز عتيق ، وفايد العمروسى ... وكان يستجيب للمناسبة حين تدعوه. فحين نشرت مجلة الثقافة سنة ١٩٨٢ أبيات أستاذى الدكتور مهدى علام ،وأبياتى فى حادثة تبادل معطفينا على سبيل الغلط ،إثر رحلة من رحلات المؤتمر إلى السويس ، رأينا خلف الله ـوهو حبيس العلة فى منزله بالثغر الإسكندرى- يدخل المداعبة الشعرية بينى وبين الدكتور مهدى بقصيدة أسماها « حاشية المعطفين ». نشرها [illegible] ، وخلع علينا من فضله ما شاء أن يخلع .

وللدكتور مهدى علام أشعار ومقطوعات ومطارحات شعرية دار بعضها بينه وبينى . ولن أجيز لنفسى نشرها إلّا إذا أذن لى بذلك. وياليته يجمع شعره المبعثر ويصنع ديوانه على عينه وفى حياته المباركة. وحين يدعى الدكتور مهدى إلى الشعر لا يصرفه عنه صارف ، فهو سريع التلبية لندائه ... وتلك كانت وسيلتى لاستدراجه لنظم الشعر. ومن ذلك ما صنعه حين أهديْتُ إليه نسخةً (وحيدة)باقية من ديوانى الثانى : (من نبع الحياة) وكانت ممزقة الغلاف . فلم أجد بدًا من إهدائها مصحوبة باعتذارى فى شعر دعابى ، فما كان منه إلّا أن رد علىّ بأبياتٍ كريمةٍ جاء فيها قوله :

إذا اعتذرت عن التمزيق فى ورق فذا غلاف للبٍّ صِين فى صحف
والتبر فى تُربه كنز يقـدره العـارفو فضله من أقدم السلف
إنَّ النضـار إذاما شابهُ صـدأ ما زال معـدنه رمزًا على الترف

وللدكتور مهدى علام قدرة فائقة على ارتجال الشعر حين تدعو المناسبة. وهنا تسعفه البديهة الحاضرة بما لا تُمده به الروية والإعمال. ولعل من مرتجلاته اللطيفة ما نظمه فى أول جلسة عقدت لممثلى جامعات الجمهورية العربية المتحدة من الإقليمين الشمالى والجنوبى، وكانت ساعة جامعة القاهرة – فى خلال انعقاد الجلسة – تنغم الأجراس ثم تدقُّ كل ربع ساعة دقات يعلو صوتها على أصوات المجتمعين، فأوحت إليه المناسبة على الفور بالأبيات التالية :

ساعةٌ قد رُكِّبت من فوقنـا ... ماتَنِى فى دقِّهـا أو تسكتُ
كلما دار حـديثٌ بينـا ... دقت السـاعة دقًّا يُعْنِتُ
وإذا ما قـال عضـو كلمةً ... كادت الكِلْمة منـا تفلت
صوتُهـا يعـلو على أصواتنـا ... فكأنَّا قد جلسـنا نُنصت !
أنكرُ الأصوات صوت العير.. بل ... أنكَرُ الأصواتِ هـذى الساعةُ.!

ومن أجمل شعر « الروية » عند الدكتور مهدى علام قصيدته اليائية التى استقبل بها مولد ولده الدكتور حسام الدين سنة ١٩٣٤ والتى يقول فيها :

فى انبلاج النهـار أشرقتَ ياطفـ ... ـلى، كما يُشـرق الضياءُ حييًّا
مثل عُمر النهار فى الصُّبح تبدو ... ثم تنمو مع النهـار فتيـا
تقطع اللَّيل، والنهـار، وتبقى ... فى بُرود الصِّـبا غلامًا زكيا

بقى أن نستكمل الجولة مع بعض زملائنا الشعراء فى العالم العربى الوسيع ... ففى المغرب نجد الأُستاذ « عبد الله كنون » يصدر مجموعته الشعرية الأُولى : (لوحات شعرية) سنة ١٩٦٦، ثم يتبعها بعد ذلك بمجموعته : (إيقاعات الهموم) التى صدرت سنة ١٤٠١ هـ . وفى الأُولى مثنويات حكمية تذكرنا بمثانى « عبد الوهاب عزام » الصوفية . وقد عالج فيها بعض الشعر الحر، مع ما نعهده من روح المحافظة عنده، لعله يثبت مقدرته على خوض كل ميدان جديد .. وفى مجموعته الثانية شعر دينى،

وشعر للأطفال ، وتأملات فى الحياة حتى ولو كانت من وحى المقابر ... ومن السودان الشقيق نستقبل « أصداء النيل » و « أغانى الأصيل » من شعر الزميل « عبد الله الطيب » . ويبدو صاحبنا نافرًا من الناس مستوحشًا منهم ، كأنه يطوى الضلوع على حذر وحزن عميق ، وإن كان يجد فى الكتاب عونًا على نوب الزمان حيث يقول :

فزعت إلى « الكتاب » ، فكان عونى على الأيّام والنُّوب الصِّعاب
وألقيتُ الكتاب يلوحُ منه جبينُ الله فى الظلم الرِّهاب
كتومُ السر مطوىٌّ حشاه على مثل ابتهاجى واكتئابى

ومن العراق يطالعنا الزميل الشاعر « محمد رضا الشبيبى » سنة ١٩٤٠ بديوانه الذى صدر عن لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٩٤٠ . وشعر الشبيبى مملوءٌ بالوطنيات ، والحكم ، والشعر الاجتماعى ، والأخلاقيات والوجدانيات والوصف والرثاء . كما يطالعنا الأستاذ « محمد بهجة الأثرى » بديوانه (ملاحم وأزهار) الذى طبع فى مصر سنة ١٩٧٤ . ولعل قصيدته : (الشعر) تكشف لنا عن مفهومه له حيث يقول :

ابنُ الحقيقة ، والحقيقةُ نهجه والصدقُ فى أرب الحياة خدينُه
العبقرية نَبعُهُ ، والبابليـ ـة دنُّه ، وهوى المحبة دينُه

ولا يزال علامتنا الأثرى ينظم الشعر حتى اليوم ، ولا ننسى قصيدته الرائعة التى ألقاها فى مؤتمر الدورة الماضية : التاسعة والأربعين . ولا نعرف للدكتور « عبد الرزاق محيى الدين » ديوانًا مطبوعًا ، وإن كنا نعرف عنه الشاعرية الحق أيّام الزمالة والطلب فى دار العلوم . ولعل آخر شعر قاله هو مرثيته التى نظمها فى تأبين الدكتور طه حسين بمجمعنا (ديسمبر سنة ١٩٧٣) وقد اعتذر فيها بأنه ترك نظم الشعر منذ سنين عديدة ، ولكنه عاد لينظم رثاءً شعريًّا لطه حسين . (لأن الشعر مدين لطه حسين دينًا لا يُنْسى ...) كما يقول . ثم جاء أخيرًا ليمتعنا بقصيدته اليوبيلية العامرة ...

بقى لنا من أرض العروبة لبنانُ وسوريّة . وإذا كان «لعزام »و «عبد الله كنون » مثانى ومثنويات ، ولغيرهما رباعيات ، فلم لا يكون للبنان (سداسيات) ينظها الدكتور « عمر فروخ » ؟ وعمر فى ديوانه البديع : (فجر وشفق) الصادر عن بيروت سنة ١٩٨١ – عربىٌّ صميم ، ومسلم صادق اليقين ، ومؤرخ واع ، وإنسان يفيض بالعاطفة الصادقة والشعور الرقيق ، وشاعر محلق ، ومداعب فكه خفيف الروح .. وهو فى غزله عفٌّ الضمير والنظر .وقصيدته (فلانة) تدل على ذلك . وهى تذوب رقة ، ولولا أنه نظمها سنة ١٩٤٨ لقلنا : شيخ تصابى !! (ديوانه ص ١٧٢) .

أما الدكتور « أمجد الطرابلسى » فهو من شعراء سورية المحلقين، ولشعره نغمة عذبة مع علو الأسلوب وعمق الفكرة . وآخر شعره ما نظمه وأنشده فى باريس سنة ١٩٨٢ على قبر زميله وصديقه الدكتور « حكمت هاشم » مدير جامعة دمشق سابقًا وعُضْو مجمعها اللّغوى ، حيث قال :

أتيتُ « يا حكمة » أبكى ودّكْ ... أذكر عهدى هٰهنا وعهدك
أبكى علينا ، لا عليك وحدك ... هذا مصيرى يا أخىَّ بعدك
من يا ترى إذا قصدتُ قصدكْ ... يذكر لحدى ، أويزور لحدك ؟

وما دمنا قد تحدثنا هنا عن زميلنا الشاعر المراسل الدكتور « أمجد الطرابلسى » ، فلابد لنا من الحديث عن اثنين من السعودية ، وثالث من العراق . فالشاعر حسن عبد الله القرشى قد ازدحمت علينا نفحات شعره الرقيق الذى يمثل نفحات الجزيرة العربية ورياها العطر . والحق أن القرشى جعلنا دائمًا من شعره فى زحام . ويشهد بذلك ديوانه : (زحام الأشواق). وقد يظن أن الأشواق هنا تمثل الشوق إلى المحبوب وحده ما دام الناس قد انصرفوا إلى هذا المعنى . ولكن شاعرنا يؤكد أن مجموعته تمثل : ألوانًا من الأشواق المتراكمة .. كالشوق إلى المجهول ، والشوق إلى الحقيقة ، والشوق إلى تغيير الواقع المرير ، الذى يعيشه العرب اليوم ، والشوق إلى مستقبل أفضل للإنسانية :

وإذا كنا نترك للقرشي أشواقه إلى المحبوب وحده لينعم في رياض الحب كما يشاء ، فإننا لا نجد مفراً من أن نشترك معه في ندائه للوطن العربي الكبير ، حيث يقول والأمل يملؤه :

يا وطني البـاكي ! يا وطني العـربي المطرق فوق الجرح
انهض لا تمكث مهمومـا ، يا وطني سوف يجيء الصبح

أما زميله وزميلنا الأديب السعودي الكبير عبد الله بن خميس ، فقد عرفناه فوق كتبه ودراساته الأدبية الجادة شاعراً يذكرنا بنفحات نجد . والحق أن فيه من صفاء البادية وكرم طباعها شيئاً كثيراً .. وعلى الرغم من غزلياته في قصائده : حنين ، نجل العيون ، وبلابل الروض ، ويا ليتني ، وغيرها مما نظمه في عهود الشباب الزاهرة ، ونضر الله أيامها ، فإن مقارعة الأيام علمته أن يطوي أحناءه على انتفاضة أمل كبير في العروبة ، حيث يقول في ديوانه الرقيق : (على ربى اليمامة) :

يقول تاريخنا : هل أنتم عرب وهل نمتكم إلى أذوائها مضـر ؟
وما علمنـا بأن الغيب يرقبنـا في موعـد عنده البركان ينفجر
يأتي على البغي إربي في ضراوته فيستبيه ، ولا يبقي ولا يـذر

أما زميلنا العضو العراقي العامل بجمع العراق الدكتور يوسف عز الدين فيمثل الإنسان الطيب الصابر ، الذي تتألق البسمة على شفتيه وفي قلبه جرح عميق .. وتمثل دواوينه وخاصة (في ضمير الزمن) و (لهاث الحياة) لوحة شعرية صادقة من حياته ، أتمها بكتابه : (من رحلة الحياة) . وإذا كان شعره يعكس حبه العميق للناس فإنه قد أكد هذا المعنى بقوله في مقدمة كتابه هذا : (أنا أحب الناس ، وما دخل قلبي بغض لأحد منهم .. إني أحاول أن أعوض بحبي للناس وخدمتهم ما فقدته من حنان المجتمع ، وبر الحياة . وما كرهت شيئاً في حياتي لأن الكراهية مرض يفتك بالنفوس ...) .

وإذا كان لطابع الحزن والألم فى شعر الدكتور يوسف عز الدين أسباب اجتماعية ومعاشية ذكرها هو بصراحة حبيبة فى دواوينه وكتبه ،فإنه مع ذلك متفائل مملوء بالأمل كما يقول فى مقطوعته : حياتى ، من ديوانه : « لهاث الحياة » :

سأصمدُ ، لا تَلْوى أخاكَ حوادثٌ أُقبِّل آلامى بكل حنـــان

وأمسح جرحى باسمًا فى سعادة وأهزأ من دهرى وصرف زمانى

وكما اجتمع المهندس الشاعر على محمود طه ، والطبيب الشاعر إبراهيم ناجى منذ عقود من السنين على ساحة الشعر الرومانطيقى ، اجتمع الشاعر المهندس الدكتور « إبراهيم الدمرداش » . والشاعر الطبيب الدكتور « حسن على إبراهيم » اليوم فى مجمعنا على ساحة القريض التقليدى المحافظ . ولا تزال مراثى الدكتور الدمرداش للراحلين من زملائنا ترن فى آذاننا . ومنها مراثيه للأساتذة الراحلين : زكى المهندس وإبراهيم أنيس ، وعباس حسن ، ومحمد خلف الله ، وبدر الدين أبو غازى . كما لا تزال نفحات من قصيدة الدكتور « حسن إبراهيم » فى وقفته أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصيدته الأخرى فى الروح تهب علينا رقيقة ، فتحملنا إلى عوالم من الإيمان والاطمئنان .

وإذا كان الحب هو الخيط الذى يجمع بين الحياة والشعراء جملةً ، فإنا لا نجد شاعرًا واحدًا من شعراء مجمعنا تخلّى عن الحب ، أو خلا ديوانه من أحرف الحب ، حتى عند شيخنا « محمد الخضر حسين » الذى تجلت آيات حبه فى مرثيته الحزينة لزوجه التى اختارها الله إلى جواره عقب توليه مشيخة الأزهر... ولكنّ أوضح وأجهر ما بدا « الحب » عند زميلنا وصديقنا الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد فى ديوانه (ثم جاء الخريف) الذى صدر عن بيروت من عهد غير بعيد ويشيع الحب فى ديوان الصياد من أوله إلى آخره ، حتى كاد الكتاب يكون غزلًا كله ، إلّا مرثية واحدة لصديق ، وقصيدةً بعنوان : فى قريتى ، وهى صورة بارعة ناطقة القرية المصرية ، ومحاسن الطبيعة فيها . وأحاديث أهلها وأسمارهم ، وصور الفقر ، والجهل فيهم .

وبا أصدقه وهو يقول :

وقرية في صميم الريف هـانئة | من حولها عزبٌ شتّى وغيطـان
سمراء هادِئةَ الأركان تحسدها | مدائن هى للضوضاء ميدان
فقيرة ليس فيهـا للغنى أثَر | لكنْ لها بكفاح القوم غنيـان
دخلتهـا وشعاع الشمس ممتقع | كأنه عاشق أحبابه بانوا ...

ويبدو لنا « الصياد » فى ديوانه هذا مصراً على الحب ، عازماً على عدم التوبة من الحب ؛ كما تكشف عن ذلك قصيدته : (لن أتوب) التى يقول فيها :

عُـدُّوا علىَّ مـآثمى عُـدُّوا | أنا ما ارتويتُ من الهوى بعـدُ
سـأعيشُ أنهلُ من منـابعه | حتى يضمَّ رفـاتىَ اللَّحـد ...

وصدقَ الدكتور الصَّيَّاد ما وعد ! فقد ظل ينهل من ينابيع الحب ، وظل يروينا من أصفى منابعه ، إلى أن اختاره الله إليه !، وهو ما يزال ظمآن إلى الحب الواسع العريض الذى لم يسعفه به غرور الحياة ... !

سادتى : بقى من شعراء المجمع أربعة ، رأينا من عدم الإنصاف للعلم والحق ألّا نُلمَّ بهم ، ونحن على يقين أنهم عالجوا الشعر وأكثروا من نظمه ، بل كان لبعضهم ديوان مطبوع ، ولبعضهم ديوان مخطوط لم ير النور بعد . فقد كان عبد العزيز فهمى باشا شاعرا قادرا متمكنا من الشعر الجيد وله فيه مأثورات . وديوانه مخطوط جمعه أحد مريديه ، ولكن عناية الله لم تدركه بالطبع . كما كان الشيخ حسين والى معروفًا بالشعر الجزل الشديد الأسر ، واشتهر فوق ذلك بالشعر التاريخى ، أو التاريخ الشعرى ، الذى كان يبنيه على التاريخين الهجرى والميلادى ، فيلازمه التوفيق فى إصابة التاريخ ، مع إجادة التعبير ، وله فيه ديوان (عصا موسى) .

أما ثالث الأربعة فهو الأستاذ أنيس المقدسى ، وقد كان ينظم الشعر العربى الرصين ، والشعر المترجم عن الإنجليزية ، مع التزام الدقة وعدم البعد عن الأصل . وله ديوان لايزال مخطوطًا .

أما رابع الأربعة فهو الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ،وكان ينظم الشعر ويتسلى به فى كثير من الظروف ، وله فيه مداعبات ومطارحات ، ويكفيه يدًا على الشعر العربى أنه والد الشعراء المهجريين الثلاثة : فوزى ، وشفيق ، ورياض . وله فى رثاء (فوزى) المعروف بشاعر الطيارة ، قصيدة مطولة يقول فيها :

وقفنا لفوزى كل ما كان عندنا   من الأمل البسانى بمسعاه مجدنا

وقد نقض الدهر المروع عهدنا   يقول خليلى : كيف صبرُك بعدنا ؟

فقلت : وهل صبر فَيُسْأَلُ عن كيف ؟

بقى واحد من شعراء المجمع فاجأنا بالأمس بقصيدة رائية جميلة نظمها ، وألقاها علينا صبح الثلاثاء بمناسبة العيد الخمسينى للمجمع هو الزميل الدكتور إبراهيم السامرائى .وقد علق بحافظتى بيت من أبيات رائيته الرقيقة هو قوله :

أسليلة الأمجاد معذرة   أن قد تخلف عنى الشعر

وليسمح لى الصديق « السامرائى » اللغوى الشاعر ، أن أقول : إن الشعر ، لم يتخلف عنه ،ولم تفارقه الشاعرية منذ أن أبدعها الله فيه ... ولكنه هو الذى قصد - باختياره- أن يتخلف عن الشعر ويتركه انصرافًا منه إلى البحث اللغوى الذى عرفناه منه فى دراساته اللغوية الجادة .

أمّاوقد جذبه يوبيل المجمع إلى خميلة الشعر فنحن ننتظر منه كل رائع وجميل .

ولعل من باب « الشىء بالشىء يذكر » أن نستطرد فنقول : إنه عندما احتفل فى مدينة زحلة اللبنانية سنة ١٩٣٧بإزاحة الستارعن تمثال فوزى المعلوف شاعر ملحمة «على بساط الريح » ،حضر أخوه الشاعر شفيق معلوف صاحب ملحمة (عبقر)

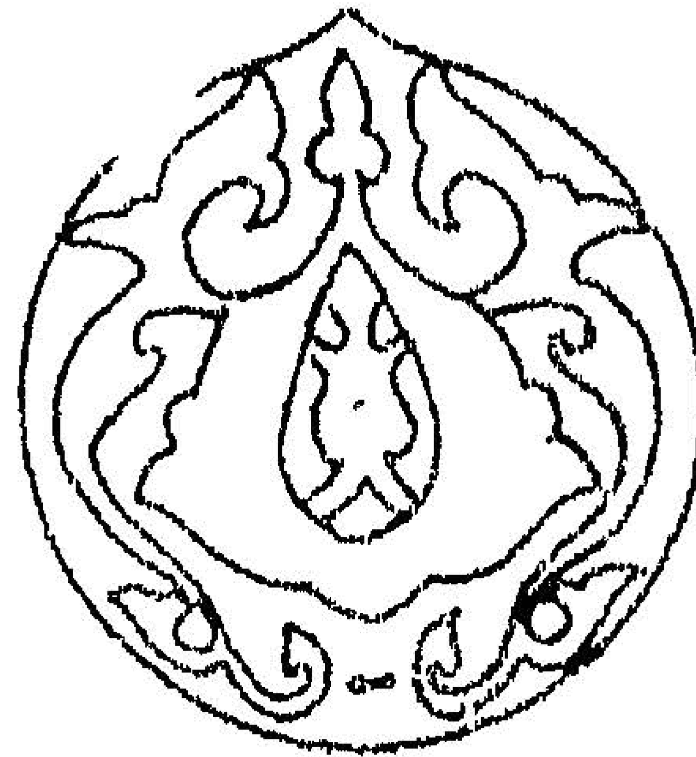
من البرازيل خِصِّيصًا لهذه المناسبة ليشهد حفل إزاحة الستار عن تمثال أخيه ، ووجَّه الخطاب إلى تمثال شقيقه قائلًا من مقطوعة مؤثرة رقيقة :

فوزى ! ومالى فى الخطوب يدان   ما هكذا الأخوان يلتقيان
قَرَّبتُ صدرى للعناق ، فلم أقع   إلَّا على حَجَرٍ من الصوان

وبعد : فيخجلنى أن أقف هنا ، وفى ختام كلمتى مرتجلًا عن أخى وصديقى الشاعر الأردنى الدكتور ناصر الدين الأسد ، وهو شاعر فحل ، ولكنى لسوء الحظ افتقدت شعره كله ، فلم يجمع كما أعلم فى ديوان ، وقد سبق أن ألقى قصيدة فى تونس منذ أعوام ، وكانت رائعة من روائعه ، وضاعت القصيدة . ولكنه هو لم يضع ؛ لأن مكانته عندى وعند أدباء العربية ونقادها لا تزال محفوظة ومذكورة .

وبعد : فهؤلاء هم شعراء مجمع الخالدين بمصر ، على اختلاف مذاهبهم فى الشعر ، وفى الخيال والوجدان ، والأداء ، والأسلوب .. وقد أربوا على الثلاثين شاعرًا ، وأرجو ألَّا يكون أفلت منى شاعر مجمعى ، وإلَّا فإن ذلك غير مقصود ولا متعمد ، فإنما الأعمال بالنيات ، والعصمة لله وحده .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



تحية لمجمع اللغة العربية وتهنئة بعيده الذهبي

للدكتور عبد الله الطيب

مَضَى على مجمع الضَّـا   دِ نِصْفُ قَـرنٍ فَحَيُّـوا
خمسون عامًا تَصَـرَّمْ   نَ وهْـو بعْدُ صبىٌّ
يَقُولُ إنِّى بَدَأْتُ الْـ   مَسِـيرَ نِعْمَ الْمُضِىُّ
إنَّ التَّخَلُّفَ عـارٌ   إذَا الْعُقُـولُ الْمَطِىُّ
خَمْسُونَ عَامًا تَصَـرَّمْ   نَ سَيْرُهَا جُلْـذِىٌّ (1)
أَحْيَـا الفصِيحَةَ فِيهـ   نَّ جُهْـدَهُ الْمَـرْضِى
وقد أَطَلَّ على النِّيـ   ـلِ عِيـدُه الذَّهَبِىُّ
وغَـابَ عنه رجَـالٌ   ما الدَّمْـعُ فِيهِمْ عَصِىُّ
وَلِلْمنَـايَا سِـهَامٌ   تَـرْمى وَنَحْنُ الرَّمِىُّ
كانُوا نُجُـومًا هُدَاةً   إذْ لَيْلُنَـا نَـابغِىٌّ
لمَّـا نَعَوا لى أَنِيسًا   كَمْ حَـزَّ ذَاكَ النَّعِىُّ
هَمى عَلَيْهِم سَحَابٌ   من رحمةٍ سَرْمَدِىٌّ (2)

* * *

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع

(1) الجلذىّ بضم الجيم وسكون اللام أى سيرة الشديد

(2) الدكتور إبراهيم أنيس عضو المجمع رحمه الله .

بالضَّـادِ تَعْتَزُّ مِصْرُ وَشَـعْبُهَا الْعَـرَبِىُّ
ولن يَزَالَ بِمِصْـرٍ لِلضَّـادِ حِـزْبٌ وَفِىٌّ
وَلِلْجُنْـدِىِّ رُكْنٌ فى أَرْضِ مِصْـرَ قَوِىٌّ
والنِّيل من جنَّةِ الْـ خُلْدِ مـاؤُهُ الْكَوْثَرِىُّ

* * *

قد هيَّج الشِّعْرَ هذَا الْـ لقـاءُ وهو حـرِىٌّ
إذ هـزَّ أعماقَ نَفْسِى مجـالُهُ الْفِـكْرِىُّ
والشِّعرُ والْفِكْرُ صِنْوا ن قَدْ قَضَى الطَّـائِىُّ
وصاحِبى من بنى الجِنْ نَ مُسْـلِمٌ سـنِّىٌّ
تَلَا بحـرْفِ الْيزيد ىّ ماروى الدُّورىُّ (٤)
والأَربعـينَ حديثًا ومـذهبٌ مـالِكِىٌّ
وسـالِكٌ بجُنَيْـد وعقْـدُهُ أَشْـعرىٌّ
وفى السِّياسـةِ عِنْدِى طَـريقُهُ مُـرجِئِىٌّ
وقد يُشَارِكُ فى النَّقْـ ـدِ وهو تَحليـلِىٌّ
ولم يغِبْ عنه فى النَّقْـ ـدِ مذْهبٌ بِنيىٌّ (٥)
نِعْم الـرَّئِىُّ وما ذُمْ مَ فى الْقَـرِيضِ الرَّئِىُّ

* * *

---

(٣) الطائى هو أبو تمام وقال فى الشعر والكنه صوب المقول ، وقال خذها ابنة الفكر.

(٤) يحيى الزبيدى عن أبى عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة والدورى أحد الرواة عن اليزيدى وأهل الك . وفى طريقة الجنيد السالك .

(٥) ولك أن تقول «مذهب منيوى» .

قد أحسنَ ابن خَميسٍ وبهْجتُ الأثَرِىُّ (٦)
وعاد مذْكُورَ رُوحٌ من الحماسِ فَتِىٌّ
أعانَ ذاكَ بيانٌ كأْسٌ وقَلْبٌ ذَكِىٌّ
كما يقول ويشْفِى بقَوْلِهِ مهْدِىٌّ
وما لخِلِّ العلَائِى نَجْلُ هارونَ سِىٌّ (٧)
وكَمْ أفَادَ عُلُومًا تَحقِيقُه العِلْمِىُّ
والمجمعيُّونَ كُلٌّ بحَّاثَةٌ ألْمعِىُّ
وآخِذٌ بسبيل بهَا يتِمُّ الرُّقى
وفى رُبُوع المعالى لَهُم أثَاثٌ ورِىٌّ

* * *

وابْنُ خَميسٍ قَوافِيهِ جرْسُهنَّ شَجىٌّ
ثم المعانى الرَّشيقاتُ لفظُهنَّ سَوىٌّ
يَشُدُّ لُطْفَ الحِجَازِىْ أَسْرُهُ النَّجدِىُّ
رَقِيقُهُ حَضَرِىٌّ وَجَزْلُهُ بَدَوِىٌّ
والشَّيْخُ من مَنْبَع الشِّعْرِ غَارِفٌ وَغَذِىٌّ

* * *

وبهْجَتٌ أَبْهَج الْقَلْبَ نَسْجُهُ الْيَشْكُرِىُّ (٨)
يُمِدُّه النَّفَسُ الْحُرُّ وَالْفُؤادُ الجرِىُّ

---

(٦) كان هذا أول بيت فى القصيدة حركه فى النفس سماع قصيدتى عضوى المجمع الأستاذ محمد بهجت الأثرى والأستاذ عبد الله بن خميس ثم توالت الأبيات .

(٧) خل العلائى إشارة إلى قول أبى العلاء فى سقط الزند (أهدى السلام إلى عبد السلام الخ) والمراد بالإشارة إلى اسم الأستاذ عبد السلام هرون أمين المجمع .

(٨) اليشكرى صاحب المعلقة وقصيدة الأثرى همزية من الخفيف .

قد اطمَـــأَنَّتْ قوافيـ ـــهِ واتلأَبَّ الـرَّوِيُّ
أَمَّا المعـــانى فقـــد شَعْـ ـــعَ نُـــورهُنَّ السَّنِيُّ
فأَعْجَبَ النَّاسَ صِدقٌ فيهـــا وقَصْـــدٌ جلِيٌّ
وحَبَّـــةٌ من مُجيـــدٍ قَصِـــــيدُه مَـــروِيٌّ
شَيخٌ جهـــيرٌ منيرٌ مُـــــوفَّـــقٌ أَريحِيٌّ
وما تشـــكَّى الثمانيـــ ـنَ إِذْ شَكَا الْمُزَنِيُّ[9]
فـــزاده اللهُ عُمـــرًا يَـــزْدادُ وهْـــو هنِيٌّ
ما انفكَّ يُعطِي العطاءَ الـْ ـكثير وهو السَّخِيُّ

* * *

ومن أَحـــذِّ الأَعـــاريـ ـضِ مُضْمَرٌ رائِيٌّ[10]
حيَّـــا به مجمع الضَّـــا دِ خَـــاطِرٌ رافِـــدِيٌّ
شِمنَا به بارقَ الشِّعْـ ـــرِ لَاحَ منه حَبِيٌّ
فَالسَّـــامَرَائِيُّ وَبلٌ بهِ وَسَيلٌ أَتِيٌّ[11]
وفَـــوقَ حَزْنِ المعـــانى رَوضٌ وَقَطْفٌ جَنِيٌّ

* * *

فَقُل لمن عنـــده الْوَزْ نُ مـــذهبٌ رَجعِيٌّ
دَعِ الْمُحَـــاكاةَ واعلَم أَنَّ المحـــاكَاةَ عِيٌّ
وسِنْخُهَـــا لو تَأَمَّلْـ ـتَ كُلُّـــهُ أَجـــنَبِيٌّ
إِن استُجيدَ لدى الْقَوْ ـــمِ نَازِرِى
هُوَ الصَّدَى، وزَنُ ذَا الشِّعْـ ـــرِ طَيرُنَـــا الْمحكِى

(٩) المزنى هو زهير بن أبي سلمى وقوله معروف .
(١٠) الأحذ المضمر مجزوء من بحر الكامل وبه جاءت قصيدة الدكتور إبراهيم السامرائى وقافيتها راء مضمومة .
(١١) السامرائى هنا بتخفيف الراء المراد الدكتور إبراهيم السامرائى عضو المجمع .

الْوَزْنُ شَيْءٌ أَصِـــلٌ وَعُمقَــهُ جِــــذْرِيٌّ
والجَـــاحِظُ الْفَحلُ سَمَّا هُ مُعجزًا يَا أُخَيٌّ (١٢)
ليس كَشَيْءٍ سِمعنَـــا هُ قِيـــلَ تَفْعِيـــلِيٌّ
من قَبلُ حَـــاولنـــاهُ إِذ الشَّـــبَابُ غَـــوِيٌّ
نَعُـــدُّهُ تَجـــدِيدًا إِذ الجَـــدِيدُ شَهِيٌّ
وكانَ مِنَّـــا عَلَيـــهِ تَوَفُّـــرٌ جِـــدِّيٌّ
ثُمَّ تَرَكْنَاهُ لمـــا اسْـــتَبانَ مِنْـــهُ الْخَـــفِيُّ
إِذْ لم نَجدْ فِيهِ رُوحَ الشْـــشِـــعْرِ الَّذِي هُوَ حَيٌّ
وصَحَّ حَقًّـــا لَدَيْنا فَـــرَاغُـــهُ الْفَـــنِّيُّ
وربَّ قَـــوْمٍ طَبَاهُمْ شِـــعارُهُ الْبَهْـــرَجِيُّ
إِنَّا رَفَضْـــنَاهُ ؛ إِنَّا أَبَـــاهُ منَّـــا الْأَبِيُّ

* * *

هاجَ الفُـــؤادَ خيالٌ وَافَى وَأَهْـــدَتْهُ مَيُّ
حســـناءُها م فُـــؤادِي بِهـــا وشَـــرْخِي طَـــرِيٌّ
إِنَّ الجـــزالةَ عِنْـــدِي هِيَ البيـــانُ النَّقِيُّ
وحبُّهـــا فى فُـــؤادِي هو الهوى الْعُـــذْرِيُّ
فحيِّهـــا حِينَ حيَّـــا كَ وَشَيُهـــا العَبْقَرِيُّ

* * *

عبد الغَنِيِّ وبالْفَضْـــلِ إِنَّهُ لَغَنِيٌّ
أَشَـــادَ بِي فجزاهُ اللـــهُ الْحَـــكِيمُ الْعَـــلِيُّ
خَـــيْرَ الجزاءِ" وعندى له الثَّنَـــاءُ الـــزَّكِيُّ
ثُمَّ السَّـــلَامُ عليكم وكلُّـــكم بِي حَـــفِيٌّ

الدكتور عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان

---

(١٢) قال هذا الجاحظ فى أوائل كتاب الحيوان .

(١٣) هو الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع والتى كلمة عن شعراء المجمع .

معجم القرن العشرين العربي
للدكتور عدنان الخطيب

القرن ماض وانقضى معظمه فهل يرى كوعدهم ، معجمه ؟

إذا تفاخرت اللغى كل بمعجمها ، فالفخر كل الفخر لأمها الضاد ، إذ لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم ، وسعيا فى جمعها وتدوينها وبحثا فى مفرداتها وتعقبا لدلالة الحرف الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحد .

يعترف بهذه الحقيقة المستعرب جون أ . هيوود كبير أساتذة الدراسات العربية فى جامعة درهام الإنكليزية فى كتابه « صناعة المعاجم فى العربية » (١) أو إذا صح التعبير «معجمة اللغة عند العرب » إذا يقول « . . . وكان لدى العرب معجم شامل هو (لسان العرب) كانت دونه دقة وشمولا معاجم سائر اللغات قبل القرن التاسع عشر».

فكيف يكون الفخر بالمعجم العربى إذا ما أضفنا إلى اللسان : التهذيب والصحاح والمقاييس والأساس والقاموس وتاج العروس الذى كان من نتاج القـرن الثامن عشر الميلادى .

هذا ماكان عليه المعجم العربى ، يوم هلّ القرن التاسع عشر ، غير أن معاجم لغات الغرب أخذت تواكب نهضته العلمية وحضارته المادية لتفى بمتطلبات النهضة والحضارة ، فماذا صنع العرب بمعجمهم الموروث للحاق بمعاجم لغات الأمم المتمدينة ؟

لقد بدأ القرن التاسع عشر والعرب متقوقعين على أنفسهم فى ظل حكم يحاول اللحاق بموكب الحضارة الغربية ، يعثر خطواته التخلف المستشرى فى إدارته وطبقات شعوبه المتعددة ، حتى إذا ما غزا نابوليون مصر وقام فيها حكم محمد على وأسرته ، وهجمت الإرساليات التبشيرية على بلاد الشام ، وأخذت تتنافس فيما بينها ، استفاق العرب من سباتهم وظهرت بوادر الصحوة فيهم مبشرة بوثبة معجمية رائعة . وما دخل القرن العشرون

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من العيد الخمسينى

(١) انظر Arabic Lexicography, JOHN A. HAYWOOD Leiden E. J Brill

إلا وآتت جهود العلماء ثمارها فظهرت المعاجم تترى ، وفى كل منها جهد يشكر عليه صاحبه، وليس مقامنا مقام تعداد تلك المعجمات أو الحديث عن مزايا كل واحد منها وعيـ وبه ، على أننا نستطيع الجزم بأنه لم يكن بينها المعجم العربى المنشود .

وتعدد علماء العربية المشتغلون بالمعجم العربى ، وتعددت المؤسسات التى تساهم فى ذلك ، وكان فى طليعتها مجمع اللغة العربية فى مصر الذى نحتفل اليوم بعيده الذهبى ،فإليه تزجى التهانى وعليه تعقد الآمال لتحقيق الوصول بمعجمه الوسيط إلى مصاف معاجم اللغات العالمية .

لقد وضع المجمع نصب عينيه ، منذ تأسيسه هدفا ، عمل جاهدا لتحقيقه هو تجديد المعجم العربى ، فلما كانت سنة ١٩٦٠ صدرت عنه الطبعة الأولى من المعجم الوسيط وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد ، واجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره من خصائص ومزايا (على حد قوله فى المقدمة) ولكنه فى الحقيقة لم يكن المعجم المنشود وإنما كان خطوة هامة باتجاهه إذ ظهرت فيه أخطاء وعيوب عديدة ، حملت المجمع على إصلاحها أو تجنبها ما استطاع خلال عشر سنوات أو تزيد ، فلما كانت سنة ١٩٧٢ ظهرت الطبعة الثانية من الوسيط بعد أن أعادت لجنة المجمع قراءة الطبعة الأولى من المعجم مادة مادة مرددة فيها نظرات فحص وتمحيص ، فتتبعت ما ترك المعجم من بعض الألفاظ أو فروع المعانى لتزوده منها بما يسوغ ، وتحرت فى مراجعة الشروح والتفسيرات أن تجعل عباراتها أيسر منالا وأقرب إلى دقة وإحكام . . . وأضافت إلى المعجم طائفة كبيرة من أمهات المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التى أقرها المجمع كما تقول اللجنة المجمعية .

وكان المعجم الوسيط فى طبعته الثانية خطوة جديدة عظيمة نحو المعجم المنشود ، ولكنه لم يكن إياه .

أنا لا أريد تعداد عيوب الطبعة الثانية من الوسيط التى حالت دون أن يكون المعجم المبتغى ، غير أنى أحب وضع معالم فى الطريق إليه ، وحسبى أن أذكر مثالا واحدا ثم أبين ما أرى ضرورة الالتزام به لتثمر الجهود المبذولة فى إعداد الطبعة الثالثة المثمرة الطيبة المرجوة .

سبق أن حاولت بعد صدور الطبعة الأولى من المعجم الوسيط إبداء بعض الآراء فيها وبثثت تلك الآراء فى كتابين طبع أحدهما فى دمشق[1] والآخر فى القاهرة[2] وهاكم قصة رأى منها :

للحنف فى العربية معان كثيرة رددتها كل المعجمات، وعلماء اللغة مختلفون على المعنى الأصيل للحنف ، ويمكن القول بأن آراهم المتضاربة تندرج فى ثلاث زمر هى :

أولا : يقول عدد كبير من علماء اللغة بأن المعنى الأصيل للحنف : الميل والاعوجاج والحنيف من مال عن الضلالة فترك الشرك إلى التوحيد ، ومن القائلين بهذا ابن فارس وابن سيده والزمخشرى والفيومى .

ثانيا : تقول طائفة من العلماء بأن لفظة الحنف من الأضداد فهى تعنى الاعواج والميل تارة ، وتعنى الاستقامة تارة أخرى وفى طليعة القائلين بهذا الرأى الفيروز ابادى وأخذ بهذا الرأى معدلا معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى صنعه مجمع اللغة العربية بمصر ، فقال : حنف : مال ، ولما لم يجد فى ألفاظ القرآن الكريم إلا معنى واحداً قال : والحنيف : المخلص الذى أسلم لأمر الله فلم يلتو فى شىء من دينه .

ثالثا : هناك من يقول بأن المعنى الأصيل للحنف : الاستقامة ، وأثبت هذا الرأى صاحب اللسان فقال : قال ابن عرفة فى قوله عز وجل (بل ملة إبراهيم حنيفا) قد قيل إن الحنف : الاستقامة وإنما قيل للمائل الرجل أحنف ، تفاؤلا بالاستقامة ، وقال أبو زيد : الحنيف : المستقيم وأنشد :

تعلم أن سيهديكم إلينا طريق لايجور بكم حنيف

وعلق صاحب التاج على قول ابن عرفة قائلا : قلت وهو معنى صحيح وكان المعجم الوسيط فى طبعته الأولى قد أخذ بالرأى الأول مثبتا فى مستهل تعريفه للحنف أشد حالات الاعوجاج فقال : « حنف الرجل حنفا : اعوجت قدمه فصار ظهرها بطنها حاقة » وكنت فصلت الكلام عن كل هذا فى نقدى للطبعة الأولى من الوسيط فلما صدرت الطبعة الثانية ظل الاعتماد فيها على الرأى الأول غير أنها تلطفت فى وصف الحنف فقالت : حنف الرجل : اعوجت قدمه إلى الداخل ، مبقية فى التعريف قول أبى البقاء فى الكليات (وهو من علماء القرن السابع عشر الميلادى) إذ قال : إذا

---

(١) المعجم العربى ونظرات فى المعجم الوسيط من مطبوعات المجمع العلمى العربى دمشق ١٩٦٥ .

(٢) المعجم العربى بين الماضى والحاضر من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج ، كقوله تعالى : «ولكن كان حنيفا مسلما » . وإذا ذكر وحده فهو المسلم كقوله تعالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا » فهل ماذكره أبو البقاء من المعانى الأصيلة لمادة لغوية ؟ إنه بأقوال المفسرين أشبه

سقت قصة مادة (حنف) فى طبعتى المعجم الوسيط لأقول : إن المعجم العربى ليكون معجم القرن العشرين لابد له من مبادئ يلتزم بها وأساليب يتبعها، وسأحاول تعداد أهمها فيما يلى :

أولا : الانتقاء ، فليس كل ماورد فى المعجمات القديمة ، يصلح للحشر فى معجم القرن العشرين ، كما هى الخطة المتبعة فى المعجم الكبير ، ويجب أن يلاحظ عند الانتقاء وضوح المعنى وأصالته ، وسهولة الألفاظ وأنسها ، لتواكب لغة المعجم مسيرة الحياة الحضارية المعاصرة ، يستبعد منها الحوشى والغريب ، وتسقط الأساطير والأقوال الضعيفة التى تناقلتها بعض المعاجم وتحذف التعريفات المنافية للعلم المحقق .

ثانيا : الالتزام بمقررات مجمع اللغة العربية المتعلقة ببناء المعجم العربى ، وفى طليعتها قراره إكمال المادة اللغوية إذا لم يرد بعض مشتقاتها فى المعجمات القديمة ، مادام يجرى على سنن العربية وقواعدها الأصيلة وكانت الحياة المعاصرة بحاجة إليه .

ثالثا : الامتناع عن إثبات أى كلمة فى المعجم إذا لم تكن عربية النجار إلا إذا ألحقت برمز ينبىء عن صفتها ، معربة كانت أو دخلية ، مولدة أو محدثة، عامية فصيحة أو غير فصيحة ، أو كانت من مصطلحات العلوم والفنون والحضارة ، أقرها المجمع أو هو فى سبيله إلى إقرارها .

رابعا: إلحاق كل لفظة تدل على بعد أو وزن أو كيل ، أو كان لها ذلك ، بما يفيد معادل قيمتها المستعمل فى العصر الحديث ، فلا يقبل من معجم حديث أن يعرّف بردى مثلا : بأنه نهر دمشق الأعظم يخرج من قرية الزبستانى على خمسة فراسخ من دمشق مما يلى بعلبك ، ثم يعرف النيل بأنه نهر مصر والسودان .

خامسا : الالتزام بالتماثل فى التعريف بالعدلاء ؛ ففى السماء مثلا اثنا عشر برجا ، ومن المنتقد أن يجد امرؤ فى معجم حديث تفاوتا فى التعريف بها فيجد :

الأسد : أحد بروج السماء .

الجدى : برج فى السماء بجوار الدلو .

الدلو : برج من بروج السماء .

القوس : برج فى السماء هو تاسع البروج .

أما الميزان فقد سها المعجم الوسيط عن ذكره فى طبعتيه .

وفى السنة اثنا عشر شهرا ، ومن غير مقبول اليوم ألا يجد المرء تعريفاتها متفاوتة فحسب بل يرى مع التفاوت ميلا عن الصحة أو بعدا عن الدقة منقولا من معجمات قديمة ، لم يدقق أصحابها فيما نقلوه عن غيرهم ، فيجد مثلا :

الكانون : ج (كوانين) وكانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الثانى (يناير) شهران فى قلب الشتاء بين تشرين الثانى وشباط ، ولا شهر بينهما ، ويسميهما العرب : شهرى قماح .

آذار : الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله مارس من الشهور الرومية .

نيسان : الشهر السابع من شهور السنة السريانية يقابله إبريل ، وهو الشهر الرابع من شهور السنة الرومية (الميلادية) ، ونيسان فى الحقيقة هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية ، عرفه البابليون باسم نيسانو NISANU وعرفه العبرانيون القدماء باسم نيس NIS وعرفه السريانيون باسم نيسون NEESON ودخل الضاد معربا بلفظة نيسان فقال البحترى مثلا :

فكأن دينا للسماء على الثرى   سلفــا قديمــا حــل فى نيســان

وقديما قال عدى بن الرقاع يصف عيرا وأتنا رعين البقل فى إبانه ثم نضبت المياه حتى تعذرت : (عليهن فى نيسان باقية الشرب) .

فنيسان رابع أشهر السنة لا سابعها ، ولفظه معرب قديما وليس كإبريل دخيلا على العربية من قرن مضى ، وقد أثبت المعجم الوسيط فى طبعته الثانية تعريفه المذكور آنفا دون أن يشير إلى حقيقة لفظه كما فعل فى تعريف شهر (ديسمبر) إذ أشار إلى أن لفظه من الدخيل .

هذا والمشرف على طباعة معجم فى القرن العشرين ، غدا يتمتع بجميع مزايا التقدم التقنى الحديث فى وسائل الطباعة المعاصرة ، فالطباعة بوساطة آلات الصف التصويرى وبإشراف الحاسب الآلى الإلكترونى توفر جهود الأفراد فى الصف والشكل ومعرفة الخطأ وسهولة استبعاده قبل الطباعة .

إن الحاسب الإلكترونى بقدرته التنبيه على أمور كثيرة يحب المسئولون عن المعجم الحديث أن لا يراها الناس فيه ، فتراهم يبادرون إلى منع ظهورها فى معجم . فهو يستطيع تحديد المواد التى وردت فيها كلمات ، تسمح القواعد المقبولة برسمها فى صورتين لتوحيد هذا الرسم فى المعجم ، مثل الأعداد المركبة مع لفظ مئة ، وداوود ، وأوكسجين .

ويستطيع الحاسب الإلكترونى أيضا تحديد المواد التى وردت فيها كلمات مثل أوروبا مرسومة بصيغة تنتهى بالألف مع تحديد المواد التى وردت فيها الكلمة نفسها منتهية بالتاء المربوطة ، ومع هذا التحديد يتمكن المسئول من اختيار أحد الرسمين .

غير أن الحاسب المذكور ، إذا كشف عن أن كلمة سورية وردت فى إحدى مواد المعجم برسم ينتهى بالألف ، يعجز عن التنبيه على أن سورية لا تحب أن ترى اسمها ، لأسباب تاريخية ، مرسوما بالألف لأن القانون فيها يلزم أطفال المدارس بكتابة اسم سورية بالتاء المربوطة ويفرض على موظفى الحكومة أن لا يكتبوا اسم الدولة إلا بالرسم الذى المرتضاه لها .

كما أن الحاسب الإلكترونى لا يستطيع تخير الرسوم والصور الجيدة التى تمثل الشيء المراد إيضاح تعريفه ، كما لا يستطيع تلقائيا أن يدون تحت الرسم نسبته إلى الحقيقة كبراً أو صغرا ، كما هى سمة المعجمات الحديثة ، إنما يمنع ذلك كله مهندس أو خبير .

إن معجم القرن العشرين اللغوى ، لا يضعه اللغويون فحسب ، إنما يصنعه العلماء فى اللغة والمتخصصون فى علوم كثيرة أخرى ، متعاونين مع أفراد يتقن الواحد منهم ضربا من الفن الذى لا بد منه لإخراج معجم يرضى أساطين اللغة وغيرهم من العلماء ، ويعجب الطلاب وسائر القراء .

إن معجم القرن العشرين لا يصنعه بالعربية ، إلا رجال يؤمنون بالفصحى ويحبونها ، يدافعون عن سلامتها ويسهرون الليالى فى خدمتها ، وكلمة صنع الضادية تتضمن معنى لا نظير له فى كلمة تقابلها فى لغات سائر الأمم ، إنها تتضمن « العمل بإجادة وإتقان ، عن ترتيب وإحكام لما تقدم العلم به ، ليوصل إلى غاية مراده منه » .
« على ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم »

الدكتور عدنان الخطيب
عضو المجمع من سورية

ذكريات جميلة عن العمل مع الخالدين

للأستاذ عبد الله كنون

كان للإعلان عن إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو مجمع الملك فؤاد الأول كما سمي بادىء بدء في العام الثاني من العقد الرابع لهذا القرن ، صدى استحسان وابتهاج في جميع الأقطار العربية ، لما يحس به جميع المثقفين العرب من حاجة اللغة إلى تطور وتجديد لمسايرة العصر والنهضة العلمية الحديثة . وتشرفت كما تشرف غيري لأعمال هذا المجمع . ونحن على يقين بأن مصر ، ومالها من قدرات مادية ومعنوية وما تزخر به من أدمغة علمية وأدبية ، ستنفخ في لغتنا الضادية روحا جديدة وتبعثها من مرقدها الذى نامت فيه حقبا طويلة ، وكانت المواصلات المتقطعة في أغلب الأحيان تحول بيننا وبين الاطلاع على ما يصدر عن المجمع من إنتاج ، وإنما نتسقط أخباره على قلة من بعض الصحف والمجلات الأسبوعية التي لا تشفي غليلا من فكرة ولا ثقافة ، بل إنها ربما تندرت به وبرجاله ، وهي التي روجت لمصطلح «الشاطر والمشطور وبينهما كامخ» زعماً بأن المجمع وضعه لما يسمى بالساندويش ، وكنت كثير الحرص على مجلة المجمع التي لا تعرفها شركات التوزيع ، أتطلبها بكل الوسائل ، كما أفعل في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ولا أحصل على هذه ولا على تلك إلا بمشقة ، وليس دائماً ، في حين أن مجلة المقتطف التي تتولى توزيعها الشركات المختصة ، قلما تفوتني ، وكانت هذه المجلات الثلاث هي التي تشبع نهمي العلمي .

واتصلت مباشرة بالمجمع لأول مرة في سنة 1975 حين كنت في زيارة لمصر ، وحضرت جلسة علنية له ، تكلم فيها الدكتور منصور فهمي الأمين العام للمجمع ، كما تكلم الأستاذ شفيق غربال ، وحضرها ممن عرفت مفتي القدس الحاج

أمين الحسيني وهو الذى اصطحبنى معه إلى المجمع ، وقبل انعقاد هذه الجلسة طرحت سؤالا على بعض من تحلقنا معهم فى قاعة الانتظار عن كلمة (المطبات) وكنت سمعتها كثيرا أثناء الكلام عن السفر بالطائرة ، ولاحظت أن الناس فى المشرق يغلب عليهم أن يقولوا مُنَى بضم الميم فى اسم هذه القرية من مشاعر الحج ، والمعروف فيه الكسر ، فأنشد سماحة المفتى البيت المشهور :

مُنًى إن تكن حقًّا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رَغْدَا

لكنه أكد أن اسم القرية هو منى بكسر أوله وأن ما يجرى على ألسنة بعض الناس إنما هوو من التعلل بالمنى والتشابه بين اللفظين . وكان اعتذارا لطيفاً من سماحته لهؤلاء الناس . وذلك مما استفدته بالقرب من أخلاق المجمعين ، وأنا فى ذلك الحين أشرف بعضوية المجمع العلمى العربى بدمشق ، إذ التحقت به سنة 1956 بقرار من الرئيس شكرى القوتلى ، وقد عرّجت على دمشق قبل وصولى إلى القاهرة ، عائدا من الحج أنا ورفاقى فى الوفد الرسمى ، فزرنا المجمع فى بنايته الأثرية ، ورئيسه يومئذ الأستاذ خليل مردم بك ،فاحتفل بنا وتعرفنا ببعض أعضائه وأمينه العام وقتئذ وهو الأمير جعفر الحسينى وكان الأستاذ مردم يحقق ديوان ابن الخياط على عدة نسخ ، منها نسخة مغربية الخط ، فسأل عن بعض الكلمات التى تردد فى قراءتها ، وأخبرته أن عندنا فى المغرب نسخة جيدة منه فطلب إتحافه بها ،وهى من خزانة السيد اليزيد بن صالح باشا تطوان سابقا ، فأرسلت إليه صورة منها ، وقد قال فى مقدمة الديوان عند نشره إنها أقدم النسخ التى عثر عليها تاريخاً وأقلها أخطاءً .

وهكذا كتب لى فى هذه الرحلة الاحتكاك بالمجمعيين فى مصر والشام ومخاطبتهم عن قرب ، بعد أن كانت صلتى بهم عن طريق المراسلة ، وخاصة الزملاء السوريين وأولهم الرئيس محمد كرد على الذى كاتبته ببعض الملاحظات على ما قرأته فى المجلة ورد على طالبا مواصلة الكتابة إليه وأهدانى نسخة من كتابه كنوز الأجداد فَوْرَ صُدوره .

وفى سنة 1961 أُشعرت بانتخابى عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،

غير طالب ولا ساعٍ ولا تشوف – علم الله – لأنى لم أكن هناك عند نفسى ، فأحرى عند غيرى ، والناقد بصير كما يقولون ، وقد كان الأمر كذلك فى عضوية مجمع دمشق ، فالقضية إذن إنما هى قسمة وحظ ونصيب ! . . وكيفما كان الحال فالأمر جد ويجب أن يُعطَى ما يستحقه من الأهمية ،ومجمع القاهرة له مؤتمر سنوى يحضره الأعضاء العاملون للمشاركة بالرأى والمناقشة فيما أنجزه من أعمال طول السنة وتقديم ما يكون لهم من أبحاث لغوية وأدبية ،إضافة إلى تمتين الروابط بين الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية وإخوانهم المصريين ،وهى روابط تمثل وحدة اللغة والفكر والثقافة ، لا سيما وقد عُيِّن معى فى تلك السنة عشرة أعضاء من مختلف البلاد العربية ، وهم الأساتذة : أحمد عقَبات ، إسحاق الحسينى ، أنيس المقدسى ، عبد الله الطيِّب ، على الفقيه حسن ، عمر فرُّوخ ، قَدرى حافظ طُوقان ، محمد البشير الإبراهيمى ، محمد بهجة الأثرى ، محمد الفاضل ابن عاشور .

كان استقبال هذا الفوج الجديد من الأعضاء جماعِيا ،قام به الدكتور إبراهيم مدكور وهو يومئذ الأمين العام للمجمع ،ورد عليه باسم بقية الأعضاء الشيخ البشير الإبراهيمى .واشتملت كلمة الدكتورمدكور على التعريف بمهمةِ المجمع ووضْع اللغة العربية فى الحاضر وما يؤمل أن تكون عليه فى المستقبل وقال عن الأعضاء الجدد « إنهم بين أديب ولغوىٍ وفقيه وقانونى وعالم ومؤرخ وصحفى وسياسى ، فى غِنى عن التعريف ولا سبيل لأن أُوفيهم حقهم » ولكنه قدم كل واحد منهم بكلمة مُوجزة تُبين تخصصه واهتماماته ، وكان ذلك فى المؤتمر السنوى للمجمع . وفيه ابتداءً عملنا فى المجمع ومشاركة كلّ بما تَهيأ له من بحث لغوى أو أدبى أو تاريخى ،مع الإسهام فى مناقشة ما يعرض من أبحاث ومصطلحات وقرارات يقدمها مجلس المجمع أو أعضاؤه ، وكان إسهامى الأول ببحث لغوى يحمل عنوان : « لِمَا بِهِ وألفاظ أُخرى . . . » وقد نوقش هذا البحث ووقع التنويه به ، وتَلقيْتُ بعد ذلك ولمدة طويلة من غير واحد من الزملاء شواهد تؤيد ما قلته فى تعبير « لما به » وكلمة الواسطة من الألفاظ التى ذكرتُها معه .

ومن أحسن ما أرويه فى هذا الصدد أنه وقعت المذاكرة فيما عُرض على مؤتمر المجمع من اقتراح يقضى بتخصيص موضوع واحد للأبحاث التى يقدمها الأعضاءُ للمؤتمر ، فكان هناك مُساندون للاقتراح ومعارضون ، وكان الأُستاذ عباس محمود العقاد من المعارِضين قائلا إن فى ذلك تقييدا لحرية الأعضاء وتضييقاً عليهم فى مجالات البحث الواسعة ، وضَرب المثل ببحثى المتعلق بتعبير « لما به » وشَرْحِه الذى لولا تَرك الباب مفتوحاً فى وجه الأعضاء لِطَرْق ما يعِنُّ لهم لما ظفِرنْا به .

وكان الأُستاذ العقاد إنما يحضُر بعد افتتاح الجلسات ،ويتابع بعضَ فَقَرات جدول الأعمال ويناقش ما يستدعى المناقشة بعُمْق ،وخصوصاً المصطلحات العلمية ثم ينصرف قبل اختتام الجلسة .كما أنه لا يحضر الاستقبالات والمآدب والرحلات التى ينظمها المجمع . وبعكس ذلك الرئيس الدكتور طه حسين فإنه كان يحضر الجلسات من الأول ويفتتحها هو على ما كان به من مرض مُزْمن ، ويدخل قاعة الاجتماع محمُولاً تقريباً ، ومعه زوجه التى تمسح على رأسه وتُصلح هِنْدامه . وهو يبتسم ويتتبع سير العمل ولكنه لا يقول شيئاً ، إلا إذا مرّت كلمة أو ذُكر نصٌّ مِما يمتُّ لألفاظ القرآن بصِلة ، فإنه يذكر الآية التى وردت فيها تلك الكلمة ، أو تُشاكل النص باللفظ ، وإن لم تكن شاهدا على ما يجرى الكلام فيه .

وهكذا كانت آى القرآن الكريم على طَرف الثُّمام منه . يقرأُها وكأنه ينظر فى مصحف، وهكذا كانت رئاسته فيما أدركناه تشريفية فقط ، أما تسيير الجلسة وما تتطلبه الرئاسة فكان من شأن الأمين العام الدكتور إبراهيم مدكور . على أنه بعد اشتداد مرضه صار يتخلف عن الحضور كثيرا وينوب عنه فى رئاسة الجلسات خليفتُه الأُستاذ زكى المهندس .

وعلى ذكر جدول الأعمال نُشير إلى أنه يكون ذا جوانب ، لكل واحد منها يستَثير فريقا من الأعضاء ذوى الاختصاصات المختلفة ، فقَوائم المصطلحات تهم أهل العلم من جهة وأهل العربية من جهة أُخرى . وألفاظ الحضارة ولغة الصحافة تعنى الجميع . وكان يعتنى بجمعها وتقديمها الأُستاذ محمود تيمور . ومذكرات

لجنتَى الأُصول والألفاظ والأساليب تحظى بدراسة حادَّة من علماء العربية .ومواد المعجم الكبير تستقطب أهل اللغة والأدب والعلوم واللغات السامية والمؤرخين وسواهم ثم البحوث التى يُلقيها أصحابُها فى أبواب المعرفة المتنوعة ، وهى بحسب موضوعاتها تكُون محطَّ عناية العالمين بتلك الموضوعات .

وتحتدم معارك المناقشة فى هذه المجالات ، ففى المصطلحات العلمية الجديدة التى يضعها المجمع بمعرفة اللجان المختصة رُبما حُوِّر مصطلح أو أُخِّر لإعادة النظر فيه أو استُبدل بغيره مما يقترحه أحد الأعضاء وتكون المناقشة فيها بين أهل الاختصاص وعلماء العربية ، أُولئك فى تحديد معناها بالضبط وهؤلاء فى موافقة صياغتها للقواعد وهذا مع العلم بأن المجمع يُرسل قوائم هذه المصطلحات إلى الأعضاء العاملين بالبلاد العربية للاطلاع عليها وإبداء نظرهم فيها قبل عرضها على المؤتمر لإقرارها ، ولذلك تكون المناقشة فيها خفيفة . وكذلك تُناقَش الألفاظ الحضارية والصحفية ويُقَرّ منها ما يُقر ويُستبعد ما يستبعد . ولكن المناقشة تحتد كثيرا وتطول فى قرارات لجنة الأُصول ولجنة الألفاظ والأساليب ، ويقف علماءُ العربية منها مواقف مُتحفِّظة ولا يسلمون منها إلا القليل . وكان للمرحوم الشيخ محمد على النجار فى هذا الصدد مصادمات مع غير واحد من الأعضاء المتساهلين الذين يصفُونه بالتزمت والتشديد وخَلَفه فى ذلك المرحوم الأُستاذ عباس حسن ، بل إن هذا كان أكثر تَصدِّيا وتعرضا لكل مخالفة للقواعد والأُصول يواجهها بالنص والدليل الحاضر ولا يدَعُها تمرّ بوجه من الوجوه وكان يحمل دفترا صغيرا فى جيبه يتضمن نصوصا وشواهد من مختلف الكتب الأُمَّهات والمتون المستعملة والشروح والحواشى فى عبارات وجيزة مع الإشارة للمصدر بالاسم والصفحة والطبعة ، فلا يفتأ يرجع إليه ويستظهر به . ويتضايق بعض الأعضاء من استقصائه ، وتُحاولُ الرئاسةُ أن تُقفل الموضوع ، ولكنه يمضى لطِيَّته لا يلوى على شىء حتى يتم (مُرافعَته) مستمنحا حِلْم المُتضايقين . . ولا يختص هذان العضوان بالمنافحة القوية عن العربية وسلامتها لحد الغضب والتشنُّج كما رأينا ، فهناك آخرون من مصر كالأُستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن والأُستاذ

محمد بهجة الأثرى من العراق ، والدكتور عمر فروخ من لبنان وغيرهم . والقضية قضية اتجاهين ، اتجاه محافظ واتجاه مجدد ، والكل يريد الخير للغة العربية ويعمل على تقدمها وازدهارها . وقد يقع هذا التعارض بين رجال من أهل العلم التجريبي ويصل إلى المهاجمة ، فلا أزال أذكر كيف وقف الدكتور عبد الحليم منتصر ، وهو عالم نباتى كبير فى وجه الدكتور محمد كامل حسين ، وهو طبيب وأديب وكان يتكلم على تطوير العربية والتحلل من (الأشمونيات) والكتب الصفراء فرد عليه الدكتور منتصر فى ثورة عارمة وقال له إن الأشمونيات والكتب الصفراء هى التى حفظت لنا لغتنا وصانتها من العُجْمة ، وأنت نفسك إذا أردت تحقيق مسألة من لطب لا بد أن ترجع إلى الكتب الصفراء وأشمونيات الطب ! ولا ننسى أن الدكتور اكامل حسين هو صاحب كتاب النحو المعقول ! . .

وللدكتور محمد أحمد سليمان وهو طبيب أيضاً مواقف من هذا القبيل ، فليس الأمر مقصورا على علماء العربية ، أى اتجاه المحافظة ، ولا خلافه مختصاً بأهل العلم العام ، فمن أنصار التجديد الدكتور مهدى علام الأمين العام الحالى للمجمع وهو دكتور أدب وفلسفة ، ومنهم الأستاذ محمد شوقى أمين وهو أستاذ لغة ونحو ، وكثير من الأعضاء ينهجون نهج التوسط وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم مدكور .

وإذا كان لى أن أحشر نفسى فى هذا المقام فإنى أميلُ إلى التجديد ولكن فى حدود أُؤيد كل مايُثْرى اللغة ويوسع دلالاتها ، وأُفضّل أن يكون عمل المجمع منصبا ع سد الفراغ وكفاية الحاجة فى كثير من أسماء المواد والآلات والمستحدثات العمرانية والحضارية والعلمية ، وما أكرَهُه وأكون محافظاً فيه كل المحافظة هو الهدم والتجاوز للأُصول والقواعد المحررة بدعوى التسهيل والتيسير ، فكم أَسِفْتُ لإلغاء حكم الممنوع من الصرف مثلا ، وهو حكم مبنى على قياس صحيح واستقراء تام ، وإن كنتُ أحمدُ الله على أن أحداً لم يأْخذ بهذا (التجديد) أو التسهيل . وما زالت الأسماءُ الممنوعة من الصرف والعِلَل المُوجهة لمنعها محترمة من الجميع . وأعتقد أن كل ما كان من هذا القبيل مبنيا على نظر سديد وتعليل معقول سيبقى بمنجى ن التعديل والتحوير .

ويتصل بهذا الموضوع أن الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور طلب منى ذات يوم أن أرأس جلسة المجمع ، وكان جدول الأعمال يشتمل على مذكرة للجنة الألفاظ والأساليب ، فقال لى أحد الزملاء إن الرئيس كلفك برئاسة الجلسة حتى لا تُنَاقش ، فقلت له ليست هذه أول مرة أرأس فيها الجلسة وأُناقش ... وعند عرض مواد الجدول جاءت المذكِّرة المشار إليها وكان فيها توجيه ما جرى به العمل وخاصة فى الشرق من حذف "كلمة" "ابن بين" "الأسماء" المتعددة المستعملة علماً للشخص الواحد مثل أحمد محمد عبد الله وأصله أحمد بن محمد بن عبد الله ، وقد صحَّحت المذكرة هذا الاستعمال وأعربته بعدة وجوه منها جر اسم الثانى بالإضافة إلى الأول ورفع الثالث أو على الأصح إتباعه للأول . فاستأذنت الرئيس فى المناقشة بحكم أن رئاستى بالنيابة وقلت إن هذا الإعراب لا يصح لأن فيه الإتباع بعد القطع وهو لا يجوز ، فوافق الرئيس والمجلس وأُلغِى هذا الإعراب . وهذا مما يُظهر توسط الدكتور مدكور بين التجديد والمحافظة .

والمعجم الكبير الذى يُعدُّ من أهم أعمال المجمع ، هو أيضاً مما تتوجه إليه عناية الأعضاء على اختلاف اختصاصاتهم ، فبعد ما تَنْكبُّ اللجنة المُحضِّرة لمادته وتبذُلُ جهودها طوالَ السنة فى إعداد مسودة قد تزيد أحياناً على مئة وخمسين صفحة تُرسل إلى الأعضاء العاملين خارج مصر للنظر فيها والملاحظة عليها ، وتطرح هذه المسودة على المؤتمر للمناقشة ، فيتدخل خُبراءُ اللغات السامية وغيرها للتأصيل ، وخُبراءُ اللغة العربية للتصحيح ، وخبراءُ التاريخ والجغرافية والأدب والعلوم ، فيدلى كل بدلوه ، وتدافِع اللجنة المحضِّرةُ عن رأيها إذا كانت هناك انتقادات . وقد يُستغنَى عن بعض المعلومات أو الشروح التى يُرى أنه لا حاجة إليها أو ليست مما تتضمنه المعاجم والكتب ممن يسهم فى تحرير هذا المعجم ببعض التحقيقات اللغوية وإضافة ما يراه ضرورياً من المعلومات المتعلقة بتاريخ المغرب الكبير والأندلس وتراجم أعلام من المشرق والمغرب وغير ذلك ، فيؤخذ ذلك بعين الاعتبار فى غالب الأحيان وحبَّةُ رمْل فى صرح هذا المشرع الكبير هى من التعاون الذى لا تتحقق الأمور العظيمة إلا به .

وبالمناسبة أذكُر أنى كنتُ حريصاً على وضع المعجم الوجيز ، أثناء الاشتغال بالمعجم الوسيط وبعد صدوره . وأثناء الاشتغال بالمعجم الكبير ، وكنتُ أطلب التعجيل به ولا سيما فى الجلسة الختامية للمؤتمر ، ليوضَع بأَيدى الطلبة والصحفيين وناشئة الأَدب ، عسى أن يكتفوا به عن بعض المعاجم المدْخولة التى ملأَت الساحة . وقد صدر والحــمد لله ، وأتمنى لو أُعطِى امتيازه لبعض دُور النشر الكبيرة بعد مراجعته لإخراجه فى طبعة فاخرة وتوزيعه على أوسع نطاق فى البلادالعربية ليكون بمتناوَل جميع الراغبين .

وتحتلُّ البحوث اللغوية ، محل الصدارة فى الأَعمال اليومية للمؤتمر بحيث يكاد لا يخلو يوم من إلقاء بحث أو بحثين ، إما ابتداءً أو بعد عرض قوائم المصطلحات ولا يكتب كل الأَعضاء أبحاثا بل إن منهم من لم يكتب بحثاً أصلا وخصوصاً القُدامَى منهم ، ويتشرف الجميع إلى سماع بعض المتكلمين من ذوى الاختصاصات المتنوعة ، أو المعروفين بالإجادة فيما يتناولونه من الموضوعات ، ومن حسن المعاملة التى نلقاها نحن الضيوف من إخواننا المصريين فى المجمع أنه إذا كان هناك متكلمان مصرى وعربى وافد ، يقدم الْوَافِدُ على المصرى فى الكلام ، وهو أدب رفيع لم أَره فى غير مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وتَعقُب المناقشة أو التعاليق كل بحث . وتُحال بعض الأَبحاث على اللجان المختصة ، وتحظى بعضُها بالإطراء لما تتسم به من الجدَّة والعُمق . ويضيق المقام حتى عن إعطاء الأَمثلة فهى كثيرة ، فضلا عما فى ذلك من الحرج .. ولكنى أذكر فيما يخصنى أنى قلما حضرت مؤتمرا للمجمع ولم أُقدم بحثا . وأبحاثى التى قدمتُها تتراوح بين موضوعات اللغة والنحو والأَدب والتراجم . وبالإضافة إلى بحث « لما به وألفاظ أُخرى » المذكور آنفاً كان لى بحث بعنوان شبيه بهذا وهو : « القُنْداق وألفاظ أُخرى » أثبت فيه الفرق بين القنداق والفنداق ، على خلاف ما درَج عليه ابنُ منظور فى لسان العرب وبينت معناه ، وبحث بعنوان « هل اسم خلدون ونحوه مُكبر على الطريقة الإسبانية » فندت فيه ما زعمه (دُوزى) وتبعه غير واحد من الكتاب العرب أن هذه الأَسماء التى على وزن فَعْلون مَقِيسة على

الإسبانية وذكرت أمثلة لها من عصر الجاهلية وصدر الإسلام قبل أن تفتح إسبانيا وشرحت قاعدة التكبير فى الإسبانية بما يَستبعِدُ تطبيقَها على هذه الأَسماءِ العربية ، وكان لهذا البحث صدى استحسان إلى حد أن الأُستاذ إبراهيم اللبان هنأنى وقال لى : لقد دافعت عن رأْيك بحجة لا ترد، وزاد قائلا : إن إخوانك المصريين يحبونك ويقدرون علمك وخلقك ، وهو كلام قال لى مثلَه الدكتور إبراهيم أنيس أكثر من مرة . وإنما أذكرُ هذه العبارات التى تنضَح بالود والخلق الكريم اعتزازاً بها وتنويها بأَصحابها جزاهم الله خيراً ـ فالمقامُ بحاله وقد قال معيار : « اذكرونا مثل ذكرانا لكم ». ومما يتعلق ببحث فعلون أننى تقابلت مع الأُستاذ عباس حسن صاحِب كتاب « النحو الوافى » فى أحد الاستقبالات وكان لم يدخل المجمع بعدُ . فلما تعارفنا قال لى أنت الذى ألقيت بحثا فى الأَسماءِ على وزن فعلون . فعلمت أن خبره تجاوز أَبهاءَ المجمع .

ومن الأبحاث اللغوية التى ألقيتها بحث ، بعنوان « السليقة عند العرب المحدثين » بينت فيه أَن السليقة فى العربية كالاجتهاد فى الفقه لم ينقطعا بَتَّةً ، فصحَّحت بعض الأَلفاظ التى كان الأُدباء يتحفظون بإزأَها ويعدونها من العامية كالفنان وكالطيارة التى تجرى على الأقلام الخ ، وبحث فى علم الجنس الذى يقابلُ علم الشخص ، وبحث يتعلق بتحقيق رسالة فى أحكام الاختصاص للعلامة عبد السلام بن الحاج الجرفطى ونظْمها فى رجز جعلته ذيلا لباب الاختصاص فى الفية ابن مالكْ أقول فيه :

تكملة لباب الاختصاص تسُدُّ منه موضعَ الخَصاص
وترفَعُ الأَجعاف بالتأْكيد عمَّا لدَى الناظم والمَكُّودى
فإن قارئهما لو أنصفا لقال كلٌّ منهما قد أجحفا

ولما ألقيته علَّقَ عليه بعض الأَعضاءِ وقال لى الأُستاذ زكى المهندس نائب الرئيس وأُستاذ العربية الذى تخرج على يده عدةُ أجيال : لقد أفدتُ من هذا البحث كثيرا وأَعجبنى نظمك له وسأَخلو معه وأستمتع بقراءته على انفراد .

والذكريات من هذا القبيل كثيرة يطول تتبعها ، ولكن أطرفها أو منْ أطرفِها ما حكاه لى الدكتور كامل مُراد ، وكنتُ ألتقِى به أحيانا فى حدائق «كَروبى» عشية فيجلس إلىّ ونتحدث عن المجمع وما مرَّ فى جلساته من مداولات ، وكأنَّه آنَسَ منى ما جعله يحكى لى أنه كان فى رحلة بالكويت وأن وفدا من جمعية إسلامية زاره وطلب منه التفضل بمحاضرة فى نادى الجمعية عن الإسلام ، فقال له أنا مسيحى لا أعرف عن الإسلام شيئاً ، وضحك وضحكتُ معه وعرفت مايُريده . وكنتُ فعلاً أجهل أنه مسيحى ! . .

وإن أنس لا أنسى الرِّحْلات التى ينظمها لنا المجمع إلى بعض المدن كالإسكندرية وبور سعيد وإلى بعض المعالم التاريخية كأهرام سقارة أو بعض المنشآت الصناعية وغيرها ، وتكون فرصةً لنا للاطلاع على مآثر مصر ومظاهر نهضتها الحديثة ، ومناسبةً للاجتماع والاحتكاك بجميع موظفى المجمع والعاملين فيه من محررين وكتاب ومديرين ونمتطى متن حافلة كبيرة ويختلط بعضنا ببعض ونتحدث فى مختلف الشؤون ، ويكون خروجنا من القاهرة مُبكِّراً ، فنتناول وجبة الفطور ببعض المحطات الريفية ويُوزِّع علينا الدكتور مهدى علام من جرَاب يصحبه معه حَفَنات من اللوز والفُول السودانى. وعند الوصول تستقبلنا الجهةُ المقصودة بحفاوة بالغة ونتفرج على المعمل ونطوف بالبلد أو نقف على الأثر ونستمع إلى البيانات المفيدة ، ونتناول طعام الغَداء على مائدة المستقبلين ثم نعود مُودَّعين بما استقْبلنا به من حفاوة ، ولا يتخلف هذا التقليد فى مؤتمر من مؤتمرات المجمع ، ويكون مرتين فى كل مؤتمر أى رحلة وزيارة فى يومى عمل يتخَفَّف فيهما الأَعضاءُ من تعب العمل ويستفيدون مما يرونه على الطبيعة ما يزيدهم معرفة بمصر قلب البلاد العربية النابض وقُبَّة الإسلام كما عبر عنها أحد رحالتنا الكبار .

ولا أستطيع أن أُلمّ بهذه الرحلات العديدة فلأشِر إلى واحدة منها ، وفى مِثْلها يُقال يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق ، وتلك هى التى زرنا فيها المُفاعِل الذرى

بالصحراء ، فأخذتنا النشوة بالاستماع إلى الخبراء الواقعين عند كل جهاز من أجهزة المركز ، وهم يتحدثون إلينا عن سير العمل بلغة عربية سليمة ، عامية مصرية ولكنها عربية خالصة تستوعب جميع التفاصيل عن تشغيل الجهاز وجميع المصطلحات إلا فى النادر حين يضطر الخبير إلى استعمال مُفْردة أجنبية ، معتذرا عن عدم معرفته لمرادفتها العربية ـ راجياً من المجمع أن يسميها ـ وفى المفردات التى يستعملها هو ، ما لم يضع المجمع له اسما بعدُ ، فيُلاحظ الأعضاء أنه مصطلح لابأس به أو أنه أوْفَق الكلمات للمفردة الأجنبية فيشجعونه على المضى فى الحديث ، ويستمر هو فى الحديث ويُطبق القول على الفعل عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة أو عشرين ، من غير أن يتوقف أو يتلعثم أو يستعمل كلمة أجنبية فأحرى جُملة إلا فى القليل النادر كما ذكرت آنفاً ، وهذا الخبير غالبا ما يكون شاباأو فتاة ، دكتورا فى الخامسة والعشرين وما قاربها . وهو أمر يُدخل الغِبطة على النفس ويُفعم القلب بالسرور .

ولعلى أطنبت فى هذه الذكريات الجميلة ، ومع ذلك بقيت أشياء وأشياء لم ألم بها ، وهى الهمَسات الخفيفة بين المُتجاورين فى الجلسة وكنتُ دائماً جازا للدكتور مهدى علام وهو صاحب مُلاحظات وتعقيبات شعرية ونثرية ، والدكتور أحمد عمار وهو صاحب نُكت ولطائف . وكنتُ أنشدته مرة مما جر إليه الموضوع هذين البيتين :

العلماءُ كلهم من سادا   أو لم يسد لم يَبْلُغِ المُرادا

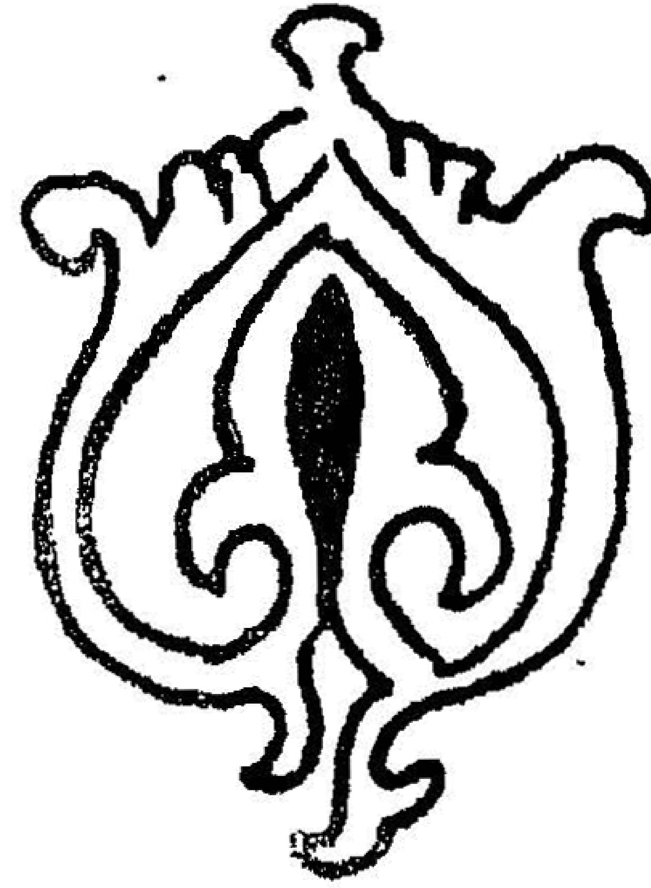
فرزقهم مُرَخَّم منادى   (كياسُعا فيمن دعا سعادا)

فلم يتمالك من الإعجاب بهما وصار ينشدهما مرات فى المجلس وكلما تقابلنا وكان كثيراً ما يطرح علىَّ بعضَ الأسئلة على سبيل الاختبار كعدد حروف القرآن ونصفه بالكلمة أو الحرف والكلمة التى تتركب من عشرة أحرف مما كنا نتعاطاه فى الكتَّاب فألقى عليه أسئلة مماثِلة ، وكان كثير الانبساط والانشراح ولضحكه صوت عال يثير انتباه الأعضاء من بعيد . وفى بعض الأحيان يكاد يجعلنى لا أُتابع ما يقال

فى المجلس بمُستملحات وإنشاءات ، وقلتُ فى العام الماضى للدكتور علام إن الدكتور عمار يُدخِّن كثيراً فقال لى لقد صارت حياة عمار عبارة عن التدخين والنكتة ، فيالله كأنه كان يسرع إلى أجله . ومن الأشياء التى فاتتنى فى هذه الذكريات بعض المطارحات الشعرية وخاصة مع الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، ومنها الإشارة إلى كيفية تسيير الجلسات وضبط المناقشة وفن الإدارة مما تميَّزبه السيد الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور ، ولكن الكلام طال وربما أدى إلى الملل وفى العنوان ما يدل على الجواب .

فتحيةً للخالدين فى العيد الذَّهبى لمجمعنا الموقر ،وفَّر الله جَمْعَهم وبَارَك فى أنفَاسهم ورحِم من ودع منهم وبوأهم مقعد صدق فى الملأ الأعلى ، والسلام .

الاستاذ عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب



المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي

للدكتور حسني سبح

أعنى بالمعجمات الطبية فى بحثى هـذا ، المعاجم الثنائية اللسان الأعجمية العربية (فرنسية – عربية ؛ وهى الأقدم وإنكليزية – عربية ؛ وهى حديثة نسبة) سواء فيها الشامل فى مفرداته لمعظم علوم الطب (وقد أربا عددها على العشرين) أو المختص الذى اقتصرت مواده على فرع واحد من فروع الطب أو أحد أجزاء فرع ما . وما أريد به من المصطلح العربى ما شاع استعماله فى طب يومنا هذا ما بين قديم موروث عن الطب العربى الإسلامى أو مولد حديث النشأة من مبتكرات القرنين الأخيرين للميلاد .

من المعاجم ما هى من صنع هيئة أو لجنة لها من المؤهلات العلمية واللغوية ما يجيز لها العمل ، ومنها ما هى صنع أفراد من الأطباء ، أو آخرين ليسوا على شىء من الثقافة الطبية ، فجاء صنعهم أبتر أقرب ما يكون بحاطب ليل ، لا شأن له فى هذا الموضوع . وثمة معجمات عربية – أو (أعجمية – عربية) ذات شروح للمعانى وهى قلة بين سواها لا بد من الإشارة إليها فى حينه .

أربع عواصم عربية كانت مراكز لوضع المصطلح الطبي ، وهن : القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت . كان البدء فى مصر سنة ١٨٢٧ م يوم أسس فى أبى زعبل فقصر العينى أول مدرسة للطب الحديث ، وكان التدريس فيها على النسق الفرنسى ، إلا أن لغتها كانت العربية وحدها ، وظل الأمر على ذلك حتى منيت البلاد بالاحتلال الإنكليزى سنة ١٨٨٩ م ، وصارت تلك المدرسة إلى «كلية طب القاهرة» وفرضت الإنكليزية لغة للتدريس فيها . وقد كانت أيام الوحدة مع سوريا محاولة للعودة إلى تدريس الطب فيها بالعربية ، غير أنها باءت بالإخفاق ؛

أقبل أساتيذ مدرسة قصر العيني بهمة لا تعرف الكلال على ترجمة الأمهات من كتب الطب الفرنسية ، واختطوا فى باب المصطلح خطة رشيدة . فأحبوا ما وجدوه وافياً بالغرض من مصطلحات الطب العربى الإسلامى ، وما لم يجدوا له مقابلا فى طب أسلافهم مما جد فى الطب الحديث لجؤوا فيه إلى الترجمة ووضع أسماء له من أصول عربية ، ولم يعمدوا إلى تعريب اللفظ الأجنبى إلا إذا لم يجدوا عن ذلك مندوحة . ومن تصفح عشرات الكتب التى طبعت فى تلك الحقبة لا يسعه إلا أن يكبر ما قام به هؤلاء الرواد الأوائل ويؤمن أن المصاعب لا تلبث أن تلين أمام همم الرجال ، ويود لو أنه أتيح لخلفهم أن يتابعوا السير على الطريق نفسه .

غير أن ما وضع فى تلك الحقبة التى امتدت ستة عقود ونيفا من مصطلحات ظل منثورا فيما ألفه وترجمه هؤلاء الرواد ولم يجردوه، فيما أعلم، فى معجمات خاصة غير أن الطبيب المصرى محمود رشدى البقلى (ت نحو ١٣٠٧ هـ — ١٨٩٠ م) وضع معجما باسم « قاموس فرنساوى عربى » طبع فى باريز (سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م) ويقع فى ٣٥٨ صفحة تشتمل على نحو ٧٠٠٠ لفظ .

واستأنف العمل فى وضع مصطلحات الطب فى أوائل العشرينيات من هذا القرن الميلادى ، عندما وضع الدكتور محمد شرف معجمه الطبى واسمه « معجم إنجليزى — عربى فى العلوم الطبية والطبيعية »، وهو كما يدل عليه اسمه معجم شامل يحق له أن يعد أباً لكل ما ظهر بعده من معجمات طبية (أعجمية — عربية) طبع ثانية سنة ١٩٢٩ فجاءت هذه الطبعة فى ألف صفحة من القطع الكبير ، وكان ثمرة جهد دائب امتد بضعة عشر عاما ، وعزيمة صادقة لا يؤتى مثلها إلا القليل من أفذاذ الرجال . وكان منهجه فى وضع المصطلح نحو المنهج المأخوذ به اليوم ، غير أنه كان كثيراً ما يضع مقابل اللفظ الإنكليزى عدة ألفاظ عربية ، وكأنه أراد بذلك أن يترك لغيره ولمن يأتون من بعده أن يختاروا منها ما يرونه أوفى بالمعنى المراد .

انتخب الدكتور محمد شرف عضوا عاملا فى هذا المجمع الجليل سنة ١٩٤٦ واستأثرت به رحمة الله عام ١٩٤٩

ولمجمع اللغة العربية فى القاهرة « ونحن نحتفل بعيده الذهبى فى هذه الأيام » القدح المعلى فى وضع المصطلحات على اختلاف ضروبها . إلى جانب فضله الكبير فى

تحرير قواعد وإيجاد منهجية قيمة فى وضعها. وللجنة مصطلحات الطب فيه سعى متميز ولا سيما فى عهد رئيسها الصديق الراحل الدكتور أحمد عمار « نائب رئيس المجمع » إذ أبلى بلاء حسنا فى وضع مصطلحات الطب وأسهم إسهاما عميقا تغمده الله برحمته .

وأصدر المجمع سنة ١٩٣٥ مجلته الخاصة وتحوى ما يطرح فى مجلس المجمع وفى مؤتمره السنوى من بحوث وما يقرر فيه من مصطلحات، ناهيك بالمقالات القيمة التى ينشئها أعضاؤه الأعلام . وأفرد للمصطلحات كتبا خاصة تصدر سنويا أيضاً باسم « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » بلغ عددها ٢٥ ، تكاد تؤلف لو جمعت عدة مجلدات ضخمة جديرة بأن تعد فى عداد ما اصطلح على تسميته بموسوعة المصطلحات .

وفى القاهرة أيضاً أبدت الجمعية الطبية المصرية التى تأسست سنة ١٩١٩ اهتماما خاصا فى عهد رئيسها المرحوم على باشا إبراهيم « وهو عضو عامل فى هذا المجمع أيضاً » وبعد أن أبدلت بالمؤتمر العربى الأول اسم مؤتمرها الثامن المنعقد فى بغداد سنة ١٩٣٨ ، اتخذ فيه القرار التاريخى للسعى إلى توحيد مصطلحات الطب ، وكان بعد ذلك أن تم الاتفاق سنة ١٩٤١ تضافر جهدها وجهد مجمع اللغة العربية بأن تألفت لجنة خاصة لهذه الغاية وعقدت اجتماعات أسبوعية انتهت بها إلى وضع مصطلحات طبية فى مختلف علوم الطب كالتشريح والفسيوجيا والطب الباطنى وعلم الرمد وحفظ الصحة وغيرها وباشرت بنشرها فى زاوية خاصة عنوانها « صحيفة المصطلحات الطبية العربية » من مجلتها « المجلة الطبية المصرية » ابتداء من المجلد ٣٣ سنة ١٩٥٠ وتابعت النشر عدة سنوات . أطلعت على معظم ما استل من المجلة من نسائل فى علوم الطب المنوعة وإذا بها تتشابه مع ما نشره مجمع اللغة تشابها كليا مع بعض الخلاف .

حظيت ببيروت بثانية المدارس التى درست الطب بالعربية ، مدرسة المبشرين الأميركان الإنجيليين الذين أموا الثغر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى للتبشير بمذهبهم ، وكان فيهم عدة أطباء عكفوا على دراسة اللسان العربى فأتقنوه ، وافتتحوا سنة ١٨٦٦ ما دعوه بـ« الكلية السورية الإنجيلية » وهى التى صار اسمها بعد الحرب العالمية الأولى « جامعة بيروت الأميركية » وكان من فروع تلك الكلية مدرسة للطب ، وقد ظل تدريس العلوم جميعاً فى هذه الكلية بالعربية حتى عام ١٨٨٣ م ثم حلت الإنكليزية محل العربية

وضع أساتذة الكلية السورية الإنجيلية هذه بضعة عشر كتابا فى مختلف العلوم : الكيمياء ، والنبات، والجيولوجيا ، وكان منها عدة كتب فى فروع الطب المختلفة ، وكان فيما استعملوه من مصطلحات ، طائفة استمدوها من كتب الطب العربى القديم ولا يبعد أنهم اقتبسوا عددا مما وضعه أساتيذ قصر العينى ، كما ترجموا طائفة أخرى محافظين فى الغالب على اللفظ الإنكليزى كما هو بلا تبديل أو بإدخال تغيير يسير عليه ، ولم يجردوا فيما أعلم ما استعملوه من مصطلحات فى معجم خاص .

ولا بدلى هنا من الإشارة إلى أنه أنشئت فى بيروت أيضاً سنة ١٨٨٥ م جامعة أخرى فرنسية ، أنشأها الآباء اليسوعيون ولم يكن لكلية الطب الفرنسية هذه أى إسهام فى المصطلح الطبى العربى .

وما اطلعت عليه من مؤلفات أحد أساتذة كلية الطب الفرنسيين الدكتور دى برون ترجمة لكتابه بعنوان «الخلاصة الطبية»، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٨م لم يخرج المترجم فيه عن مصطلحات مدرسة قصر العينى .

وفى بيروت أيضاً صدر سنة ١٩٦٧ بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوى للجامعة الأمريكية ، معجم طبى إنكليزى عربى باسم « قاموس حتى الطبى » صنعه الدكتور يوسف حتى أستاذ الأمراض الباطنة والتشريح فى كلية الطب بالجامعة الأمريكية حتى سنة ١٩٢٨ ظهر له ثلاث طبعات أخر ، كان آخرها سنة ١٩٧٩ ، وهو فى غاية الأناقة والإتقان ، يقارب عدد صفحاته الألف ، وقد ألحق مؤلفه بطبعته الأخيرة لوحات ملونة إيضاحية ، ومسردا عربيا إنكليزيا للألفاظ مرتبا على حروف الهجاء ، عدد الألفاظ فيه يربى على ١٠٠٠٠ كلمة . وقد اعتمد الدكتور حتى فى معجمه هذا على المصطلحات التى جاءت فى منشورات المجامع اللغوية الثلاثة ، مضيفا إليها ما جاء فى معجمات أخرى فى علمى الحيوان والنبات وغيرهما ، ولذا يكثر أن يقع مقابل اللفظ الإنكليزى فيه عدة ألفاظ عربية مما نقله عن المصادر المذكورة، وتكرر طبع هذا المعجم أربع مرات خلال اثنى عشر عاما يدل على ما لقيه من رواج .

أما بغداد فقد بدأ مجمعها العلمى العراقى أن ينشر فى مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٦٧ «المجلد الخامس عشر »ما أنجزته اللجنة المجمعية للمصطلحات الطبية ، وفى مقدمتها مصطلحات التشريح ثم علم الجراحة وعلم الولادة ولم أطلع على سوى ذلك . تختلف المنهجية التى سلكت فى المصطلحات الطبية عن ماهى متبعة فى كل من مصر والشام ، كما أن السوابق واللواحق فى المصطلحات لا تخلو من اختلاف أيضا .

وللمرحوم داود الحلبي معجم تخصصي في أمراض الجلد حسن الوضع :

وما طبع مرة في بغداد وأخرى في الموصل من المعجم الطبي الموحد فسيأتي ذكره حين البحث في توحيد المصطلحات .

وأما دمشق فقد رافق وضع المصطلحات الطبية فيها استعمالها بالفعل من اليوم الأول الذى أسست في دمشق مدرسة سنة ١٩١٩ عربية اللسان باسم « المعهد الطبي العربي » وفي عهد حكومة الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يتوج ملكا على سورية وكان هذا المعهد خلفا من « مدرسة الطب العثمانية » التي فتحت أبوابها في دمشق سنة ١٩٠٣ وانتهى أمرها سنة ١٩١٨ بعد أن أصبح مستقرها في السنوات الثلاث الأخيرة في بيروت في مباني كلية الطب اليسوعية التي مر ذكرها والتي صادرتها الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى .

وكان التدريس في هذا المعهد الذى آل فيما بعد إلى كلية الطب في « الجامعة السورية » وهذه أصبحت اليوم « جامعة دمشق » بالعربية ولم يقو الانتداب الفرنسي الذى فرض على سورية بعيد إنشاء المعهد واستمر ربع قرن من الزمن .

لم يقو على تحويله عن ذلك ، وكل ما هنالك أنه زيد في مناهجه درس للغة الفرنسية إذ دخل في هيئة التدريس فيه ثلاثة أساتذة فرنسيين للطب الإنساني وأستاذ فرنسي واحد لمدرسة طب الأسنان يلقون محاضراتهم بالفرنسية ، وكانت محاضراتهم في بادىء الأمر تترجم إلى العربية :

نشط أساتيذ هذا المعهد في وضع المصطلحات الطبية يؤازرهم في ذلك « المجمع العلمي العربي » الذى أسس سنة ١٩١٩ أيضا . وكانت خطتهم في ذلك نحوا من الخطة التي اختطها أساتيذ مدرسة قصر العيني : أحيوا ما وجدوه وافيا بالغرض من مصطلحات الطب العربي الإسلامي القديم ، واجتنبوا ما استطاعوا اللجوء إلى تعريب الألفاظ الأجنبية . وكان مما ساعد ذلك أن جل الأساتيذ الأوائل في هذا المعهد قد تخرجوا في كلية الطب العثمانية في إستانبول ، ومنهم من درس في مدرسة الطب العثمانية في دمشق ، وكان الأطباء الأتراك قد وضعوا لمصطلحات كثيرة أسماء بالعربية وأدخلوها في لغتهم :

كانت المحاضرات في هذا المعهد تملى في بادىء الأمر على الطلاب إملاء ، إلا أن أساتذته سرعان ما تخطوا هذه المرحلة إلى مرحلة التأليف بالعربية الفصحى ، وكان لمطبعة الجامعة السورية التي أنشئت سنة ١٩٢٣ الفضل في تيسير نشر ما يؤلفون في مختلف علوم الطب

ومنذ سنة ١٩٢٤ أخذ المعهد يصدر مجلة شهرية شارك فى الكتابة فيها أطباء ولغويون من مختلف الأقطار العربية ، وكانت بحوثهم ومناقشاتهم مما أعان على تحرير كثير من المصطلحات واختيار ما تثبت أولويته من الألفاظ المقترحة .

ومن السنن الحسنة التى أخذ بها أساتيذ هذا المعهد وكانت توطئة لظهور معاجم المصطلحات ، أن كان كل منهم يلحق بكل كتاب يؤلفه مسردا للمصطلحات التى استعملها فى ذلك الكتاب . وتلا ذلك وضع معجمات مختصة كان فى طليعتها معجم الفيزياء « وكان هذا العلم وعلوم الكيمياء والحيوان والنبات مما يدرس فى السنة التحضيرية لمعهد الطب » وضعه الدكتور جميل الخانى رحمه الله وألحقه بكتابه « القطوف اليانعة فى علم الطبيعة » الذى أتى به بكل ما جد إذ ذاك فى هذا العلم ، ولم يقتصر اعتماد مصطلحاته على كلية الطب بل أخذ بها مدرسو التعليم الثانوى أيضا وفى مصالح أخرى فى القطر ، ولما كان الدكتور الخانى يدرس أمراض الجلد أيضا ، وضع فى هذا الفرع من علم الطب مصطلحات ما يزال أكثرها مأخوذا به .

وتلا معجم الفيزياء « معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية فى فن الجراثيم » وضعه الأستاذ الدكتور أحمد حمدى الخياط رحمه الله سنة ١٩٣٤ وأتى فيه بمئات من المصطلحات العلمية ، وعمله هذا يعد فتحا جديدا فى بابه لم يسبق إليه .

ومن المعجمات المختصة ما قمت بوضعه فى الأمراض الباطنة ، ففى سنة ١٩٣٥ أخرجت معجما فرنسيا عربيا وعربيا فرنسيا فى أمراض الجملة العصبية ، وفى سنة ١٩٣٦ أخرجت معجما آخر فى الأمراض الإنتانية والطفيلية ، تلاه سنة ١٩٣٧ معجم فى أمراض جهاز التنفس .

وفى مصطلحات الكيمياء ألف الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبى سنة ١٩٣٦ معجما كان كثير مما تضمنه مما وضعه هو نفسه ، طبع هذا المعجم ثمانى طبعات وكان الدكتور الكواكبى أستاذ الكيمياء فى كلية دمشق ، درس مدة فى كلية بغداد فكان — على ما حكى — أول من درس فيها بالعربية .

ووضع الأستاذ الدكتور مرشد خاطر « وهو من خريجى كلية الطب اليسوعية فى بيروت » عدة كتب فى الأمراض الجراحية ألحق إليها معاجم متخصصة كما أن مجلة المعهد الطبى العربى وهو المشرف عليها ، لم يخل أى من مجلداتها الحادية والعشرين من مسرد فى مصطلحات الطب .

والمعجم الشامل الوحيد الذى صدر فى دمشق ، كان من وضع لجنة المصطلحات العلمية فى كلية الطب من الجامعة السورية ، وقوامها من الأساتيذ مرشد خاطر ،

وأحمد حمدى الخياط ، ومحمد صلاح الدين الكواكبي ، واسم المعجم هو معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور أ . ل . كليرفيل وكثرة لغاته نابعة من أنه يحوى إلى الجانب الفرنسي الأصلي ، مسردين باللغتين الإنكليزية والألمانية ، وبانضمام الترجمة العربية إليه ، أصبحت لغاته أربع .

طبع النص العربي من هذا المعجم فى مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ وعدد كلماته ١٤٥٣٤ فى ٩٦٠ صفحة .

طلب إلى سلفى المرحوم الأمير مصطفى الشهابي أن أعرف بهذا المعجم فى باب التعريف والنقد من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ولدى نظرتى السريعة الأولى إليه ، إذا به يستحق أن يكتب عنه فيما لا يستعيبه هذا الباب من المجلة ، فتحولت إلى باب المقالات وكان عدد المقالات التى نشرتها فى هذه المرحلة ١٤ ثم بدا لى من الخير أن أشفع هذه النظرة الأولى بنظرة أخرى أقرب إلى التأنى والاستقصاء وكان منها سائر المقالات ، وذلك بعنوان « استدراك وتعقيب » جاءت فى ٥٣ مقالة .

نظرت فى مصطلحات المعجم بعدئذ مادة بعد مادة ، ودونت وجهة نظرى فى الكثير منها مستندا إلى المراجع الموثوق بها من معجمات طبية أجنبية مختلفة ومعجمات لغوية عربية ، وموازنا بين تلك المصطلحات وبين ما أقره مجمع اللغة العربية فى القاهرة وما سبق أن شاع استعماله من قبل فى كلية الطب فى دمشق ، إلى جانب إثبات الترجمة الإنكليزية لبعض المصطلحات التى لا تنطبق على المصطلح الفرنسي ، وهكذا بلغت عدة المقالات ٦٧ ، ولما جمعت نسائلها كون مجموعها مجلدا أربى عدد صفحاته على الألف فى آخره : ولست أدعى أنى جئت فيما عرضت له بالقول الفصل ، بل بأكبر ظنى أنى لو أتيح لى معاودة النظر — بعد طول هذه المدة — فى هذا الذى كتبت لزدت أشياء واستدركت أشياء ، إلا إنى كما أرجو أن أكون بما صنعت — قد أسهمت إسهاما ضئيلا فى وضع مصطلحات الطب ، وأن أكون قد ذللت بعض المصاعب ، لأن الطريق طويل ، والحاجة إلى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة ما دام العلم فى تطور العلم والله من وراء القصد .

وهناك معجم طبي آخر «فرنسي — عربي» شرحت الألفاظ فيه شرحاً موفياً ، من صنع المرحومين مرشد خاطر وأحمد حمدى الخياط يقع فى أربعة أجزاء ، صدر منه الجزء الأول قبل عدة سنوات بإشراف نجل الدكتور هيثم الخياط نجل الدكتور أحمد حمدى الخياط بعد أن أضاف إليه ما يقابل اللفظ الفرنسي من لفظ إنكليزى وتوقف بل تريث إتمام نشره

بانتظار الانتهاء من توحيد المصطلحات ، الأمر الذى لا بد وأن يحمله من إعادة النظر فيه إزاء التعدد فى المصادر ، والجهات التى عنيت بمصطلحات الطب العربية وما بدا فى وضعها وصياغتها من مفارقات ليست بالقليلة ، وما حدث فى شأنها من بلبلة واضطراب ، إزاء هذا كله ، كان لا بد من التفكير والسعى وراء توحيد ما اختلف فيه ، وما أكثره ؟ ومن أحق منا نحن معشر الأطباء بأن يضطلع بهذا الأمر الخطير ، فلا عجب أن ينهض اتحاد أطباء العرب مشكورا وأن يعد لهذا الأمر عدته باتخاذه قرارا سنة ١٩٦٦ بتوحيد مصطلحات الطب العربية وأن يسند تحقيق هذه الأمنية إلى صفوة مختارة — كما جاء فى القرار — من أساتيذ وأطباء راسخين فى علمهم ومتمكنين من لغتهم الضادية — وأنا لم أكن بينهم فى بادئ الأمر — جاعلا منهم لجنة لم تلبث أن والت اجتماعاتها طوال عدة سنوات متنقلة بين العواصم العربية المختلفة .

تولى الزميل الأستاذ محمود الجليلى — نائب رئيس المجمع العلمى العراقى — مقرر اللجنة — رئاسة تحرير هذا المعجم ، وقام المجمع العلمى العراقى مشكورا فى مطبعته بطباعة بعض التجارب من المصطلحات المقررة ممن يعنيهم أمرها لاستطلاع الرأى فيها — وكان عدد من استجاب لهذه الرغبة قلة — ويا للأسف — وتم طبع الطبعة الأولى من المعجم — المعجم الطبى الموحد — إنكليزى عربى سنة ١٩٧٣ فى بغداد ، أثبت على غلافه — طبعة خاصة — إذ جاء فى آخر صفحاته وعددها ٣٨٥ ما يلى : استدراك وتصويب : بعد إنجاز طبع هذا المعجم أعيد النظر فيه مرة أخرى وأجريت التعديلات والاستدراكات الآتية ، وبلغ عددها ٣٧٦ فى أربع عشرة صفحة . ومع هذا أعيد طبع هذا المعجم بالأوفست فى القاهرة سنة ١٩٧٧ بصورته السالفة بلا تغيير وبعد سنة أخرى (١٩٧٨) طبع فى مطبعة جامعة الموصل طبعة ثانية مصححة .

وكان من مقررات مجلس وزراء الصحة العرب سنة ١٩٧٩ السعى إلى إيجاد معجمين طبيين أحدهما إنكليزى عربى والثانى فرنسى عربى يعتمد عليهما المكتب الإقليمى لمنطقة الصحة العالمية بشرق البحر الأبيض المتوسط ، حسما للخلاف الكثير البادى فى المصطلحات الطبية والصحية فى التقارير وفى ترجمة المنشورات فى مختلف أقطار الوطن العربى بعد أن أخذ كل واحد يعمل على هواه ، وأوكل أمر تحقيق هذه الأمنية إلى المكتب الإقليمى المذكور وسرعان ما دعا مدير المقر فى الإسكندرية أعضاء لجنة المعجم الطبى الموحد ، لاستطلاع الرأى فيما هو عاقد العزم عليه ، وبعد المذاكرة رأى المجتمعون أن تكاف لجنة جديدة تضم بين أعضائها معجم أعضاء اللجنة السابقة

لاتحاد أطباء العرب ، مع زملاء جدد من ذوى الثقافة الفرنسية ، مهمتها إعادة النظر فى المعجم السابق وإضافة ما ينبغى أن يضاف إلى المعجم ما فات إثباته فيه من المصطلحات.

وبعد عقد عشر لقاءات فى بلدان شرقى الوطن العربى وغربه على مدى أربع سنوات أنهت اللجنة عملها ، ووكلت الإشراف عليه إلى مقرر اللجنة الزميل النشيط الدكتور محمد هيثم الخياط عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ومن أساتيذ كلية الطب فيها ، فبذل — جزاه الله خيرا — الجهد المشكور ومضى فى التحرير والإشراف على الطباعة — وقد تمت فى سويسرا ، بعد أن أضاف إليه مسردا عربيا إنكليزيا ليعين به الباحث العربى فى إيجاد ما يقابل الكلمة العربية من لفظ إنكليزى ، فضلا عن مئات الصور الإيضاحية ، آخر الكتاب ، فجاء هذا المعجم الثلاثى اللغات : إنكليزى — عربى — فرنسى ، أفضل من سابقيه ومما صدر من هذا النوع من معجمات طبية شاملة ، وأخرج المعجم بحلة قشيبة تسر الناظرين ، اشتمل على ٢٣٠٠٠ مادة فى ٧٦٠ صفحة وعلى ١٥٠٠٠ كلمة فى المسرد المشار إليه والمرتب على الحروف الهجائية وهكذا تم إنجاز المعجم بشكله الحالى على نفقة منظمة الصحة وإسهام مادى من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ويؤمل أن يصدر قريبا نسخة منه بترتيب فرنسى — عربى — إنكليزى ؛ تلبية لحاجة الأقطار العربية التى درس أطباؤها ومثقفوها اللغة الفرنسية .

لقد عمل القائمون على هذا المعجم ما فى وسعهم فى طبعته الثالثة على أمثل صورة ممكنة ولا يدعى لعملهم أنه جاء منزها عن الخطأ ومبرءا من كل عيب ، وإنما هو خطوة على الطريق الطويل — كما قلت آنفا — ولا بد أن يتعاقب على هذا العمل فيه لجان بعد لجان ليضاف إليه ما يجد من جهة ، وليتناول ما سبق من جهة أخرى ، وبالتنقيح والتهذيب والإصلاح على هدى ما يظهر صوابه ، مما يقوم إليهم من مقترحات وما يوجه إلى عملهم من نقد هادف .

هذا آخر ما أدت إليه المساعى الحميدة من أجل توحيد المصطلحات الطبية العربية ولا شك أن غيرها من العلوم الأخرى لقيت وستلقى الاهتمام المرتجى ، لنخلص إلى التأكيد بأن لغتنا المقدسة لغة حيه خالدة .

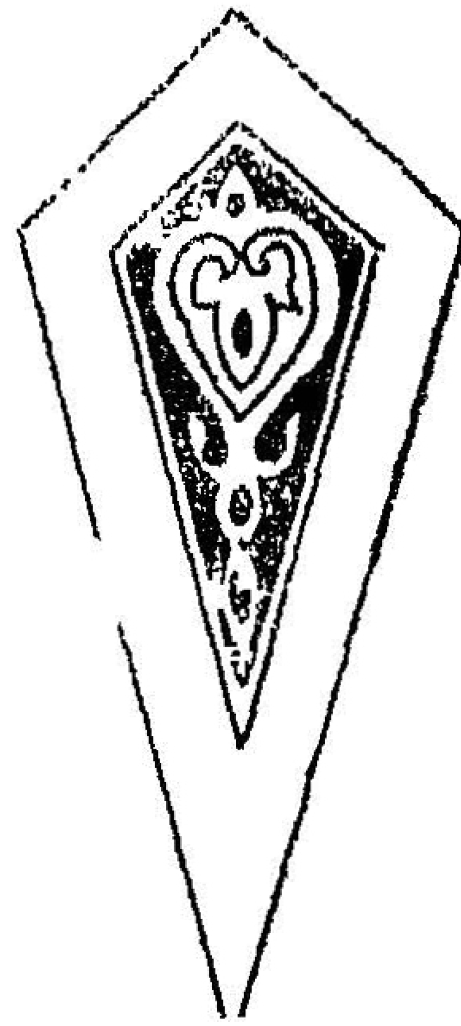
* * *

هذا ما كان من أمر توحيد المصطلحات فى شرقنا العربى الأوسط أما المغرب العربى وفى مدينة الرباط وفى معهد الدراسات والأبحاث للتعريب على التخصيص فإن، مديره النشيط الدكتور أحمد الخضر غزال يقدم على عمل، الأول من نوعه فى العالم العربى ، يرجى فيه

الخير العميم وذلك من أجل توحيد المصطلحات العلمية ومن بينها مصطلحات الطب، موضوع بحثي هذا، وذلك بالاستعانة بالحاسوب – الكمبيوتر – إحدى عجائب هذا العصر.

إن ما صنعه الأستاذ غزال كما رواه إلى ورأيت بعضه، حينما أتيح لى زيارة معهده قبل بضعة أشهر، أنه حضر مئات الألوف من جزازات تحوى كل ما نشر من معجمات و مسارد لغوية فى دنيا العروبة قاطبة، ثم أخذ بتصنيفها فتدقيقها ومن بعد تمحيصها ونخلها ليخلص بعد هذا كله إلى ما هو جدير بالأخذ به لخزنه، وقال: «لى إن حصيلة ما خزنه حتى يوم لقائنا إذ ذاك، بلغ ٤٠٠ ألف» ، ثم خزنه وبرمجته فى مركز الحاسوب العالمى فى روما. وبعد هذا أصبح من السهل جدا، أن يلجأ الباحث إلى الحاسوب بالتلكس للبحث عن مطلوبه فيتلقى الجواب بعد دقيقة أو أكثر قليلا، ماثلا أمامه بخط عربى مشكول وبجانبه اللفظ الأجنبي على شاشة شبيهة بشاشة التلفاز، طلب إلينا الأستاذ اختبار عمله فاخترت بعض ألفاظ طبية أذكر منها ثلاثة: أولها المصطلحات التى تنتهى بالكاسعة thie بالفرنسية أو thy و thia بالإنكليزية من أمثال neuropathy و myopathy وما حملنى على هذا الانتقاء الاختلاف الواقع فى ترجمة هاتين الكلمتين وما كان على شاكلتهما فقد جاءت ترجمة neuropathy فى معجم شرف: مرض عصبى و myopathy مرض عضلى، مرض العضلات أو النسيج العضلى. وفى معجم كليرفيل: عصابية فى الأولى ومرض عضلى فى الثانية وما أثبته فى النظرة – نقد معجم كليرفيل – هو اعتلال عصبى واعتلال عضلى للأولى والثانية، وهو ما أثبت فى المعجم الطبى الموحد. ولدى استفتاء الحاسوب كان اعتلال عصبى؛ إصابة عصبية فى الأولى واعتلال عضلى فى الثانية.

الدكتور حسنى سبح
عضو المجمع (دمشق)



لغة القانون في مصر

للدكتور عز الدين عبد الله

تمهيـد :

نقصد بلغة القانون « لغة علم القانون » . ولما كان القانون هو مجموعة القواعد التي يقوم عليها نظام المجتمع وتحكم سلوك الأشخاص وعلاقاتهم فيه ، ويكفل احترامها ما للسلطة العامة من قوة الجبر والإلزام ، كان منطقيا أن يتخذ علم القانون مكانه بين سائر العلوم الاجتماعية التي يطلق عليها أيضا « العلوم الإنسانية » ، وأن يكون متصلا بها معتمدا عليها في إقامة قواعده . فالقانون يتصل بعلم السياسة عندما يعنى بوضع قواعد النظام السياسي في المجتمع ، ويتصل بعلم الاجتماع من حيث الاعتماد عليه في معرفة الحقائق الاجتماعية في المجتمع ، ويتصل بعلم التاريخ للإفادة من تجارب الماضي لمختلف النظم القانونية ، كما أنه يتصل بعلم الاقتصاد عندما يعنى بتنظيم الروابط الاقتصادية .

هذا وليس ثمة شك في أن من أوليات المسائل في أي علم من العلوم وضع مصطلحاته وضبط تعاريفه . وقد بالغ البعض في التعبير عن هذا المعنى بقوله « كل علم ما هو إلا لغة محكمة الصنع » . وللمصطلحات والتعريفات أهمية خاصة في العلوم الاجتماعية من حيث كون المبتغى منها بصفة أساسية هو التعبير «بكلمات » عن « أفكار » تمثل بذاتها « حقائق » .

وعلى ذلك فإنه يلزم لغة القانون وضع مصطلحات القانون وضبط تعريفاته . وهي ، بعده ، لغة تتصف بسمات ثلاث ، هي : الدقة والبساطة والوضوح ، يترتب على تخلف أي منها الوقوع في التخليط وصعوبة الوصول إلى فهم حقيقة المراد . ولا يحول الحفاظ على هذه السمات دون انتقاء الجزل من الكلام والشيق من أساليب التعبير .

(*) أستاذ كرسي القانون الدولي الخاص بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ – عميد كلية الحقوق بجامعة عين شمس من ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، وأستاذ كرسي القانون الدولي الخاص بهذه الكلية حتى يولية سنة ١٩٧٤ ، وأستاذ متفرغ بها حتى سبتمبر سنة ١٩٧٧ ، ثم أستاذ غير متفرغ بها حتى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، تاريخ اعتزاله العمل بناء على طلبه .

والقانون الذى نضطلع ببيان لغته هو ما أصطلح على تسميته « القانون الوضعى » . وهذا مصطلح فى لغة القانون استقر فى الفقة المصرى ترجمة للمصطلح الفرنسى droit Positif الذى يعنى « مجموعة القواعد القانونية التى تكون « النظام القانونى » الذى يحكم فعلا حياة جماعة من الناس فى مكان معين وزمان معين . وبهذا المعنى يقال «القانون الرومانى» و«القانون الفرنسى القديم» و«القانون الفرنسى الحالى» و «القانون المصرى الحالى». فالمقصود بصفة «الوضعية» للقانون هو توافر « الإيجابية » أو « الفعالية » (وهى الترجمة الدقيقة للكلمة الفرنسية (Positif Positif) لقواعده بمقتضى ما يصاحبها فى التطبيق من إجبار على احترامها وسريانها ، تفرضه السلطة العامة فى المجتمع .

والقانون الوضعى بهذا المعنى هو موضوع علم القانون ، الذى يبحث فيما هو «كائن » ، وذلك على خلاف « علم فلسفة القانون » الذى يعنى بالبحث عما « يجب أن يكون » ، فهو لا يتناول نظاما قانونيا لجماعة من الناس فى زمان معين ، بل يتناول القانون فى شمول ، مفتشا عن الأصول والخصائص العامة لتطوره التاريخى ، ومتخذا فى تقديره معيارا من العدل المثالى الذى يفرضه العقل وحده .

ويرتبط تاريخ لغة القانون فى مصر بتاريخ بداية وجود « القوانين الوضعية » فيها . وبيان ذلك أن ولاية القضاء فى مصر كانت موزعة بين جهات عديدة ، تطبق كل منها شريعة خاصة بها . ويأتى فى صدارة هذه الجهات المحاكم الشرعية ، وكانت ولايتها عامة من حيث مادة الخصومة ، فتشمل المواد المدنية والمواد الجنائية ومسائل الأحوال الشخصية ، وذلك فيما عدا ما يكون من هذه المسائل خاصا بغير المسلمين فيلجأون فى شأنها إلى مجالسهم الطائفية (أى المجالس الملية) وقامت بجانب هذه الجهات « المحاكم القنصلية » ، وهى محاكم أجنبية تطبق كل منها قانون الدولة التى تتبعها . وقد جاءت هذه المحاكم وليدة نظام الامتيازات الأجنبية التى نشأت فى مصر فى القرن السادس عشر إبان تبعيتها للدولة العثمانية (وقد نشأ) « الامتياز الأول» بمعاهدة أبرمت مع فرنسا فى سنة ١٥٣٥ ، وجاء بعده « الامتياز الأكبر» بمقتضى معاهدة أبرمت مع فرنسا فى سنة ١٧٤٠ وتلتهما امتيازات مماثلة تقررت بمعاهدات أبرمت مع عدد من الدول الأوربية خلال القرن الثامن عشر ، وبمعاهدة أبرمت مع الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٨٣٠ . واعتاد رجال الإدارة (الحكام) الفصل فيما يرفع إليهم من خصومات ، فاجتزأوا بذلك جانبا من ولاية القضاء .

وظلت الحال كذلك حتى عهد محمد على باشا فامتدت يده إلى القضاء ليصلحه . وكانت الخطوة الأولى فى سبيل هذا الإصلاح هى إنشاء مجلس قضائى سمى أول الأمر « جمعية الحقانية » ، وسمى فيما بعد « مجلس الأحكام » ، (سنة ١٨٣٩) . ونيطت بهذا المجلس مسائل كثيرة ، من تشريعية وقضائية ، أخصها ذكرا القضايا العامة التى تقدمها إليه « دواوين الحكومة » . ثم مست الحاجة لهيئة تتولى الفصل فى المواد التجاريه ، فأنشىء «مجلس تجار الإسكندرية» ليفصل فى المنازعات التجارية بين « الأهالى » (أى الوطنيين) بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين الأجانب. ثم أنشىء « مجلس تجار مصر (القاهرة) » على غرار مجلس تجار الإسكندرية . وفى عهد عباس الأول تم إنشاء خمسة مجالس قضائية للأقاليم . وأخذ الزمن يحكم على هذه المجالس جميعا من حيث كفايتها للغاية المبتغاة منها ، ألا وهو تكوين هيئة قضائية . وكان الحكم حينا ضدها فتلغى وترد وظائفها إلى رجال الإدارة (كما حصل فى عهد سعيد باشا سنة ١٨٥٧) وأحيانا لصالحها فتتعدد ويتفرع ترتيبها وتشكيلها ، حتى استقرت فى عهد إسماعيل إلى أن عصفت بها يد الإصلاح الخارف الشامل . وفى سنة ١٨٧٣ أنشئت « المجالس الحسبية » لتختص بمسائل الولاية على المال .

وقد كان هذا التعدد فى جهات القضاء وعدم وجود ضوابط دقيقة تحدد ولاية كل منها ، مؤديا إلى وقوع التنازع فى الاختصاص فيما بين بعضها والبعض ، وإلى تحقق تضارب الأحكام الصادرة منها ، مما وصف بحق بأنه « فوضى النظام القضائى » ، الذى صاحبه فوضى النظام التشريعى » . ودعت هذه الحال إلى التفكير الجاد فى الإصلاح الشامل ، وجاءت الخطوة الأولى فى سبيله بانشاء المحاكم المختلطة » (وهى محاكم مصرية تؤلف من مصريين وأجانب) على غرار الأنظمة القضائية الأوروبية الحديثة ، وذلك فى سنة ١٨٧٥ ، وأصدرت مجموعات قوانين (تقنينات) نقلا عن القانون الفرنسى ، تطبقها هذه المحاكم فيما يدخل فى ولايتها من مسائل (وهى القانون المدنى والقانون التجارى والقانون البحرى وقانون المرافعات والقانون الجنائى وقانون تحقيق الجنايات) . وجاءت الخطوة الثانية فى سبيل هذا الإصلاح بانشاء « المحـاكم الأهلية » (فى سنة ١٨٨٣) وإصدار مجموعات قوانين تطبقها فيما يدخل فى ولايتها من مسائل ، وذلك على غرار المجموعات (التقنينات) المختلطة .

وبصدور مجموعات القوانين المختلطة ومجموعات القوانين الأهلية وجد « القانون الوضعى » ، بمعناه السابق ذكره ، فى نطاق واسع فى مصر ، ووجدت « لغة القانون

الوضعى » ، وهى لغة أجنبية بالنسبة للقوانين المختلطة والمحاكم المختلطة ، ولغة عربية بالنسبة للقوانين الأهلية والمحاكم الأهلية وكان ما يصدر من قوانين ينشر فى الجريدة الرسمية بهاتين اللغتين . وقد زال هذا الإزدواج فى لغة القانون فى ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، وهو التاريخ الذى انقضى أجل المحاكم المختلطة بحلوله تنفيذا لأحكام اتفاق إلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر المبرم فى سنة ١٩٣٧ . وانفردت لغة القانون العربية فى الميدان القانونى . وكما انقضى أجل المحاكم المختلطة ، انتهى العمل بمجموعات القوانين المختلطة . واستمر العمل بمجموعات القوانين الأهلية ، وكان قد لحق بعضها التعديل ، إذا أصدر فى سنة ١٩٠٤ قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات اللذان حلا محل قانونى سنة ١٨٨٣ ، ثم أصدر فى سنة ١٩٣٧ قانون عقوبات جديد لا يزال ساريا حتى الآن . وقد نشطت الحركة التشريعية لتعديل هذه المجموعات بعد العمل باتفاق إلغاء الامتيازات واستكمال مصر سيادتها التشريعية ، فصدر القانون المدنى فى سنة ١٩٤٨ وصدر قانون المرافعات فى سنة ١٩٤٩ ليعمل بهما إبتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، كما صدر قانون الإجراءات الجنائية (وهى التسمية الحديثة لقانون تحقيق الجنايات) فى سنة ١٩٥٠

على هذا الوجه نشأت « لغة القانون الوضعى » فى مصر . وهو تعبير ينصرف ، إذا ما أطلق إلى « لغة علم القانون » أو « لغة الفقه » ، لأن فقهاء القانون هم الذين يصنعونها ، وهى لغة تتصف بما تقدم ذكره من السمات ، ويتفرع منها فى الميدان القانونى لغة التشريع ولغة القضاء ولغة المحاماه ، ويكون لكل منها خاصة أو أكثر تميزها من غيرها .

اولا – لغة التشريع :

وكانت لغة التشريع أسبق فى الوجود فى مصر من سائر هذه اللغات بما فى ذلك لغة علم القانون ذاتها . وليست هذه الأسبقية فى الوجود أمرا مستغربا ، لأن « القانون الوضعى » دخل مصر فى صورة تشريع تضمه « مجموعات قوانين » (أى تقنينات » وضعت باللغة الفرنسية ، ثم ترجمت « مجموعات القوانين الأهلية » إلى اللغة العربية ، وكانت هذه الترجمة أول « لغة تشريع عربية » فى مصر فى مجال القانون الوضعى . وكانت مهمة المترجم شاقة وعسيرة . فهو قد واجه مصطلحات ونظما قانونية لا تتفق تماما فى المعنى والمضمون مع مثيلاتها فى الفقة الإسلامى ، كما واجه مصطلحات ونظما قانونية

غير معروفة فى هذا الفقه . ولم يبلغ الأمر عنده هذا القدر من المشقة بالنسبة للمسائل القانونية التى أستقيت أحكامها من الشريعة الإسلامية ، مثل الشفعة وبيع المريض مرض الموت .

وإذا ما قيس جهد ناقل هذه المجموعات القانونية إلى اللغة العربية بزمانه لكان جهدا جديرا بالتقدير والاحترام ، وبخاصة عند من يعانى النقل إلى اللغة العربية من لغات أجنبية فيما استجد من فروع القانون أو فى موضوعات كل منها ، فى زماننا الذى نعيشه . على أنه رغم هذا الجهد الكبير الذى بذل فى نقل هذه المجموعات إلى اللغة العربية ، سرعان ما بدا الخلاف فى بعض المواضع بين النص الفرنسى والنص العربى . ووقف القضاء حائرا أمام هذا الخلاف . فرأى بعض المحاكم « وجوب الأخذ بالنص الفرنسى لأنه الأصل الذى وضعت به المادة ، فضلا عن أن اللغة الفرنسية هى لغة القانون » . ورأى البعض الآخر من المحاكم « وجوب الأخذ بالنص العربى ، وذلك أولا — لأن القانون استلزم النشر . وهذا يكون باللغتين العربية والفرنسية ، وجمهور الأفراد يجهل اللغة الفرنسية فيتعين الأخذ بالنص العربى . وثانيا — لأن لغة المناقشة فى القوانين هى اللغة العربية » . ورأى بعض الفقهاء « وجوب التوسط بين الرأيين واعتبار اللغتين العربية والفرنسية لغتين أصليتين ، ويرجع إلى ظروف كل حالة ويؤخذ بالنص الذى يظهر أنه يتفق مع غرض المشرع » .

على أن هذا الوليد الجديد « لغة التشريع » قد تولاه بالعناية والنماء رجال القانون الأوائل ، رواد القانون الوضعى المصرى ، فتناولوا نصوص مجموعات القوانين ، وغيرها من التشريعات ، بالشرح والتفسير وإزالة غموض النص وسد نقصانه حيث وجد ، ونقد عبارة النص أو حكمه ، واقتراح البديل المستحسن لما هو وارد فى التشريع من مصطلحات أو تعريفات أو تعبيرات أو أحكام . وكان من هؤلاء الرجال أساتذة بمدرسة الحقوق (كلية الحقوق بجامعة القاهرة فيما بعد) وقضاة ومحامون . وكان بين هؤلاء وأولئك القاضى الفقيه والمحامى الفقيه ، مما يشبه ما كانت عليه الحال عند الرومان ، إذ كثيرا ما وصف رجل القانون الرومانى بأنه فقيه وقاض ومشرع . ونذكر من هؤلاء الرواد الذين بدأ نشاطهم فى أواخر القرن الماضى وتوالى فى أوائل القرن العشرين الأساتذة : أحمد فتحى زغلول وأحمد قمحة ومحمد حلمى عيسى وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر وعبد الحميد بدوى وعبد الحميد أبو هيف وعبد الفتاح السيد وأحمد لطفى وأحمد نجيب الهلالى ومحمد صادق فهمى وعبد السلام ذهنى ومحمد كامل مرسى وأحمد أمين وأحمد نشأت وعلى زكى العرابى وعبد الرزاق أحمد السنهورى ومحمد صالح وعلى الزينى وكامل ملش ومحمود سامى جنينه وأحمد صفوت وعزيز خانكى .

والواقع من الأمر أن عناية هؤلاء الرواد بلغة التشريع إنما جاء خلال صنعهم لغة علم القانون أو لغة فقه القانون . ولقد صاحب جهدهم فى لغة التشريع جهد آخر بذلته « إدارة قضايا الحكومة » . ولهذه الإدارة تاريخ قديم . ذلك أنه لما أنشئت المحاكم المختلطة عقد لها الاختصاص بنظر الدعاوى التى ترفع بين الحكومة والأجانب ، الأمر الذى اقتضى أن يكون للحكومة من يمثلها أمام هذه المحاكم من الموظفين رجال القانون . لذلك عنيت الحكومة بانشاء قوميتيه (تعريب الكلمة الفرنسية Comité) قضايا الحكومة » أى «لجنة قضايا الحكومة» لتتولى الدفاع عنها أمام هذه المحاكم ، ثم تولت هذا الدفاع أمام المحاكم الأهلية بعد إنشائها . كان إنشاء هذه اللجنة فى سنة ١٨٧٤ . وتناول نظامها التعديل فى سنة ١٨٧٦ فأعتبرت « هيئة استشارية للحكومة وممثلة لها أمام القضاء » . وتوالى تعديل هذا النظام فى سنة ١٨٨٠ ثم فى سنة ١٨٨٤ حيث أضيف إلى اختصاصها « تحضير القوانين والأوامر واللوائح » . وفى سنة ١٨٩٦ أنشئت « اللجنة الاستشارية لسن القوانين واللوائح » مهمتها « وضع مشروعات القوانين والأوامر واللوائح فى صيغة قانونية القوانين والأوامر واللوائح فى صيغة قانونية وجعل نصوصها ملائمة للقوانين المتبعة » . وفى سنة ١٩٢٣ صدر القانون الأخير « بتنظيم أعمال إدارة قضايا الحكومة » التى آلت إليها اختصاصات مختلف هذه الهيئات ، وأخصها ذكرا وضع مشروعات القوانين والأوامر واللوائح فى صيغة قانونية . وظلت هذه الإدارة تمارس هذه المهمة حتى آلت إلى مجلس الدولة منذ إنشائه فى سنة ١٩٤٦ . ويجرى التعبير عن هذه المهمة فى قانون هذا المجلس الصادر فى سنة ١٩٧٢ بما تنص عليه المادة ٦٣ منه من أنه « على كل وزارة أو مصلحة قبل استصدار أى قانون أو قرار من رئيس الجمهورية ذى صفة تشريعية أو لائحة أن تعرض المشروع على قسم التشريع لمراجعة صياغته ، ويجوز لها أن تعهد إليه بإعداد هذه التشريعات » .

وهكذا ، منذ أواخر القرن الماضى وخلال الربع الأول من القرن العشرين ، ولدت لغة التشريع وأخذت تنمو وئيدا ، وإنما بخطى مدروسة وجهود صادقة . وهى لغة وصفها أستاذنا الفقيه القاضى المشرع الدكتور عبد الرزاق السنهورى بقوله « يجب أن تكون واضحة دقيقة . فاللغة المعقدة تجعل القانون مغلقا ، كما أن اللغة غير الدقيقة تجعل القانون مبهما . ويجب أن يكون للتشريع لغة فنية خاصة به ، يكون كل لفظ فيها موزونا محدود المعنى . ولا يجوز أن يتغير معنى اللفظ الواحد باستعماله فى عبارات مختلفة . كما أنه إذا عبر من معنى بلفظ معين ، وجب ألا يتغير هذا اللفظ إذا أريد التعبير عن هذا المعنى مرة أخرى . ولا يتنافى أن تكون لغة التقنين غنية على أن تكون بسيطة تنزل إلى مستوى فهم الجمهور » .

واستمرت لغة التشريع ترتقى صعدا خلال الثلاثينات والأربعينيات وأوائل الخمسينيات . وهو ارتقاء أسهم فيه كل من اشترك فى إعداد التشريع أو مراجعة صياغته أو نقده . فى هذه الحقبة من الزمان . فبعد أن قام النظام النيابى فى مصر بالعمل بدستور سنة ١٩٢٣ وجدت الهيئة التشريعية مجسمة فى البرلمان (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) ، وضمت اللجان التشريعية المشكلة داخلها أكفاء من رجال القانون ، أكثرهم من كبار المحامين المتفقهين فى القانون . وبذلك اتفرت لهذه الهيئة مكنة الارتقاء بلغة التشريع ، وذلك بجانب مجهود مجلس الدولة منذ إنشائه، وجهـود فقهاء القانون من أساتذة الحقوق وغيرهم من المشتغلين بالقانون . ويجب أن يذكر بالعرفان والتقدير فى هذا المقام فضل اللجان التشريعية التى تولت وضع مشروعات عدد من التقنينات الجديدة ، مثـل التقنين المدنى (الصادر فى سنة ١٩٤٨) وتقنين المرافعات (الصادر فى سنة ١٩٤٩ ثم التقنين الصادر فى سنة ١٩٦٨) .

وأن من يدرس مختلف هذه التقنينات ليستظهر فى يسر ويقين مستوى ارتقاء لغة التشريع فى مصر واتصافها بما سبق ذكره من السمات . تأمل المادة الأولى من التقنين المدنى وهى تقول : « تسرى النصوص التشريعية على جمـيع المسائل التى تتناولها هذه النصوص فى لفظها أو فى فحواها . . . » ، والمادة ٩٠ منه وهى تقول : « التعبير عن الإرادة يكون باللفظ وبالكتابة وبالإشارة المتداولة عرفا ، كما يكون باتخاذ موقف لا تدع ظروف الحال شكا فى دلالته على حقيقة المقصود . . . » والمادة ١٢٩ منه وهى تقول : « إذا كانت التزامات أحد المتعاقدين لاتتعادل البـتة مع ما حصل عليه هذا المتعاقد من فائدة بموجب العقد أو مع التزامات المتعاقد الآخر ، وتبين أن المتعاقد المغبون لم يبرم العقد إلالأن المتعاقد الآخر قد استغل فيه طيشا بينا أو هوى جامحا ، جاز للقاضى بناء على طلب العاقد المغبون أن يبطل العقد أو أن ينقص التزامات هـذا المتعاقد . . . » . ثم تأمل المادة الثالثة من تقنين المرافعات الصادر فى سنة ١٩٦٨ (وهى منقولة عن المادة ٤ من تقنين المرافعات الصادر فى سنة ١٩٤٩) وهى تقول: « لا يقـبل أى طلب أو دفع لا تكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرها القانون ، ومع ذلك تكفى المصلحة المحتملة إذا كان الغرض من الطلب الاحتياط لدفع ضرر محدق أ الاستيثاق لحق يخشى زوال دليله عند النزاع فيه » . أفبعد هذا دقة فى بيان المراد وبساطة ووضوح فى التعبير ، مع جزالة اللفظ وحسن الأسلوب !!

وقد انبسطت لغة انتشريع هذه فى عدد من البلاد العربية التى تأثر مشرعوها بالتقنينات المصرية فيما أصدروه من تقنينات جديدة استعانوا فى وضعها ببعض الفقهاء المصريين ، وبخاصة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى . نذكر من هـذه

التقنينات القانون المدنى السورى (الصادر فى سنة ١٩٤٩) وقانون أصول المحاكمات السورى (أى قانون المرافعات الصادر فى سنة ١٩٥٣) والقانون المدنى العراقى (الصادر فى سنة ١٩٥١) والقانون المدنى الليبى (الصادر فى سنه ١٩٥٣) وقانون المرافعات الليبى (الصادر فى سنه ١٩٥٣) والقانون الكويتى رقم ٥ لسنة ١٩٦١ بتنظيم العلاقات القانونية ذات العنصر الأجنبى .

على أن موجة عارمة من التشريع سادت مصر فى الخمس وعشرين سنة الأخيرة صاحبها الإسراع فى إعداده وإصداره . وقد ترتب على التعجل فى التشريع عدم إيفائه بالغاية المقصودة منه وظهور العجز فيه ونقصانه فى بعض الحالات ، مما يشهد به أن تشريعا يصدر ولا يكاد يمضى عام أو أكثر إلا ويجرى تعديله أو إلغاؤه وإصدار تشريع جديد . ومهما قيل من أن سرعة تطور أحوال البلاد وتنوع احتياجاتها كانا يقتضيان هذا التعجل فى التشريع ، فإن ذلك لا يبرر ما جرى ، وكان من المستطاع توخى مزيد من الدقة فى التقدير . هذا من حيث أحكام التشريع . أما من حيث لغة التشريع فقد أصابها الهزال وبدت فى بعض الأحيان فاقدة بعض سماتها المذكورة آنفا ، وتوقف ارتقاؤها ، لا بل إنها أصيبت بنكسة قد تعود بها إلى الوراء . وليس من الإنصاف فى شىء أن تلقى المسئولية عن كل ذلك على كاهل الجهات التى عهد إليها باعداد التشريع أو مراجعة صياغته ، أى مختلف اللجان التشريعية الخاصة ومجلس الدولة ، فقد وقعت أحداث وتوافرت ظروف ، يعرفها ويعيها كل من عاش خلال هذه المدة ، شاركت فى هذه المسئولية حتى أنه ترامى إلى السمع أن بعض التشريعات كان يصدر دون أن يعرض على مجلس الدولة . ترى متى يأتى فجر صحوة تستعيد بها لغة التشريع سابق رفعتها وتزدهر مسايرة سنة التطور .

ثانيا ـ لغة الفقه :

وإذا كنا قد قدمنا الكلام فى لغة التشريع على الكلام فى لغة علم القانون (أو لغة الفقه) فما ذلك إلا مراعاة للترتيب التاريخى . فقد نشأت الأولى قبل الثانية ، وإن كانت قد تمت وترعرعت فى ثنايا هذه الأخيرة . ويحق علينا الآن أن نفسح المجال للكلام فى لغة الفقه . ولقد مرت هذه اللغة فى مراحل ثلاث ، يمكن أن نطلق على أولاها « مرحلة التكوين » وعلى ثانيتها « مرحلة الإزدهار » ، وعلى ثالثتها « مرحلة الارتخاء أو النكس » .

وتشمل المرحلة الأولى الربع الأول من القرن العشرين وما يزيد عليه قليلا . وقد عاش فى هذه المرحلة من أسميناهم فيما تقدم « رواد القانون » ، الذين بنوا لغة فقه القانون ،

وهم يتحملون مشقة النحت فى صخره و مساعدهم على تحملها هدوء النفس وبطء جريان الزمن والإيمان بالعلم والأمانة فيه . فهم يدرسون القانون بلغة أجنبية ، وينقلون ما يدرسونه إلى اللغة العربية بما يقضيه ذلك من وضع المصطلح الدقيق والتعريف الذى لا يتسع لغير المراد ولا يضيق به ، مع حسن التعبير ورقة الذوق فيه . ولقد عبر الأستاذ زكى عريبى المحامى عن هذه المعانى بقوله (فى المجلد الثانى من الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية من سنة ١٨٨٣ إلى سنة ١٩٣٣) : « وأنت فى مصر - كاتبا كنت أو أستاذا فى جامعة ، محاميا أو قاضيا ، مهندسا أو طبيبا - لا تكاد تذكر أمامك اللغة حتى تتجه بفكرك إلى مختلف الصعوبات التى تعانيها إذا طلب منك أن تكتب أو تدرس أو تحاضر فى فرعك الخاص . لقد أخذت - كما أخذ أفراد هذا الجيل والذى تقدمه - العلم عن أوربا . أخذته سهلا ميسورا بلغة أجنبية لقنتها صغيرا فى طرازها الأخير فحصلت بها على أداة رقيقة مطواعة لحاجات العصر ، قد استوفت دقائقها من مسميات وأفعال وتعبيرات لها دلالتها الخاصة المحدودة . درست بهذه الواسطة فى لين وسهولة . وإذا بك انتقلت فجأة بمحصولك العلمى إلى محيط يريد أن يفهم منك ما فهمته ويأخذ ما أخذته . وليس سبيل التفاهم مع هذا المحيط إلا بلغة قد يكون معدنها ذهبا ، ولكنه ذهب لا يزال تبرا . . . وإن كثيرا من المشتغلين بالقانون فى مصر - بل قل غالبيتهم المطلقة - درسوا القانون بلغة أجنبية استجمعت شروط الصلاحية للتعبير عن كل فكرة انتجها الفكر الحديث. وجميع هؤلاء - محامين كانوا أو قضاة أو وكلاء نيابة - مطلوب منهم أن يصوغوا ما تعلموه بالفرنسية أو الإنجليزية كلاما عربيا فصيحا . . . ولكن أيمكن حصر الصعوبات فى هذا السبيل ومعالجتها . . ؟ أن ما نراه فى عالم الحقوق يجيز لنا أن نعتقد أنه ليس فى اللغة أدواء أصيلة تمنعها من أن تأخذ مكانها تحت الشمس كلغة عصرية تضرب بسهم فى مختلف العلوم والفنون . . . . » .

وهذا العسر فى إنشاء لغة عربية لفقه القانون ، وضرورة هذا الإنشاء وأهميته ، كلها أمور كانت قائمة فى ذهن المشتغلين بالقانون فى هذه المرحلة وعبروا عنها فيما نشروه من مؤلفات .

وإذ كان الفقه « هو استنباط الأحكام القانونية من مصادرها العلمية » نرى الأستاذ أحمد فتحى زغلول (فى مقدمة كتابه « شرح القانون المدنى » المنشور فى سنة ١٩١٣) يقول : « مضى جيل منذ وضعت القوانين الحاضرة ، ولا زال شرحها غامضا أو غائبا عن أذهان ذوى الحاجات وأرباب الخصومات لقلة المصنفات على كثرة المشتغلين بتطبيقها والمحترفين بها » . ثم يضيف فى مقام بيان ما اتبعه فى تأليف كتابه قوله :

«أبدلت من بعض الألفاظ ألفاظاً أخرى لورودها فى المعنى المراد أو لكونها أقول أدل عليه من الأولى . ولولا أن النص العربى أسرف فى الألفاظ ما ورد الحكم الواحد بأكثر من عبارتين مختلفتين معنى ومبنى ، وسمى الشىء الواحد بأسماء هى أقرب للتناقضات منها إلى المترادفات فى علم التشريع — لولا ذلك لقلنا خطأ مشهور خير من صواب مهجور . على أنى لم أطرق هذا الباب إلا مع الحذر . وتكاد الكلمات التى اخترتها تعد بالسهولة لقلتها . وإنما أردت فتح باب أرغب إلى المشتغلين بالقانون أن يدخلوا منه إلى لفظ أمكن وعبارة أسد ، حتى تصح لغة القانون ، ويكون لنا فى علم الحقوق معجم نستعين به على الشرح والتصنيف . وإذا كان لامناص من لفظ جديد فخير لنا أن نختار ما يطابق المعنى المراد من أن نحشوا الحافظة بكلمات قهرها المترجمون فى هذا الزمان على غير معانيها . وذلك أقرب إلى الفهم وأبقى فى الذاكرة وأسهل فى الانتفاع بالكتب العربية وأقوم للغة ، وماهو بالشىء القليل . ولسنا نحتاج إلا إلى قليل من الإرادة والصبر حتى تصقل الألفاظ الجديدة بالتداول ويعتادها اللسان وتطمئن إليها الآذان» .

بهذا الأسلوب الناصع الدقيق عبر الأستاذ أحمد فتحى زغلول عن سمات لغة الفقه ويجىء بعده الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو هيف ليقول فى كتابه (المرافعات المدنية التجاريةوالنظام القضائى فى مصر الذى نشرت طبقته الأولى فى سنة ١٩١٥) : «لم أقتصر فى هذا الكتاب على درس المرافعات من الوجهة النظرية فان هذه الطريقة عقيمة إن هى لم تقترن بدراسة المرافعات من الوجهة العلمية ، لذلك عمدت إلى أحكام المحاكم وعاداتها فجعلت من اهتمامى نصيبا كبيرا ، ولكنى لم أفرط فى عقدها حيث وجدتها تتناقض مع القواعد الصحيحة المستنبطة من الطريقة التاريخية ومن مقارنة الشرائع وإذا كانت هاتان الطريقتان هما العمدة لمشترعى هذا العصر فى تفسير القانون وإصلاحه فلذلك لم آل جهدا فى تبيان هاتين الطريقتين وكيفية الانتفاع بهما فى إصلاح القانون الحاضر وتحضير قانون المستقبل .

ولقد كان نشر هذا الكتاب للدكتور عبد الحميد أبو هيف حدثا كبيرا فى ميدان القانون ، وكتب فى تقديره أساتذة وقضاة ومحامون كلمات تعبر بدورها عن ارتقاء لغة فقه القانون من ذلك ما قاله الأستاذ الدكتور عبد السلام ذهنى ونصه : رأينا أن العالم الأوربى ينظر إلى مؤلفه كنظر المالى إلى رأس ماله ، يتعهده كل آن بالنماء والزيادة . . .ومرافعات الدكتور أبو هيف هو الكتاب البكر فى فن القانون ... إذا قرأت من الصفحة الأولى منه فلا تشعر بعد زمن إلا وقد طرحت بك الجاذبية

إلى المائة فتتلهف للاثنتين ثم تعدو للثالثة :. ترى أبو هيف يقف بك أمام القانون الأهلى المصرى ويعمل لك مقارنة بالقانون المختلط يطوف بك على القانون النمساوى والألمانى ثم يمر بك على أهل التأليف . ثم يقف به لحظة يعرض فيها عليك رأيه الشخصى فترى آيات النقد تتدفق وأسـلوب التعبير المنطقى يضىء وحجـة العمـل تؤيده فلا تشعر بملل فى دراسة علم المرافعات ، على ما هو معروف عن هذا العلم من الجفاف الطبيعى وشدة ضغطه على الروح والأنفاس أن وجد عيبا فى التشريع ينبهك إليـه وإن اختلف فى رأى مع القضاء أبان لك أوجه الخلف وعزز رأيه بالدليل الوافى فالقضاء لا يفلت من نقده ولا المشرع نفسه .

ويقول الدكتور محمد بهى الدين بركات فى كلمة قدم بها كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف : « عمل الفقيه المصرى عمل شاق ودقيق ، يحتاج إلى التيقظ المستمر الدائم ، وإلى المقارنة بين الشرائع ووزن الألفـاظ وتقدير الظروف التى وضعت فيها تقـديرا حكيما . . . لذلك كانت مهمة المؤلف عندنا وعرة المسلك ينوء بحماهـا كل من قدر مسئوليته » قدرها .

ويقول الأستاذ عزيز خانكى فى وصف كتاب الدكتور عبد لحميد أبو هيف « لم يترك محلا للنقد إلا أظهر خطأه رأيناه يدك بعض الأحكام دكا ، وينسف بعض النصوص نسفا ، لم ينظر إلى القائل بل نظر إلى القول ، وحكم على كل نص أو رأى أو حكم بآثاره ونتائجه ، مهما علت منزلة واضعه أو قائله أو مصدره . ما خاف أحد إلا الحق وما راعى شيئا إلا المصلحة العامة » .

وإذا كان ما تقدم هو قليل مما قيل فى فقه الدكتور أبو هيف وفى لغته الفقية ، فانه قد جلب من ذاكرتى أمرا عاصرته يتعلق بهذا الموضوع . فقد حدث أن شكلت لجنة فى سنة ١٩٤٥ لمراجعة مشروع قانون المرافعات المدنية والتجارية (والذى صدر فى سنة ١٩٤٩) وكنت فى ذلك الوقت مدرسا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ومنتدبا سكرتيرا فنيا لهذه اللجنة ، وشهدت كيف كان كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف مرجعا أساسيا تستهدى به اللجنة وتحتكم إليه عندما يحتدم الجدل بين أعضائها . ولقد أفادت اللجنة الكثير من مواقفه من التشريع الذى كان قائما ومن مقترحاته فى تعديله سواء فى حكم النص أو فى صياغته التشريعية .

وإذا ما طفنا فى هذه المرحلة الأولى من مراحل لغة الفقه أو مرحلة التكوين ، بعد استعراض هذه اللغة فى مؤلفات من سبق ذكرهم من الفقهاء ، وجدنا الأستاذ محمد

حلمى عيسى يقول فى مقدمة كتابه «شرح البيع فى القوانين المصرية والفرنسية وفى الشريعة الإسلامية» (منشور فى سنة ١٩١٦) : «وقد سلكت فى تأليفه الطريق الذى سلكه الشارع فى وضع القانون ، قارنت أولا بين مواده (من أهلى ومختلط) وبين مصدريه الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسى . وجعلت المقارنة فى الشريعة على كتاب مرشد الحيران للمرحوم قدرى باشا ومجلة الأحكام العدلية لوضعها على نسق القانون ترتيبا ومواد . . وعلى هذا النحو سرت فى الشرح لأن واضع القانون لم يترك لنا مذكرات إيضاحية ولا أعمالا تحضيرية لتكون مرشدا وهاديا لكل باحث يدرك منها غرض الشارع ويقف على حكمة ما أثبت وما علة ما عدل أو ابتكر . بل ترك الناس حيارى يذهبون كل مذهب فى تأويل قوله وتعليل عمله . . . كذلك آخذ الكثيرون واضع القانون بالإسراف فى التعبير حيث يغنى الإيجاز . وبالقصد حيث يجب البيان ، والتراخى فى تحرى الإصلاح ، بل ويضعف التركيب وسقم العبارة وعجز الألفاظ التى استعملها عن أداء ما يراد بها وبموضعها إلى حد يحتاج معه المطلع للرجوع إلى النص الفرنسى لاستيضاحها وهو عيب كبير واقع ما له من دافع غير ما أظهره أولئك المنكرون من محاولة تلافى هذه النقائص فى مؤلفاتهم والعمل على استبدال ما استنكروه بإصطلاحات أوفى بالغرض وأنسب للقانون . وإنا على آثارهم مهتدون فقد أثبت ما عثرت عليه من الاصطلاحات التى ظننتها كذلك ولعلى وفقت . . . ولكننا إن آخذناه بكل ذلك فيجب ألا ننسى أن هناك غرضا ظاهرا للشارع يصلح أن نسترشد به فى شرح قانونه وهو الرجوع إلى نفس مصادر الأحكام التى دونها فيه . . . ثم يضيف المؤلف قوله : «لسنا نجهل أو ننكر عمل الشارع فى هذا السبيل وهو يشرع لأقوام مختلفى الجنسية متعددى الأحوال الشخصية خاضعين لامتيازات أجنبية يجب مراعاتها فى معاملاتهم ، كما يجب مراعاة الأخذ بأسباب الرقى والانتفاع بما أظهرته تجارب الأمم الراقية ودواعى الحضارة . . . ولقد راعيت ما استطعت فى تحريره السهولة فى العبارة والبسط فى القول والإفاضة فى الشرح والإحاطة بمختلف المذاهب وتنوع الآراء وتعدد الأحكام ، والتفصيل فى التعليل ، لأنى رأيت أن ذلك أدعى لرسوخ المسائل فى الذهن وأقرب لفهم أحكامها وأنمى للملكة التفقه وأسهل لمعرفة طرق الاستنباط وسبل القياس وأظهر فى كيفية تحليل المواد وتطبيق الحوادث على جزئياتها والتدليل على ما استخلص من الآراء منها . . . . »

وإذا ما أردنا رؤية صورة لتطبيق هذا المنهج الذى التزم به المؤلف فى مقدمة كتابه لأوردنا مقتطفات منه تأتى فى صدارتها العبارة التى استهل بها الفصل الأول (فى البيع على العموم) ونصها : «أصل البيع هو المقايضة . فهى أول ما عرف الإنسان من

أنواع التعامل وكيفية ذلك أن الإنسان خلق مدنيا بطبعه فلا يستطيع أن يعيش بمفرده ولا يستطيع أن يسد حاجته دون معونة بنى جنسه . فهو مضطر لمعاملتهم وتبادل المنفعة معهم يأخذ منهم ما تمس إليه حاجته ويعطيهم ما زهد فيه أوزاد عن لوازمه ، فطرة الله التى فطر الناس عليها فتبادل المنفعة أو الأخذ والعطاء الذى انساق إليه الإنسان من أول نشأته هو المسمى بالمقايضه أو المعاوضة كما سماها القانون المصرى » ثم يقول المؤلف فى تعريف البيع ، البيع لغة مقابلة شىء بشىء مالا أولا . واصطلاحا عقد يلتزم به أحد المتعاقدين نقل ملكية شىء للآخر فى مقابلة التزام ذلك الآخر بدفع ثمنه المتفق عليه بينهما» ويذكر المؤلف أن هذا التعريف (وقد ضمنه المادة ٣٣٥ من القانون المدنى الأهلى) مستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسى اللذين هما مصدر التشريع المصرى. ويقول المؤلف بعد ذلك : « والتعريف الذى اختاره الشارع المصرى هوما يميل لتعزيزه علماء القانون الفرنساوى فى مؤلفاتهم ويمتاز تعريف القانون المصرى عن تعريف القانون الفرنساوى بأن حكم البيع والغرض منه وهو نقل الملك منصوص عليه فيه صراحة بعكس القانون الفرنساوى فانه مستفاد دلالة ثم نرى المؤلف وهو يقف موقف الناقد من نص تشريعى يوضح أساس النقد ويقترح العلاج لعيب النص . خذ مثالا لذلك موقفه من المادة ٢٦٧ من القانون المدنى الأهلى التى تقضى بأنه يشترط لصحة البيع أن يكون البيع مما يجوز التبايع فيه »فيقول المؤلف ما نصه « يظهر من مقارنة عبارة (مالا يجوز التبايع فيه) بما يقابلها فى النص الفرنساوى أن هناك تصرفا فى التعبير قصر مؤدى العبارة العربية على البيع . مع أن النص الفرنساوى يصدق على البيع كما يصدق على غيره ، وربما كان التعبير لا يقبل التعامل فيه أو (لا يجوز التصرف فيه أو الاتجار به) أوفى بالمراد ، لأن المقصود من التعبير الفرنساوى هو قابليته الشىء المعقود عليه لأن يكون محلا للعقد . والتعامل يراد به لغة التصرف من بيع ونحوه ، فاستعماله يكون أكثر مطابقة للاصطلاح الفرنساوى وسنجرى على استعماله منعا للبس الذى ينشأ من استعمال عبارة القانون المصرى فليلاحظ ذلك . . . »

ومثال آخر لجهود الرواد الأوائل فى إنشاء لغة الفقه نتخذه من لغة الأستاذ أحمد نجيب الهلالى فى كتابه « شرح القانون المدنى — فى العقود — الجزء الأول فى البيع والحوالة والمقايضة » المنشور فى سنة ١٩٢٢) . فهو يستهل كلامه فى عقد البيع بقوله « البيع أعظم العقود شأنا وأكثرها شيوعا وأولاها بالعناية ، فهو واسطة التجارة عند الأمم المتحضرة ؛ وعليه يتوقف نظام المعاش وإتساع الرفه والنعيم ؛ وهو ضرورى للمحافظة على العمران الإنسانى

وتيسير أسبابه ولولاه لاختل نظام الحياة وكسدت ســوق الأعمال فبقيت البضائع عروضا جامدة، وبطلت التجارة أو كادت وتفشت سوق النهب والسرقة والحيلة والسؤال حتى يحصل الناس على أقواتهم وحاجات منازلهم، فبالبيع والشراء يتداول الناس العروض والبضائع وســائر أنــواع الثروة ويستجلب المحــتاج ما يرغب فيه من الضروريات والحاجيات والكماليات بقيمتها ممــن لاحاجة له بها ، ولذلك نجد أنه لا يكاد يمر بالإنسان يوم واحــد من غير أن يتكرر منه البيع أو الشراء ، وإن صح أن إنسانا لايبيع شيئاً لأنه لا ملك له ، فما من إنسان ألا وهو محتــاج للشراء حتى يتوصل إلى سد الحاجة وإمساك الرمق فضلا عن الرغد والثروة . أفبعد هــذا دقة ووضح فى بيان أهمية البيع وهو بعد أن يورد تعريف البيع كما جاء فى المادة ٢٣٥ من القانون المدنى الأهلى (وقد سبق ذكر نصها) يعلق عليه بقوله ومن قراءة هــذا التعريف يتبين أن القانون المصرى تلافى العيب الذى وقع فيه الشارع الفرنسى فنص على نقل الملكية فى تعريف البــيع ويستهل المؤلف كلامه فى المقايضة بقوله : « أصــل البيع المقايضة والفرق بينهما أن المقايضة لا ثمن فيها ، لأنها مبادلة شيء بشيء ، فكل عاقد من العاقدين يتعهد فيها بتمليك الآخر شيئا على سبيل التبادل ، ولذلك قالوا كل طرف فى المقايضة يعتبر بائعا ومشتريا فى آن واحد،لأنه يبيع ملكه للطرف الآخر على أن يحل ملك الآخر محل ثمن الشيء الذى بذله له» .

وتأمل فيما يقوله أستاذنا الدكتور محمد كامل مرسى (فى كتابه الملكية والحقوق العينية الطبعة الثانية المنشورة فى سنة ١٩٢٨ فى تعريف المال : المال لغة كل ما يقتنى ويملك من الأعيان » وكان فى الأصل خاصا بالذهب والفضة ، ثم أطــلق على كل ما ينتفع به وقانونا هــو كل شيء نافع للانسان يصح أن يستأثر به دون غيره،وبعبارة أخرى يملــكه، وعرف فى الشريعة الغراء بأنه ما يمكن إدخاره لوقت الحاجة . . .وكانت الأموال بادى الأمر قاصرة على الأشياء المادية،سواء كانت منقولة أو ثابتة ولــكنها أصبحت الآن تشمل أيضا كل ماكون جزءا من الثروة وأمكن تملكه لمصلحة فرد أو جماعة،فتشمل المنازل والأراضى وأثاث المنزل والإيرادات وحقوق الارتفاق والانتفاع وحقوق المؤلفين وشهادات الاختراع وغيرها ، أى أنها الآن تطلق أيضا على الأشياء غير المادية . . . ويجب عدم الخلط بين المال والشيء لأن المال شيء وليس كل شيء مالا . . . .

ولينرد تأملنا فيما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى فى مؤلفه (عقد الإيجار المنشور فى سنة ١٩٢٩) فى صدد تحديد الأجرة : أما عن الأجرة فيجب

أن يقوم تحديدها على أساس التضامن اللازم بين رأس المال والعمل بحيث لايجحف أحدهما بالآخر فكلا العاملين ضرورى للإنتاج، ومستأجر الأرض الزراعية مثلا لايجنى محصولا من غير مواتاة الأرض له والأرض لا تواتى إلا بالعمل فاذا أريد تحديد الأجر الذى يوفيه المستأجر للمؤجر، وجب أن يراعى فى ذلك تحقيق المساواه بين هذين العاملين، فاذا كان ربح تشاطره الفريقان وإن كانت خسارة أصابتهما معا. غير أن للمسألة وجها آخر، وذلك أن المالك إذا أجر ملكه، فليس ذلك بنية أن يكون شريكا للمستأجر يشاطره الربح والخسارة، وهو لو أراد ذلك لوجد السبيل إليه فى عقد الشركة أوفى عقد المزارعة وإنما يريد أن يضمن لنفسه ربحا ثابتا يأخذه من المستأجر ويتركه وشأنه له الربح وعليه الخسارة. وهذا مطلب مشروع لا يجوز أن يمنع منه المؤجر».

وإذا ما تناولنا مؤلف الأستاذ أحمد أمين فى (شرح قانون العقوبات المصرى — القسم الخاص — الطبعة الثانية المنشورة فى سنة ١٩٢٤) وجدناه يعرف الرشوة بقوله « الرشوة إتفاق على جعل أو فائدة مقابل أداء عمل أو الامتناع عن عمل يدخل فى وظيفة المرتشى أو مأموريته» ويعقب على هذا التعريف بقوله: « إذا ذكرت الرشوة انصرف الذهن إلى موظف عمومى يتجر بوظيفته وما يتصل بها من عمل وسلطة ذلك هو الأصل ومن أجله سبق حكم المادة ١٠٣ ولكن الشارع المصرى خرج على هذا الأصل فى المادة ١٠٤ عقوبات، فأدخل فى حكم المرتشين أشخاصا ليسوا بالموظفين العمومين ولكنه اعتبرهم كذلك ليجرى عليهم أحكام الرشوة» أفبعد هذا دقة وبيان ووضوح.

ثم تراه، فى الباب الخاص، بالجنح التى تقع بواسطة الصحف وغيرها، أو الجرائم القولية والكتابية، يبدأ الكلام بقوله: «من الحقوق المعترف بها للأفراد حرية الفكر، أى أن يكون لكل إنسان الحق فى أن يفكر كما يشاء وأن يجاهر بفكره ورأيه قولا وكتابة وحرية الفكر تستتبع حتما حرية الخطابة وحرية الكتابة، وفى ضمنها حرية الصحافة غير أن هذا الحق مقيد كسائر الحقوق الشخصية، فلا يجوز استخدامه للإضرار بالمصلحة العامة أو بحقوق الأفراد الآخرين، ومن أجل ذلك عنيت الحكومات ببيان الحدود التى يباح فيها استعمال هذا الحق ووضعت الجزاءات لمن يتجاوز تلك الحدود» هذا الكلام الفقهى قبل ونشر فى مصر قبل ما يزيد على نصف قرن من الزمان نتأمل. . ! !

ونصل بعد ما تقدم إلى مؤلف كتب، فى أواخر المرحلة الأولى من مراحل لغة فقه القانون فى فرع من فروع القانون عسير بالنظر إلى الخلاف فى موضوعه ومصادره وطبيعة قواعده مما يحتاج إلى دقة فى الفهم وترو فى إبداء الرأى ووضوح فى العرض ويسر فى الأسلوب هذا المؤلف هو كتاب (القانون الدولى الخاص المصرى والمقارن المنشور فى سنة ١٩٢٨) لصاحبه الأستاذ الدكتور على الزينى ويكفى لبيان قدر هذا الفقيه فى الموضوع وفى لغة القانون أن نورد عبارة جاءت فى كتابه بصدد مسألة « بيان طبيعة قواعد القانون الدولى الخاص وتأثير تطبيقها على موضوع القضية» ونص هذه العبارة هو : « تختلف قواعد القانون الدولى الخاص فى طبيعتها وتأثير تطبيقها اختلافا بينا عن القواعد التى يحكم بها فى القضايا الوطنية ، ويظهر هذا الاختلاف أولا ، فى كون الأولى خلافا للثانية ليس من شأنها إذا طبقت أن يكون الحكم بها فاصلا فى موضوع القضية ولا تنتهى مهمة القاضى بمجرد تطبيقها بل تبتدىء وذلك — وهذا هو وجه الخلاف الثانى — لأنها قواعد إرشاد وليس قواعد حكم كالثانية ، لأنها ترمى إلى بيان حدود اختصاص القاضى بنظر القضايا ذات العنصر الأجنبى أو إلى تعيين القانون الذى يجب عليه أن يبحث فيه عن الحـــل الذى يقضى به ليكون حكمه فاصلا فى موضوع القضية بشكل تنتهى معه الخصومة .

وبعد فانى لم أقصد بذكر هؤلاء الفقهاء دون غيرهم ممن عاصرهم غض الطرف عن هؤلاء، ففقهاء هذه المرحلة أسهموا جميعا فى إنشاء لغة الفقه، وإنما قصدت إلى الاكتفاء بذكر بعضهم بوصفهم نماذج تعبر عنهم جميعا.

ولقد كانت السمة السائدة للغة فى هـــذه المرحلة الأولى مرحلة التكوين هى اتباع الطريقة المقارنة فى الدراسة، وهى مقارنة تناولت عادة القانون الأهـــلى والقانون المختـــلط والقانون الفرنسى، وكذلك الشريعة الإسلامية حيثما كان النظام القانونى الوارد فى هذين القانونين له ما يقابله فى هذه الشريعة.

وقد عنى فقهاء هذه المرحلة بوضع المصطلح القانونى الفرنسى بجانب المصطلح القانونى العربى، وكان من شأن ذلك تيسير الرجوع إلى المراجع القانونية الفرنسية، فقهية كانت أو قضائية ، وكذلك تيسير الدراسة العليا للراغبين فيها وقد هجر فقهاء المرحلة الثالثة هذه الطريقة فأصبح استئناس خريجها بالمراجع الأجنبـــية عسيرا عليهم، وتعثرت الدراسات العلـــيا على الساعين إليها فى مصر أو فى الخارج، وبخاصة بالنظر إلى ضعفهم فى اللغات الأجنبية بعامة، وإنه وإن كان الفقه المصرى قـــد بلغ من الثراء ما يكفى لمعاونة القضاة فى تطبيق القانون ومعاونة المحـــامين وغيرهم من رجال القانون فى تفهم القانون المصرى وأداء واجباتهم، إلا أنه مما لا شك فيه أن معرفة لغة أجنبـــية لا تزال ضرورة

للتفقه فى القانون، وبخاصة للدراسات العليا بل أنه مما لا شك فيه أيضا أن معرفه أكثر من لغة أجنبية أصبحت ضرورة للباحث فى مختلف فروع المعرفة، فالتقدم العلمى يجرى حثيثا، والتسابق فيه أصبح ظاهرة من ظواهر العصر الذى نعيش فيه والعلماء، فى أى بلد إن وقفوا حبيسى حدود وطنهم، امتنع عليهم متابعة التقدم العلمى وفاتهم موجته وانعزلوا عن جهود زملائهم فى الخارج ولقد أصبحت معرفة لغة أجنبية أو أكثر ظاهرة عامة عند المشتغلين بالعلم فى مختلف بلاد العالم.

كذلك كان فقهاء القانون الوضعى فى هذه المرحلة الأولى قراء للمتنوع من كتب التراث بما ضمته من أدب أو لغة أو فقه إسلامى، مما أحدث أثرا واضحا فى لغة فقه القانون الوضعى التى بنوها فجاءت هذه اللغة منتقاة اللفظ دقيقة التعبير رفعية الأسلوب

وإذا ما انتقلنا إلى المرحلة الثانية فى حياة لغة الفقه، التى أطلقنا عليها «مرحلة الازدهار» لوجدناها تشمل المدة من أول الثلاثينيات حتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين وقد شارك فى هذه المرحلة عدد من فقهاء المرحلة الأولى ممن أطال الله عمرهم وفريق نشأ وتكون خلال هذه المدة وقد تلفت هذا الفريق إلى الوراء فوجدوا فقه القانون لغة وموضوعا ماضيا غنيا تليدا يتجه إلى أعلى، فافادوا منه غذاء فكريا دسما ونظروا إلى المستقبل تحدوهم الرغبة والإرادة فى أن يضيفوا إلى ما ورثوه جديدا حتى يستمر الخط البيانى فى الاتجاه إلى الأعلى. ولقد حملوا عبء شرح ما صدر من تقنينات جديدة فى هذه المرحلة (التقنين المدنى الصادر فى سنة ١٩٤٨ وتقنين المرافعات الصادر فى سنة ١٩٤٩ وتقنين الإجراءات الجنائية الصادر فى سنة ١٩٥٠) وكذلك بذل المزيد من العناية بفروع من القانون أو بموضوعات من موضوعات فروعه زادت أهميتها فى تطور مختلف العلاقات القانونية والاقتصادية، سواء من الوجهة الداخلية أو من الوجهة الدولية، مثل القانون الدولى الخاص والقانون البحرى والقانون الجوى، وشركات المساهمة وعلاقة العمل والمنظمات الدولية والعقود الدولية والتحكيم الدولى فى مواد القانون الخاص.

وقد نهج فقهاء هذه المرحلة نهج أسلافهم فقهاء المرحلة الأولى من حيث الإفادة من دراسة القانون المقارن، والحفاظ على سلامة اللغة ودقة التعبير مع تخير اللفظ والعبارة، وكذلك الحفاظ، عند غالبيتهم، على وضع المصطلح الأجنبى بجوار المصطلح العربى. وزاد الإنتاج الفكرى فى الميدان القانونى كما وارتقى كيفا، سواء اتخذ صورة بحوث أو مؤلفات مطولة أو وسيطة أو موجزة. ولما واتت بعض البلاد العربية نهضة متطلعة، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، تناولت فيما تناولته الارتقاء بما هو كائن من جامعات

أو إنشاء جامعات جديدة ، وجدت هذه البلاد فى الفقة القانونى المصرى معينا غنيا فاض عليها ، وصار له أثره فى فقه القانون ولغة هذا الفقه فيها . فهذه المرحلة الثانيه فى لغة فقه القانون هى بحق مرحلة الازدهار .

وبانتهاء هذه المرحلة فى أوائل الخمسينيات بدأت المرحلة الثالثة القائمة حتى الآن ، مما أطلقنا عليها « مرحلة الارتخاء أو النكس » فى لغة الفقه . ولهذا الارتخاء أو النكس أسباب عديدة يتشابك بعضها بالبعض . فقد حشر الطلاب فى كليات الحقوق حشرا هو فى الأغلب على غير رغبة وعلى غير استعداد لدراسة القانون ، وتعثرت العملية التعليمية وانقطعت الصلة بين الأستاذ والطالب ، وضعف مستوى الخريجين عما كان عليه فيما مضى من الزمان ، حتى بالنسبة لغالبية الأوائل منهم . وكان لهذا الضعف أثره فى اختيار من يعدون للدخول فى هيئة التدريس فتغير مستوى أعضاء هذه الهيئة بصفة عامة ، فيما عدا نذر يسير منهم . وجرى البدار فى التأليف (مؤلفات وبحوث) لدوافع لا محل لذكرها ، وجاء أغلبه دروسا للطلاب ، بعيدا عن البحث العلمى العميق ، واستبعدت الإفادة من القانون المقارن ، وقل ، وأحيانا انعدم ، الاستئناس بالفقه الأجنبى (فى القوانين الأجنبية التى تعد من مصادر القانون المصرى) حتى عندما يكون ضرورة فى دراسة القانون الوضعى ، وأصبح التأليف الجديد ، بصفة عامة ، معتمدا على المؤلفات العربية التى نشرت فى المرحلتين السابقتين . وهجرت طريقة وضع المصطلح الأجنبى بجانب المصطلح العربى فتعثر الطلاب فى الدراسات العليا . وأخذت لغة الفقه فى الهبوط ، وشابتها أحيانا أخطاء لغوية صرف . وساعد على تضخم هذه المشكلة وجود تلك الموجة العارمة من التشريعات ، على الوجه السابق ذكره ، وإدخال بعضها فى مناهج الدراسة بكليات الحقوق ، فزاد عدد مواد الدراسة مما ترتب عليه المزيد من التأليف المتعجل الفطير .

ويمكن تلخيص ما آلت إليه لغة الفقه فى هذه المرحلة الثالثة على هذا الوجه : لغة متعجل فى كتابتها ، يشوبها أحيانا عدم الضبط والدقة فى التعبير عن المعنى ، مجردة أحيانا من العناية بانتقاء اللفظ والأسلوب مع عدم خلوها من الأخطاء اللغوية . ولقد أصبحت هذه الأمور سمات عامة فى لغة الفقه . ومع ذلك فلا تزال الدنيا بخير فقد نشرت فى هذه المرحلة مؤلفات بعض فقهاء المرحلتين الأولى والثانية أو أعيد نشرها . كما نشرت خلالها مؤلفات لبعض فقهائها ذات مستوى رفيع أو مقبول ، مجردة من العيوب التى شابت لغة الفقه فى هذه الحقبة من الزمان .

وهذا الذى نقوله ينبغى أن لا يدعو إلى التشاؤم واليأس . وإنما هو تنبيه إلى واقع معيب ، نقصد به إلى الحفز على النهوض بلغة الفقه من جديد . فهذه اللغة ، شأنها

شأن مختلف جوانب حضارة أية أمة من الأمم ، تضيء وتخبو ثم تضيء ، تعلو وتهبط ثم تعلو من جديد .

ثالثا ـ لغة القضاء :

وإذا كان ما تقدم هو حال لغة الفقه فما حال لغة القضاء ؟

يوجد خلاف بين القضاء والفقه ، يترتب عليه اختلاف بين لغة الواحد منهما ولغة الآخر . فيقول الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى : « الفقه هو استنباط الأحكام القانونية من مصادرها بالطرق العلمية . والقضاء هو تطبيق الأحكام القانونية على الأقضية التى ترفع إلى المحاكم . الفقه هو المظهر العلمى للقانون والقضاء هو المظهر العملى . . . ولكل من الفقه والقضاء مزايا وعيوب فمزيه الفقه هى نظرة إلى الروابط الاجتماعية نظرة واسعة شاملة فلا يضيق بخصوصية ولا يقف عند منعرج ، بل يسير قدما إلى الأمام ، يتمشى مع التطور ويسابق الزمن . . . ولكن عيب الفقه أنه كثيرا ما ينصرف عن الحياة العملية ، وهو فى سعيه إلى العموميات يبتعد عما فى الحياة من ملابسات وظروف خاصة فى كل قضية من أقضيتها . ومزية القضاء أنه دائم الاتصال بالحياة العملية ، يستمد قواعده منها ، ويحرر القانون بحيث يجعله يتمشى مع تطوراتها . ولكن عيبة نظرة ضيقة لا تحاط إلا بما حولها ، ولا تمتد إلى ما وراء ذلك ، وشيء من البطء فى التطور يتفق مع نزعة محافظة القضاء . . . ونرى من ذلك أن للفقه مزايا ليست للقضاء ، وأن للقضاء مزايا ليست للفقه ، وأن عيب كل منهما هو فقده لمزايا الآخر ، فهما يكملان بعضهما بعضا . . . وخير النظم القانونية هـو النظام الذى ينطوى على مزاج موفق من الفقه والقضاء . . . » .

ولما كان عمل القضاء هو تطبيق القانون ،وكان مظهر هذا التطبيق هو ما يصدره من أحكام ، كانت لغة القضاء هى لغة هـذه الأحكام . وهى تتصف ، بجانب السمات العامة للغة القانون الوضعى ، بصفات خاصة تميزها من لغات التشريع والفقه والمحاماه وتشتق هذه الصفات من طبيعة عمل القاضى ، الذى أحسن بيانه الأستاذ زكى عريبى المحامى (فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) فى قوله : « الأحكام أداة توزيع العدالة ؛ فهى عنوان الحقيقة . . . والحكم تقرير للحقيقة كما استطاع أن يراها القاضى عـلى ضوء عناصر الدعوى ومرافعات الخصوم . . وعمل القاضى عمل حكيم هادىء يتحسس مكان النصفة فيدل عليه . . . والقاضى قبل كل شيء ناقـد . والنقد يتطلب قـدرة على فهم الرأى المعروض ثم قوة على تحليله ورده إلى عناصره الأولية ، ثم صحة نظر

وسلامة تقدير يستطيع بهما الوقوف على الحقيقة وسط بحر زاخر من الآراء المتناقضة ، وقد ينطوى كل منها على بعض الوجاهة . . . على أن مهمة القاضى وقد أصاب المحز لا تنتهى باصابته ، إذ عليه بعد ذلك أن يؤيد حكمه بقلمه ، فتكون أسباب حكمه مقنعة . وليس الإقناع فى مكنتها إلا أن يكون كاتبها من المقدرة بحيث يستطيع أن يعالج بقلمه القضية من جميع نواحيها . يبين وقائعها بجلاء ويستعرض مختلف الآراء فيها بدقة وإيجاز . يناهض ما يرى مناهضته ويؤيد ما يرى تأييده . ثم يقف عند الرأى الذى يعتقد صحته موقفا له قوته وله جلاله . تلك هى مهمة القاضى ككاتب . وليس يستسهلها إلا جاهل بأعباء الكتابة ومشاقها » .

ثم يضيف الأستاذ زكى عريبى إلى ذلك قوله : « لكل قلم قوته ، ولكل كاتب طريقته فمن العبث أن نضع قواعد مطلقة لصياغة الأحكام . الأمر قبل كل شىء حسن ذوق وحسن تصرف . ولكن للغة الأحكام مع ذلك مميزات يجب التنويه بها ، وهى حسن اختيار اللفظ ودقة الأداء ، والابتعاد عن التعمل والتزيد ، والحرص على الوقار إذ يكره فى لغة الأحكام العنف والشدة وجموح العاطفة ، فالقضاء بطبعه وبالمهمة السامية التى يؤديها . . . » .

وإذا ما رجعنا إلى تاريخ لغة القضاء فى مصر قبل إنشاء المحاكم الأهلية فى سنة ١٨٨٣ لوجدنا لغة الأحكام التى كانت تصدر من مجالس الأحكام ومجالس التجار (السابقة الإشارة إليها) مشوبة بالعجمة وضآلة التعبير وركاكة الأسلوب . ثم بذل قضاة هذه المحاكم جهودا فى تخليص لغة الأحكام من هذه العيوب ، وهى جهود وضحت ثمارها منذ سنة ١٨٩٠ تقريبا ، حين استقامت لغة القضاء وأخذت فى اكتساب صفاتها المميزة السابق ذكرها ، واستمرت ترتقى صعدا على مر الزمان .

ولو شئت أن نورد لك أمثلة للغة القضاء منذ ذلك التاريخ البعيد لوجدنا الكثير . خذ حكم ٧ فبراير سنة ١٨٩٥ الذى صدر من محكمة استئناف مصر الأهلية (دائرة أحمد بك عفيفى ومستر كوريت وسعد بك زغلول « الزعيم السياسى فيما بعد ») وقد جاء به « وحيث إن الزعم بوجود صالح أو حق لشخص أجنبى فى العين المتنازع فيها لا يغير اختصاص المحاكم الأهلية بنظر لخصومة المرفوعة بها ما دام الخصوم من رعايا الحكومة المحلية (أى من المصريين) ، حتى ولا يغير أيضا هذا الاختصاص تغير صفة الخصوم بعد رفع الدعوى ، بمعنى أنه إذا انتقلت تبعية أحد الخصوم من رعايا الحكومة المحلية إلى متبوعية دولة أجنبية أو انتماء لها فلا تخرج

الدعوى عن اختصاص المحكمة الأهلية المنظورة أمامها قبل حدوث هذا التغير ما دام أنها مختصة بنظر موضوعها » .

وتأمل حكما صدر من المحكمة نفسها فى السنة ذاتها (دائرة حامد محمود وقاسم أمين ومسيو دى هيلتس) جاء به : « . . . وحيث إن القاضى بتخطيه هذه الحدود (أى حدود اختصاصه) صار عديم الصفة فى الفصل وأصبح كأنه فى بلد أجنبى . ومتى أنعدمت صفة المحكمة فى الفصل لا تكون أحكامها أحكاما ولا قضاتها قضاة ، وإنما يكونون كأفراد فصلوا فيما رفع إليهم وصاغوا فصلهم فى قالب الأحكام . وإن كان ذلك فى استطاعتهم فليس فى وسعهم أن يمنحوها من عند ياتهم ما هدفه الشارع من القوة . . . »

وخذ حكم المحكمة ذاتها الذى صدر فى ٤ مايو سنة ١٨٩٩ (دائرة سعد زغلول ومسيو دو هيلتس ومستر كولحن) ، وقد جاء به : « . . . وحيث إن الوكالة بلا مقابل ليست كغيرها من العلاقات التى ترتبط بتبادل المنافع وتجعل كل طرف خصما للآخر فى منفعته ، وإنما هى علاقة مبنى ايجابها الثقة ، وموجب قبولها النجدة ، وموضوعها معونة الموكل ، ومقتضاها تبادل الإخلاص بين طرفيها وتعاونهما بالصدق على الوفاء بما ينشأ عنها من التعهدات . . . » .

وأضف إلى ذلك حكم المحكمة ذاتها الذى صدر فى ١١ مارس سنة ١٩٠٦ (دائرة سعد زغلول ومستر التون ومستر ساتو) ، وقد جاء به : « . . . وحيث إن الحكم بالشفعة للشفيع ليس عبارة إلا عن تقرير صحة الطلب ، فهو من الأحكام المبينة للحقوق لا المنشئة لها خلافا لما قدره قضاة أول درجة . وحيث أنه بناء على ذلك لا يعتبر بيع العقار المشفوع فيه بعد طلب الشفعة وقبل القضاء فيه من قبيل بيع الآمال ولا بيع ما لا يملكه الإنسان بل هو من قبيل بيع الحقوق المتنازع فيها ، وهذا جائز بلا خلاف . وحيث انه مع ذلك فان بيع الأمل، أى الشيء الذى يأمل الإنسان امتلاكه فى المستقبل جائز إلا فى بعض المستثنيات ، ومتى تحقق الأمل نفذ البيع . . . » . وصدر من هذه الدائرة حكم آخر فى ١٨ مارس سنة ١٩٠٦ جاء به : « . . . أن المباحث التى يجريها رجال الإدارة والإقرارات التى تحصل أمامهم من أحد الخصوم والتحقيقات التى يعملها الخبراء المعينون بحكم المحاكم ، لا يمكن أن تكون بمقتضى المبادىء القانونية حجة يحتج لها أمام القضاء ، ولا يصح أن يترتب عليها بنوع أصلى حق لخصم على آخر ، إنما يجوز الاستعانة بها لتقوية أدلة تقدم للمحاكم بالطريقة القانونية » .

هذا طراز للغة الأحكام ، أو لغة القضاء ، فى آخر القرن الماضى ومستهل القرن العشرين ، بناها رجال آمنوا بقدسية عملهم فقاموا بتفسير القانون وتطبيقه بأناة ودقة تقدير ، وصاغوا أحكامهم فى قوالب سليمة دقيقة متخيرة الأسلوب . وربما ساعدهم على ذلك نهضة واتت اللغة العربية بعامة وامتدت إلى اللغات العلمية بخاصة . وقد مضى رقى لغة القضاء ، بعد ذلك ، فى طريقه غير وان ولا متردد . وساير سمو الأسلوب نضج الفكره وغمر سيل هذه النهضة درجات القضاء كلها : محاكم الدرجة الأولى من جزئية وكلية ، ومحاكم الدرجة الثانية . واستمر الحال كذلك حتى أنشئت محكمة النقض فى سنة ١٩٣١ لتكون المحكمة العليا المشرفة على صحة تطبيق القانون أمام جميع المحاكم الأهلية ، يلجأ إليها بطريق الطعن فى الأحكام الانتهائية بسبب مخالفتها للقانون أو خطئها فى تطبيقه أو تأويله ، وتكون مهمتها هى تقويم ما يقع من المحاكم من شذوذ فى تطبيق القوانين وتقرير القواعد القانونية الصحيحة فيما يختلف فيه من المسائل وتثبيت القضاء بشأنها . وقد اختير لأول تأليف لهذه المحكمة رجال قانون أفذاذ ، على رأسهم الفقيه الكبير شيخ القضاة عبد العزيز فهمى ، فأقامت المحكمة قضاء رفيع المستوى يهدى إلى الصواب فى فهم القانون وتفسيره ، وطبعت لغة الأحكام بطابع جليل ممتاز ، جمع إلى دقة الأداء رشاقة اللفظ وجمال الأسلوب . ولقد وصف الأستاذ زكى عريبى المحامى (فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) لغة الأحكام فى قضاء محكمة النقض خير وصف ، بقوله : « حدث ولا حرج عن أحكام محكمة النقض فى عهدها الحاضر . أرجع إلى أى حكم تقع عليه يدك من أحكام دائرتها ، أقرأ ما شئت بلا تمييز تقرأ أدبا عاليا قد أسبغ على قضاء المحكمة العليا ما كان يجب له من روعة وجلال . لسنا نحاول هنا تحليلا لهذه الناحية من أدب العصر . ولكن من ذا يملك أن يمر دون أن يقف وقفة إعجاب وطرب على مثل هذا القول لمحكمة النقض ترسم به حدود حرية النقد : (. . . وبما أن ما ذهب إليه الحكم المطعون فيه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية والأساليب التخيلية وألفاظ التهويل المبالغة والتحذير والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق فى الشئون التى ليس من المستطاع حمل المناظر على تصديقها بالطرق البرهانية الهادئة . هذا الرأى لا تجيزه محكمة النقض والابرام بل إنها تصرح بأن فيه خطرا على كرامة الناس وطمأنينتهم وتشجيعا للبذاءة ودنس الشتائم . والحقيقة ليست بنت التهويل والتشهير والمبالغة والترهيب ، بل بنت البحث الهادىء والجدل الكريم . وإذا كان لحسن الهيئة مظهر ناطق فانه الأدب فى المناظرة والصدق فى المساجلة . . .) . بل أنظر إلى لغة هذه العاطفة الجياشة تجلجل بحق الإنسان إذا عذبه إنسان ، لا فرق لدى حارسة القانون بين رجل ورجل (. . . وبما أن هذه المعاملة التى

أثبتت المحكمة أن المجنى عليه كان يعامل الطاعنين بما هى إجرام فى إجرام ، ومن وقائعها ما هـو جناية هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة ، وكلها من أشد المخازى إثارة للنفس واهتياجا لها ودفعا بها إلى الانتقام . ولو صح أن المأمور كان يطلب نوع الطاعنين بمركز البوليس كما يقول الشاهد الذى اعتمدت المحكمة شهادته وكان هذان الطاعنان يتخوفان من تكرار ارتكاب مثل هـذه المنكرات فى حقهما كما يقول وكيل أحدهما فى تقرير الأسباب وفى المرافعة الشفهية ، فلا شك أن مثلهما ، الذى أوذى وأهتيج ظلما وطغيانا ، والذى ينتظر أن يتجدد إيقاع هـذا الأذى الفظيع به — لا شك أنه إذا اتجهت نفسه إلى قتل معذبه فانها تتجه إلى هذا الجرم موتورة مما كان ، منزعجة واجمة مما سيكون . والنفس الموتورة المنزعجة هى هائجة أبداً ، لا يدع انزعاجها سبيلا إلى التبصر والسكون حتى يحكم العقل ، هادئا متزنا مترويا ، فيما تتجه إليه الإرادة من الأغراض الإجرامية التى تتخيلها قاطعة لشقائها . ولا شك ، بناء على هذا ، أن لا محل للقول بسبق الإصرار إذ هذا الظرف يستلزم أن يكون لدى الجانى من الفرصة ما يسمح له بالتروى والتفكير المطمئن فيما هو مقدم عليه) .

ولا شك أن الثروة التى أثمرتها محكمة النقض ، خلال الثلاثين سنة الأولى من عمرها ، سواء من حيث المبادىء القانونية أو من حيث لغة الأحكام ، لتعتبر جزءا من الثروة القومية فى الميدان القانونى . وهى بعد لا تزال هـدى ونورا لمن تولوا القضاء فى هذه المحكمة ، بعد هـذه الحقبة من الزمان ، وكذلك لمن تولوا القضاء فى غيرها من المحاكم .

وإذا كان إنشاء محكمة النقض فى سنة ١٩٣١ حدثا هاما فى تاريخ القضاء المصرى ، فثمة حدث آخر فى هـذا التاريخ له أهميته من وجهة نظر أخرى . هذا الحدث هو إنشاء مجلس الدولة فى سنة ١٩٤٦ ليكون دارا للافتاء والتشريع والقضاء . وإذا كان دور هـذا المجلس فى الإفتاء والتشريع ليس جديدا فى الميدان القانونى ، إذ كانت تقوم به إدارة قضايا الحكومة من زمن بعيد ، على ما سبق بيانه ، فان دور المجلس فى القضاء هو الجديد كل الجدة والخطير كل الخطورة . ذلك أن القضاء العادى كان محظورا عليه طبقا للوائح المنظمة له (المادة ١٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية) النظر فى طلب إلغاء القرارات الإدارية المخالفة للقوانين واللوائح ، وإن كان مختصا بطلب التعويض عن الضرر المترتب على هذه القرارات . وكان خلو النظام القضائى المصرى من قضاء له ولاية إلغاء القرارات الإدارية نقصا فيه ، سده المشرع بانشاء القسم القضائى فى مجلس الدولة

والذى أصبح طبقا لقانون المجلس المعمول به الآن (قانون سنة ١٩٧٢) يضم المحكمة الإدارية العليا ومحكمة القضاء الإدارى والمحاكم الإدارية والمحاكم التأديبية . ويطلق على الوظيفة القضائية التى يمارسها مجلس الدولة « القضاء الإدارى » ، بالمقابلة « للقضاء العادى » ، أى القضاء الذى تمارسه المحاكم المدنية والجنائية . ولعل أبرز ما يتولاه القضاء الإدارى هو « قضاء الإلغاء » ، أى إلغاء القرارات الإدارية النهائية المخالفة للقانون ، بمعنى عام . وكانت ممارسة هذا القضاء أمرا جديدا فى ميدان القضاء المصرى ، شعر بأهميته الرعيل الأول من رجال المجلس ، وكان كثير منهم قد اختيروا من بين رجـال القضاء العادى ، وهى أهمية مرجعها حمل عبء التفرقة بين عمل السيادة وعمل الإدارة ، وبيان متى يكون القرار الإدارى معيـبا من حيث الاختصاص أو الشكل أو مخالفة القوانين أو اللوائح أو الخطأ فى تطبيقها أو تأويلها أو إساءة استعمال السلطة . وهذه أمور تستدعى الدقة فى تحـديد المعنى والدقة فى التعبير عنه ، ومن هنا تتضح أهمية لغة الأحكام أو لغة القضاء . ولقد بناها الجيل الأول من قضاة مجلس الدولة بحذق وإحكام فى أسلوب رصين شيق .

ونورد هنا أمثلة للغة القضاء عند القضاء الإدارى : خذ حكم محكمة القضاء الإدارى (الذى صدر فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧) ، وقد جاء به : « . . . لا وجه للدفع بأن منح الترخيص فى الاستيراد أو رفضه من إطلاقات الإدارة التى تترخص فى تقديرها بلا معقب عليها من محكمة القضاء الإدارى ، ما دام المدعى يستـند فى طلب إلغاء قرارات الحكومة بشأن عـدم الترخيص فى استيراد تقاوى البطاطس إلى أنها مشوبة بإساءة استعمال السلطة ، وهو سبب يسوغ إلغاء أى قرار إدارى مهما كانت صفته ، وسواء أكان من الإطلاقات أم من غيرها » .

وتأمل حكم المحكمة ذاتها (الصادر فى ٤ فبراير سنة ١٩٥٠) وقد جاء به : « أن أعمال السيادة ما هى إلا الأعمال التى تتصل بالسياسة العليا للدولة والإجراءات التى تتخذها الحكومة بما لهـا من السلطة العليا للمحافظة على سيادة الدولة وكيانها فى الداخل والخارج . ولا جدال فى أن الجنسية ، وهى العلاقة بين الفرد والدولة ، تدخل فى صميم المسائل المتعلقة بسيادة الدولة التى لها مطلق السلطان فى تعيين من يكون متمتعا بجنسيتها ومن لا يكون ، وفى فرض ما تشاء من القيود والتكاليف على مواطنيها . وبديهى أن الدولة حين تسن تشريعا ينظم الجنسية ويعرف كنهها ويحدد شرائطها ويرسم الإجراءات اللازمة لإثباتها أو

الحصول عليها لا تنزل عن سيادتها لأنه منبعث وصادر عنها ويتعين احترامه وتنفيذه، ومن واجب المحاكم تطبيقه. وليس في ذلك أي مساس بسيادة الدولة. وما تصدره الحكومة من قرارات تنفيذا لهذا التشريع يندرج تحت أعمال الحكومة (يقصد أعمال الإدارة) ولا يعتبر من الأعمال المتعلقة بالسياسة العليا للدولة. والقرار المطعون فيه لا يعدو أن يكون من القرارات الإدارية المتعلقة بتنفيذ قانون الجنسية، ولهذا فهو بعيد عن أعمال السيادة . . . » .

وأنظر حكم المحكمة الإدارية العليا (الصادر في ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣) الذي تقيم فيه التفرقة بين القرار الإداري والعقد الإداري والعقد المدني، وقد جاء به: « إذا كان القرار الإداري هو عمل قانوني غير تعاقدي يصدر عن إرادة منفردة من جانب إحدى السلطات الإدارية ويحدث بذاته آثارا قانونية معينة متى كان ذلك ممكنا وجائزا قانونا، فان العقد الإداري شأنه شأن العقد المدني من حيث العناصر الأساسية لتكوينه، لا يعدو أن يكون توافق إرادتين بايجاب وقبول لإنشاء إلتزامات تعاقدية تقوم على التراضي بين طرفين أحدهما هو الدولة أو أحد الأشخاص الإدارية، بيد أنه يتميز بأن الإدارة تعمل في إبرامها له بوصفها سلطة عامة تتمتع بحقوق والتزامات لا يتمتع بمثلها المتعاقد معها، وذلك بقصد تحقيق نفع عام أو مصلحة مرفق من المرافق العامة. كما أنه يفترق عن العقد المدني في كون الشخص المعنوي العام يعتمد في إبرامه وتنفيذه على أساليب القانون العام ووسائله، أما بتضمينه شروطا استثنائية غير مألوفة في عقود القانون الخاص، سواء كانت هذه الشروط واردة في ذات العقد أو مقررة بمقتضى القوانين واللوائح، أو بمنح المتعاقد مع الإدارة فيه حقوقا لا مقابل لها في روابط القانون الخاص بسبب كونه لا يعمل لمصلحة فردية بل يعاون السلطة الإدارية ويشترك معها في إدارة المرفق العام أو تسييره أو استغلاله تحقيقا لنفع عام: فبينما مصالح الطرفين في العقد المدني متساوية ومتوازنة، إذا بكفتي المتعاقدين غير متكافئة في العقد الإداري تغليبا للمصلحة العامة على المصلحة الفردية ».

ولغة الأحكام، أو لغة القضاء، التي نشأت وارتقت (لدى القضاء العادي أول الأمر ثم لدى القضاء الإداري) خلال الستين عاما الأولى من القرن الذي نعيش فيه، قال في شأنها أحد كبار رجال القانون في سنة ١٩٣٣ (الأستاذ زكي عريبي المحامي في الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية) ما نصه: والآن، وقد استدبرنا حياة لغتنا القضائية كما كانت واستعرضنا بعض الأدلة على نهضة حالية لا تنكر، نود لو استطعنا أن نزيح طرفا من سجف المستقبل فنطل على ما بعده الزمن لهذه اللغة الكريمة العزيزة. كأني بها وقد راق لها الجو وانبسط أمامها

ميدان العمل فسيحا غير محدود . كأنى بها وقد استولت على مشاعر جيل جديد ممن فى الأدب وثقافة العصر فراح يفكر بها ويكتب ويؤلف . وكأنى بهذا الجيل وقد ضرب بسهم فى جهود البشرية نحو الكمال . وكأنى بمصر وقد وقفت على قدميها فى طليعة العالم العربى تبادل الغرب ثقافته بثقافة تقارضه علما بعلم لست بحالم إنى أرى هذا اليوم روية العين . . . » .

ولقد تحققت نبوءة هذا القانونى الكبير خلال ما يقرب من الثلاثين عاما منذ تاريخ كتابة كلمته هذه . ولكن يبدو أنها قد أخذت تخبو خلال العشرين سنة الأخيرة . فأصبحنا نصادف من الأحكام ما لا ترقى لغتها إلى المستوى السابق المزدهر . وربما كان السبب فى ذلك زحمة الحياة وزيادة الأعباء على القضاة على نحو يضيق فيه الوقت بتخير لغة الأحكام . ما حيلة القضاة ما دام جدول قضايا الجلسة الواحدة يضم ما يجاوز المائة قضية فى كثير من الأحيان ، بعضها معقد بسبب ما يلجأ إليه بعض الخصوم من الكيد واللدد فى الخصومة . ومهما يكن من أمر فلا يزال القضاة يجتهدون فى الحرص على لغة الأحكام أكثر من اجتهاد رجال الفقه فى الحرص على لغة الفقه .

رابعا ــ لغة المحاماة :

تختلف صناعة المحاماة عن صناعة كل من التشريع والفقه والقضاء ، ولذلك فان لغتها وإن دخلت فى المعنى العام للغة القانون الوضعى واتصفت بسماتها ، إلا أن لها من السمات الخاصة ما يفرقها من لغة كل من التشريع والفقه والقضاء . ويقول الأستاذ أحمد فتحى زغلول فى مقدمة كتابه «المحاماة» (المنشور فى سنة ١٩٠٠) ما نصه : «حق الدفاع قديم وجد منذ وجدت الخصومة ، وهى من لوازم الإجتماع ولا بد فيها من الهجوم والدفاع ، وقد يختلط الأمر على طالب أحدهما فيركن إلى من يأتمنه فى حقوقه . وهذا يرشده برأيه ويعمل لنصرته ويدفع عنه مخاصمه . وقد وجد عند الأمم فى جميع الأزمان رجال تضلعوا من القانون وقصروا عملهم على مساعدة المتخاصمين بابداء المشورة لهم أو بالدفاع عنهم أمام القضاء ، وقد وجد هو أيضا مع وجود الأمم تبعا لوجود الخصومة ، فهو كذلك من لوازم الاجتماع »ويقول الأستاذ أحمد رشدى المحامى فى المحاماة أيضا (فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) : «لعل صناعة من صناعات البيان والمنطق لم تشغف الناس بالتحدث عنها والتطلع إليها وإلى أصحابها قدر ما تشغفهم بذلك صناعة المحاماه ،ولعل مرد هذا الشغف ما أقامته المحاماة بينها وبين الناس من صلة القربى ، فالمحاماه منذ كانت لم تقع من آمال الناس...وحاجاتهم موقعا بعيدا عن موقع النجدة فى الضيق والعون بما لا يستطيعون من وسيلة على ما يطلبون من غاية . . ثم يصف المرافعة بقوله : «ما هى المرافعة ؟أليست هى رسالة تؤديها عن صاحب الحق إلى من يملك إقرار الحق أو إنشاءه ؟إذن لا مناص من أن تتزود ــ لتبليغ هذه الرسالة ــ صدق اليقين

وقوة البرهان ، وأن ترى كيف تمهد سبيلها إلى الأسماع ثم إلى القلوب بلطف الأداء ورفق العبارة وحسن الخطاب . فالمرافعة ليست بذلك هي الفصاحة وحدها ، ولا هي العلم بالقانون وحده ، ولكنها ، قبل أن تكون غزارة علم وزخرف كلام ، يجب أن تكون حول الدعوى سياسة يقظة واستبصار ، وحول الدليل حذقا في الأداء ولياقة في إيراد الأمر وإصداره .

و الواقع من الأمر أن لغة المحاماة قد تكون شفوية فتسمى « المرافعة » وقد تكون كتابية فتسمى « المذكرة » وهي في الحالين « لغة دفاع » أو « لغة إقناع » . ويقول الأستاذ أحمد فتحى زغلول في المرافعة : « أساس المرافعة دقة البيان ، والمراد بها قوة الحجة ووضوح البرهان ، لا تزويق العبارة وزلاقة اللسان . وأخص صفاتها الوضوح والإيجاز . أما الوضوح فشرط مهم في المرافعة لأن السامعين ينساقون مع المتكلم عادة ، فان غاب عنهم مراده لخفاء المعنى أو تعقيد العبارة كان حكمهم عليه . ولن يفيد بعد ذلك ما يعود إليه من التوضيح والتفسير ، لأن بوادر الأفكار هي التي تعلق بالآذان فلا تمحى منها تماما . ومن الواجب أن تؤثر المرافعة في نفس القاضي وأن يكون لكل كلمة منها وقع عنده ، لأنها إذا فقدت هذه المزية انتفى الغرض المقصود منها وأصبح استعمالها خيالا باطلا . . . وأما الإيجاز فمن أكبر أركان المرافعات ، فينبغي للمتكلم أن يكون كلامه مع سامعيه كما يكون القارىء مع نفسه إن وجد منها فتورا أو مللا طوى الكتاب ليعود إليه متى انصلح فكره ،وإذا مر بموضوع لايهتم له كر عليه مسموعا ليصل إلى الأهم من الكتاب . وأن يلتفت إلى أن السامع ملزم بالإصغاء إلى ما يلقى عليه من الكلام فعلى المتكلم أن يجذبه إليه وأن لا يتعبه بما لا فائدة فيه من سقط الكلام وحشوه مما يخرج عن موضوع الخطاب . ولحسن الإصغاء حد ، فاذا تجاوزه المتكلم تولد في السامع الملل وصار القول فضلة أحسن القائل أو أساء » . ويضيف الأستاذ أحمد فتحى زغلول في شأن « المذكرة قوله من حسن الصناعة أن يلاحظ الكاتب المكتوب إليه وأن لا يغيب عنه أنه يعرض ماكتب على رجال تعلموا وتهذبوا وتفرغوا لأعمال وظيفتهم التي استنفدت أوقاتهم كلها ، فمن الحكمة أن يحفظ عليهم زمنهم وأن لا يقدم إليهم من الوقائع إلا على قدر الكفاية ولا من الأدلة إلا ماكان قاطعا في الخصومة مع الاقتصاد في الألفاظ » .

ولقد أجمل الأستاذ زكي عريبي صفات لغة المرافعة في احترام قواعد اللغة ، وكونها مطابقة لمقتضى الحال ، فللإسهاب منها مواضع وللإيجاز مواضع ، وكونها لغة حديث لا لغة كتابة ، وأنها لغة الناس بحيث يحوطها الاحترام الكلي للهيئة التي تجرى المرافعة أمامها ، وأنها في الوقت عينه لغة جرأة وعزة مع الاعتدال ، فليس أزرى بالمرافعات ولا أضيع لبهجتها ولا أفل لسلاحها من سفه لغتها .

ولقد صاحب إنشاء المحاكم الأهلية إنشاء لغة المحاماة ، وحمل هذا العبء عدد من الرواد ، أمثال الأساتذة حسين صقر واللقانى والباجورى وسعد زغلول وأبو شادى والهلباوى ، وجاء بعدهم ليكمل الرسالة فريق الأساتذة أحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومكرم عبيد ومرقس فهمى ووهيب دوس ومحمود أبو النصر ومصطفى مرعى. ولنضرب أمثلة للمستوى الرفيع الذى بلغته لغة المحاماة فى الربع الأول من القرن العشرين . من ذلك مرافعات أحد المحامين فى قضية اغتيال سياسى صدر الحكم فيها من محكمة الجنايات فى أبريل سنة ١٩١٠ . فقد جاء فى مرافعة الأستاذ أحمد لطفى عن المتهم قوله : « إعلم أيها الشاب (يقصد المتهم) أنه إذا تشدد معك قضاتك — ولا أخالهم إلا راحميك — فذلك لأنهم خدمة القانون وهذا هو السلاح المسلول فى يد العدالة والحرية وإذا لم ينصفوك . ولا أظنهم إلا منصفيك — فقد أنصفك ذلك العالم الذى يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبته بغية الإجرام ، ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك . وسواء وافق اعتقادك الحقيقة أو خالفها فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها . . وأن هناك حقيقة عرفها قضاتك وشهد بها الناس وهى أنك لست مجرما سفاكا للدماء، ولا فوضويا من مبادئه الفتك ببنى جنسه،ولا متعصبا دينيا خلته كراهية من يدين بغير دينه . إنما أنت مغرم ببلدك، هائم بوطنك ، فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى فان صورتك فى البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك ، وتقبل حكم قضاتك باطمئنان واذهب إلى مقرك بأمان . . . » .

وفى قضية سياسية أخرى صدر الحكم فيها من محكمة جنايات مصر فى مايو سنة ١٩٢٥ يقول الأستاذ إبراهيم الهلباوى فى مرافعته عن أحد المتهمين : « . . . معظم العلماء يميلون الآن ، أيضا فى أوروبا التى نتعلم عنها ، إلى نبذ عقوبة الإعدام . فاليكم ، ولو أنى أمام محكمة فى أمة صغيرة غير معروف للغرب أنها تعطى حكما وأمثلة للعدل — ولكن ليس للعدل وطن ولا للحكمة دار — إذا استطعت أن أقدم بين يديكم أن هذه العقوبة علاج خطير تنفر منه النفس إلا فى الأوقات الخطرة ، فانى أستطيع أن أقول صونوا الهيئة الاجتماعية من خطر هؤلاء السفهاء . انتفعوا من قوة هؤلاء الشبان فقد ينفعون إذا تابوا ، وقد تصلح المقادير من أمرهم ، خصوصا وأن عقوبة الجرائم السياسية مبنية دائما على خطأ فى التقدير . هؤلاء البغاة يذكرون أنهم ارتكبوا الجريمة بحسن نية . هم كالمجنون الذى يتوهم خوفه من البرىء فيقتله . فى عرفهم هو قصد الخير . أنا لا أطالب منكم أن تحترموا هذا ، وإنما وأنتم تزنون قدر العقوبة عليكم أن تزنوها بقدر فكر الجانى . أعفى القانون القاصر من عقوبة الإعدام لأنه عرف أنه لا يقدر تمام التقدير الظروف كلها . . . » .

وجاء فى مرافعة الأستاذ وهيب دوس عن المتهم نفسه فى القضية ذاتها : « فرض القانون فيما فرض ضمانا لحسن سياسة القضاء وإقامة العدل بين الناس — أن لا يتقدم متهم أمام هيكل

قضائكم دون أن يرافقه فى هذه المرحلة الأليمة محام يتولى الدفاع عنه — محام يشترك معكم فى شرف خدمة القانون ، ويرتفع عن أوساط المتهمين إلى الوسط الذى يفهم فيه معنى العدالة كما تفهمونه أنتم ، ويقدر أغراض الشارع التى وكل إليكم تحقيقها كما تقدرونها ، فيعرض عليكم المتهم كما يجب أن يعرض — بريئا أو مذنبا — ويصور لكم العواطف التى اجتاحت نفسه وعصفت بوجدانه فافقدته أسمى ما يتحلى به الإنسان فى إنسانيته، وأرقى ما يطمح فى السمو إليه من فضيلة الرفق والتضحية والتسامح التى لو سادت لما اجترم مجرم جرمه ، ولما قامت الحاجة لنظام القضاء . أوجب القانون هذا ، مع افتراض أن يكون بين هؤلاء المتهمين معترف أو متلبس بجريمته، دون أن يحرم هذا الفريق من هذه المساعدة ، أو يقلل من أهميتها بالنسبة له ، فكان قضاؤكم باطلا إذا لم يسترشد بدفاع المحامين الذين أصبحوا ركنا أساسيا فى القضاء الجنائى تسعى إلى تحقيق قيامه نفس السلطة التى تقيم الدعوى إذا قصر المتهم فى حق نفسه فلم يسع إليه أو حتى إذا رفضه هو رفضا باتا . . . » .

ومن مرافعة الأستاذ مكرم عبيد فى قضية فصلت فيها محكمة الجنايات فى إبريل سنة ١٩٢٦ ، نقتطف قوله : « لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تباين نزعاتهم وأهوائهم شديد اهتمامهم وكامن عواطفهم ، وهذا طبيعى لأن القضية سياسية . والسياسة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفة وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة . ولقد نتج من هذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت فى القضية أسباب الحق بالباطل ، والعدل بالظلم ، والصدق بالكذب ، حتى أصبحت مجمعا لكل تناقض ومضربا لكل مثل . غير أن القضية قد أثارت أيضا هواجس الناس ومخاوفهم ، وهذا غير طبيعى ، لأن القضايا يقصد منها أولا وقبل كل شىء الوصول إلى العدل ، والعدل تطمئن له النفوس ولا تجزع . ولكن الناس خافوا — وحق لهم أن يخافوا — لأنهم خشوا أن هذه القضية ذات الأهمية الاستثنائية قد يختل لها التوازن القانونى قبل أن تصل إلى حرمة القضاء ، فتجر إلى إجراءات استثنائية فى الإتهام والتحقيق ، ومن طبيعة الاستثناء أنه لا يعرف حدا ، لأنه لا يعرف قاعدة ، بل هو ضد كل قاعدة ، ولا يعبأ بعدل أو مساواة لأنه لا مساواة مع استثناء، ولا يخضع لضمان لأنه لا يرى ضمانا إلا فى هدم الضمانات . ثم أن الاستثناء هو الفكاك من كل قيد . ومن سوء حظ البشرية أن هناك نفوسا إذا لم تكبح تجمح ، وإذا لم ترعو لا تستحى . وهناك نفوس تجزع ونفوس تطمع . وهكذا فالاستثناء مهما تلطفنا فى تسميته ، هو الظلم بعينه لأنه يفتح الباب لكل شهوة ، ويتنافى مع كل مساواة . ولهذا قلت إن الناس قلقوا وأوجست نفوسهم خيفة ، لأن كل ظلم مهما كان فرديا فهو ظلم مزدوج ، ظلم واقع على الفرد ، وظلم يهدد المجموع ، فهو إذن فعل وتهديد وواقعة وسابقة . . . » .

على هـذا الوجه المتقدم بيانه نشأت لغة المحاماة وازدهرت ، واستمر ازدهارها جنة فيحاء حتى آخر الأربعينيات . والواقع من الأمر أن المحامين لم يقف نشاطهم ، خلال هذه الحقبة من الزمان ، عند حد القضايا الخاصة فى رحاب القضاء يطلبون فيه الحق والعدل ، بل أنهم شغلوا أنفسهم بالقضايا العامة ، قضايا الوطن من سياسية واجتماعية واقتصادية ، فى رحاب المصالح القومية ، يدافعون عن استقلال البلاد فى مواجهة المستعمر ، ويدافعون عن الحريات العامة فى مواجهة حكم متسلط ، ويطالبون بالأخذ بيد الفقراء الضعفاء ، وينبهون إلى ضرورة معالجة الوضع الاقتصادى للبلاد والتطويح بسيطرة الأجانب عليه . ولقد كان من بين المحامين قادة وشركاء فى العمل السياسى فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وفى الحياة النيابية بعد العمل بدستور سنة ١٩٢٣ ، وفى الحياة الصحفية ، وفى ميدان الشركات . ولم ينس المحامون ، مع كل ذلك ، عملهم الأصلى فى خدمة القانون ، فكان منهم فقهاء ، واختير منهم الكثير ليشغل مناصب القضاء من أولى مستوياته حتى العليا منها .

وقد جرى منذ أوائل الخمسينيات أن اهتزت لغة المحاماة . فقد قلت فى قاعات جلسات المحاكم المرافعات المدوية المجلجلة ، وأصاب لغتها ولغة المذكرات الهزال ، فى كثير من الأحيان ، ويمكن القول – دون مبالغة – أن الخط البيانى لمستوى لغة المحاماة أخذ ، ولا يزال يأخذ ، فى الاتجاه نزولا . وهذه ظاهرة التقينا بها فيما تقدم من عرض لنشأة وتطور لغة الفقه ولغة التشريع ، وكذلك فى لغة القضاء إلى حد ما .

* * *

خاتمـة :

وبعد ، فاننا إذا ما أردنا تقصى أسباب الارتقاء وأسباب نقيضه فى لغـة القانون ، بمختلف فروعها على ما سبق بيانه ، لوجدنا أن الذين بنوا هذه اللغة ونهضوا بها عاشوا زمانا مليئا بالتطلع إلى المعرفة والسعى إلى الحضارة والنهوض بالمجتمع . فمنذ أواخر القرن الماضى ، وفى خلال الثلث الأول تقريبا من القرن العشرين ، تعاقبت أجيال من الرجال تغذوا بالثقافة العربية ، ثم اغترفوا من الثقافة الأوروبية ، وهو أمر اقتضاه سيادة الحضارة الأوروبية فى كثير من جوانب العالم ، كما اقتضاه قيام علاقات بين مصر ودول أوروبا وبين المصريين ورعايا هذه الدول ، وكان أبرز هذه العلاقات علاقات مصر بالمستعمر . وبدا الاهتمام بمعرفة اللغات الأجنبية واضحا ، بجانب نهضة واتت اللغة العربية وآدابها . وكانت القراءة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة قبل دخول الإذاعة فى مصر فى أوائل الثلاثينيات ، وهى وسيلة أكثر عمقا ودقة . وكانت متطلبات الحياة أبسط وأيسر مما هى عليه الآن ، وكان المجتمع أكثر هدوءا واستقرارا مما هو عليه الآن . وكانت شعلة الوطنية ملهبة لإرادة التقدم والارتقاء .

وقد كان من شأن كل ذلك وجود أجيال من أفراد متعددى الثقافة متنوعى الاهتمامات فوجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس ، الأديب أو الشاعر أو الفنان ، أو العلم بشيء من الأدب أو الشعر أو الفن . ووجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس الملم بفرع أو أكثر من سائر العلوم الإجتماعية ، أو الإنسانية كما يسميها البعض . كعلم الاجتماع أو الفلسفة أو علم النفس . ووجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس المشتغل بالسياسة وبالقضايا القومية الكبرى ، وقد تكون وسيلة هذا الاشتغال هى الانضمام إلى حزب سياسى أو المشاركة فى العمل الصحفى ، أو إنارة الرأى العام بطريقة المحاضرات العامة ، وقد كانت أمرا مألوفا ، وكان الإقبال عليها شائعا . وصاحب كل ذلك الاهتمام بترجمة الكثير من المؤلفات أو البحوث الأجنبية ليجد الساعى إلى المعرفة فيما ترجم زادا للثقافة والتعرف على الإنتاج الفكرى فى بلاد سبقتنا فى التقدم .

وعلى هذا الوجه اتفرت فى مصر بيئة صالحة لنمو العلم وانتشار الثقافة ووجود لغات علمية عربية لمختلف فروع المعرفة . وكان للغة القانون نصيب من ذلك ، فولدت ونمت وارتقت على الوجه السابق بيانه . ولكن ما كاد النصف الأول من القرن العشرين ينقضى إلا وقد أصاب هذه البيئة تغير أحدث ، ولا يزال يحدث ، أثره فى كل ما ينمو ويعيش فيها . ذلك أن المجتمع المصرى اهتز هزة عنيفة مفاجئة فى أوائل الخمسينيات غيرت نظمه السياسية وامتدت إلى التغيير فى نظمه الاجتماعية والاقتصادية . وتوالت الأحداث سراعا فى سبيل تعجل الوصول إلى الأهداف . ويعنينا من كل ذلك — فى مقام كلامنا فى لغة القانون — ما حدث فى ميدان التعليم والثقافة . فقد جرى التوسع فى التعليم العام على نحو لم يسبق الإعداد له إعدادا كافيا ، نقص فى المعلمين وفى أدوات التعليم ، وكان اهتزاز فى مناهج الدراسة ، إذ ازدحمت بما سمى المواد القومية وأوجزت فى بعض المواضع فهزل قدر الإفادة من تراثنا الأدبى والعلمى وبدأ ضعف التلاميذ فى اللغة العربية ظاهرة عامة ، وصاحب ذلك ، أول الأمر ، جفاء نحو اللغات الأجنبية ، ونقص كبير فى عدد من يمكن أن يعهد إليهم بتدريسها ، فبدت جهالة هذه اللغات أو ما يقرب من الجهالة ظاهرة عامة كذلك .

وهذا التوسع فى التعليم العام لم يصاحبه توسع فى التعليم العالى تتنوع فروعه حسب ما تقتضيه احتياجات البلاد وما يفتح الأبواب أمام تنوع استعدادات الطلاب وصلاحيتهم . لقد جاء التوسع على حساب الجامعات ، ففتحت أبوابها لكل طارق ، واقتضى إقبال الطلاب على بعض الكليات بما يزيد على طاقاتها أن أنشىء « مكتب تنسيق قبول الطلاب بالجامعات » ، الذى يوزع الطلاب على مختلف الكليات حسب الأعداد المحددة لكل منها وعلى أساس

مجموع درجات الطالب فى الثانوية العامة وكانت النتيجة لذلك أن حشر كثير من الطلاب فى كليات لا يألفون الدراسة فيها ، وصار عدد طلاب الفرقة الدراسية الواحدة يحصى بالآلاف فضاقت بهم المدرجات وعجزت المعامل عن استقبالهم ، وتعثرت العملية التعليمية بأيدى أعضاء هيئة التدريس وضاقت أوقاتهم عن الأبحاث العلمية . ثم جاء إنشاء الجامعات الإقليمية لتجتزئ عددا من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات القديمة فتصاب الجامعات كلها بنقص شديد فى عدد أعضاء هيئات التدريس، وتسود الانتدابات بينهم فيزداد وقت البحث العلمى ضيقا . ولم يعالج توزيع الطلاب على الجامعات على أساس إقليمى أى جانب من جوانب مشكلة التعليم الجامعى أو التعليم العالى بصفة عامة . وكان من شأن ذلك كله ضعف مستوى خريجى الجامعات ، وهو ضعف يرتفع خطه البيانى من عام إلى عام ، ويتناول التكوين العلمى فى فرع التخصص ، كما يتناول اللغة العربية واللغات الأجنبية والقدرة على الإفادة من التقدم العلمى على المستوى العالمى . وتراكم الخريجون فى ميادين لا تستوعبهم .

هذا عن التعليم . وأما عن الثقافة ، فلم نعد نرى المثقف المتعدد الاهتمامات ، مما كان موجودا فى مصر حتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين على سبق بيانه ، وقل الاهتمام بتراثنا الفكرى أو كاد ينعدم . وقل الاهتمام بالتزود من الثقافات الأجنبية . حقيقة أنه فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ، توفر الاهتمام باعادة طباعة عدد من كتب التراث ، وتوفر الاهتمام بترجمة عدد من المؤلفات الأجنبية فى مختلف فروع المعرفة ، ولكن حال دون الانتفاع بهذه وتلك ضعف ملكة القراءة عند غالبية الشباب واكتفائهم بالإذاعة المسموعة أو المرئية وسيلة للمعرفة . ومن الحقائق أيضا أن عدد المجلات الثقافية الجادة قد قل أو كاد ينعدم فلم نعد نرى ما يماثل مجلة المقتطف الشهرية أو مجلة الهلال الشهرية فى عهدها القديم أو مجلة الرسالة أو مجلة الكاتب المصرى . كما أن الصحف اليومية لم تعد تفسح المجال الكافى لمختلف وجوه الثقافة ، وذلك على خلاف ما كانت تجرى عليه من قبل . لقد قرأ جيلنا فى شبابه فى الصحف اليومية ، بصورة دورية منظمة ، الشعر قديمه وحديثه والقصة الطويلة وغيرها من ضروب الأدب.

وإذا كانت هذه هى حال التعليم والثقافة ، فاننا إذا ما أضفنا إليها القلق الذى يعيش فيه الناس ، ومشاكل حياتهم ، حتى اليومية منها ، التى تشغل بالهم وتأخذ جانبا من تفكيرهم ، لوجدنا أنه ليس بمستغرب أن بيئة المجتمع المصرى فى الربع الثالث من القرن العشرين قد اختلفت تماما عن بيئته فى النصف الأول من هذا القرن ، ولذلك فان الأولى لم تنتج ، إلا بالقليل ذات المستوى من رجال الفكر مثل ما أنتجته الثانية .

إن الجيل الحاضر لمعذور ، فهو يعيش زمانا طغت فيه الماديات على كل شىء وصارت بذاتها قيما تغشى البصائر عن القيم الفكرية . ومع ذلك فان العقل لا يزال هو جوهر الإنسان ،

ولا يزال نتاجه الفكرى هو الذى يسعد البشرية ويسير بها قدما . وما التكنولوجيا الحديثة إلا جانب من هذا النتاج . وعقل الإنسان هو الذى ابتكر العقول الإلكترونية ، وسيظل هو سيدها جميعا .

ولعل خير سبيل للنهوض بالمجتمع المصرى علميا وثقافيا : هو أن يبدأ الجيل الحاضر بالتزود بتراث أسلافه القريب ، تراث النصف الأول من القرن العشرين ، ثم يتجه بعد ذلك إلى علم وثقافة من سبقنا من الأمم يتزود منها بالجديد ويلاحق تقدمها فيها ، ولا بد له من التوسل إليها بالإلمام بلغة أجنبية أو أكثر ، ومن الخير أن يصاحب ذلك حركة ترجمة تسعف من لا يعرف أية لغة من هذه اللغات وتمكنه من مزيد من المعارف .

وفيما يتعلق بلغة القانون وهى موضوع كلامنا : اقول للجيل الحاضر من رجال القانون : أمامكم ثروة معتبرة ، تراكمت خلال نصف قرن من الزمان ، من لغة الفقه ولغة التشريع ولغة القضاء ولغة المحاماة ، ارجعوا إليها واستمتعوا بها بعد استيعابها ، تجدونها فى المؤلفات والبحوث والنصوص التشريعية ومجموعات أحكام المحاكم ، فى القضاء العادى والقضاء الإدارى ، وفيما نشر من المرافعات فى أشهر القضايا . وعليكم بعد ذلك — أن كان هناك محل — أن تطوعوا لغة القانون حسب مقتضيات العصر الذى نعيش فيه ، مع الحرص على قواعد اللغة العربية نحوا وصرفا وأسلوبا .

ولا يغيب عنكم أن مجمع اللغة العربية قد عبد لكم الطريق بما بذله ، ولا يزال يبذله ، من جهد علمى دقيق محكم ، أسهم فيه علماء فى اللغة وعلماء فى القانون ، أثمر وضع المصطلحات القانونية وضبط تعريفاتها فى مجال عدد من فروع القانون وهى : القانون المدنى والقانون التجارى وقانون المرافعات والقانون الدولى الخاص والقانون الإدارى والقانون الدولى العام والقانون الإدارى ونشر كل ذلك فى مطبوع يصدره عنوانه « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ». ولا يزال المجمع بسبيل استكمال عمله بتناول باقى فروع القانون وما استجد من موضوعات أثمرها تطور الحياة القانونية .

إن ما حدث فى لغة القانون فى مصر من ارتقاء وهبوط ليس غريبا فى حياة الأمم وليس مرضا لاشفاء منه . وشأن اللغة شأن مختلف وجوه الحضارة التى قد يشع نورها ويشمل وطن ميلادها ويمتد إلى غيره من الأوطان ، ثم قد يخبو هذا النور ، ثم يقوى وينتشر من جديد . إن العيب هو فى الإستمرار فى الهبوط أو التوقف عن الإصلاح ، ومصر بخير ، وستكون لغة القانون بخير ما دام يوجد بين الجيل الحاضر من رجال القانون ناهون متطلعون إلى الحرص على الارتقاء بالقانون ، علما ولغة .

الدكتور احمد عز الدين عبد الله
عضو المجمع

الخطوات الأولى
لنشأة الفكر العلمى فى تراثنا
للدكتور ناصر الدين الأسد

لو كانت كثرة الكتابة أو الكلام فى أمر ما مانعة من معاودة الكتابة أو الكلام فيه لامتنع الناس عن الخوض فى هذا الموضوع أو ما يتصل به من موضوعات، لكثرة ما تناوله الكتاب والخطباء والمحاضرون والمتحدّثون، وأسرفوا فى محاولة شرحه وتوضيح جوانبه. ولكنتُ اليوم فى غِنًى عن أن أبذل جهدًا بعد جهودهم، لا أدرى أيضيف معرفة جديدة أو يكرر ما كرّروه، ثم لا يعدو أن يكون مقالا على مقالات سابقة يزيدها فى العدد دون أن يزيد عليها فى القيمة.

وليست كثرة الكتابة أو الكلام فى موضوع بمانعة من إعادة الكتابة أو الكلام فيه، ولا بنافعة أحدًا من الناس، إذا كانت مليئة بأحكام عامّة لا تعتمد على مقدّمات متسلسلة، أو أحكام قاطعة لا تحتمل المناقشة، أو مبهمة تكاد تشمل كل شىء ولا تشمل شيئاً محدّدًا بعينه، أو إذا كانت بغير مقدّمات، أو بمقدّمات تخلو من التمحيص والتدقيق، يقفز الكاتب أو المتحدّث قفزًا إلى أحكامه النهائية، فلا يخاطب العقل فيقنعه، وإنما يستهوى المشاعر فيهيجها، ثم لا تلبث هذه المشاعر أن تخبو فورتها حين تستدير الأمر مثلما اشتدّ عرامها وثارت حين استقبلته. واقتناع العقل مستمرّ، وقد يتفاعل، مع مرور الزمن، فيرسخ وينمو بما يضاف إليه كلما ازداد المرءُ تفكيرًا فى الأمر الذى اقتنع به، وحينئذ قد يتلوه ويخرج منه عمل متّزن مفيد، وذلك ينطبق على الخاصة والعامةّ معاً، فللعامة عقول يفكرون بها، فيقتنعون ثم يعملون، أو ينكرون ثم يرفضون.

وليس المجال – فى مثل هذه الموضوعات– مجال وعظ كالذى يتردّد بيننا من أكثر الأحايين . ولا مجال عراك فى غير معترك ، أو توهم دفاع بأسلحة ترتد إلى نحر المُدافِع ، فتكون أشد نكالاً عليه ، لضعفها وتهافتها ، من أسلحة الأعداء . وكم من صاحب حقّ أضاعه لضعف سلاحه ، أوتهافت حجته ، أولاتّباعه سبيلا غير السبيل الموصلة إلى ما كان يريد. ولكنّ المجال مجال بحث علمىّ يلتزم الأصول الصحيحة ، والمنهج القويم ، لتجلية الحقيقة وبيان جوانب الصواب ، بترتيب النتائج ترتيباً طبيعياً على مقدّمات متسلسلة ممحّصة ، ومخاطبة العقل مخاطبة هادئة ، عن بصيرة ومعرفة ، دون استثارة أو تهجّم أو اتهام ، لا تدعو إليها طبيعة البحث ولا تقود إلى تحقيق شيء من نتائجه ، بل قد تكون عقبات أمام الوصول إلى الهدف بما فيها من تنفير للنفوس واستهانة بالعقول .

ولم يكن كل هذا الذى أوردناه من قبيل المقدّمة أو التمهيد أو المدخل وليس هو ببعيد عن صلب الموضوع وعنوانه ، بل هو منهما فى الصميم . فذلك هو منهج علمائنا فى الحوار ، وفى المواجهة الثقافية ، وفى التواصل بين الشعوب والأديان ، استمدّوه من دينهم ومن كتابهم ،وهو أمر يلتقى مع ما نحن بسبيله من وجوه ويختلف معه من وجوه ، ومهما يكن فإن هذا الضرب من الحوار إنما هو إطار وأسلوب : إطار يتضمن نتاج الفكر ، وأسلوب لنقل هذا الفكر وتوصيله ، ويبقى – بعد ذلك – السؤال قائماً عن أصول المنهج فى التفكير العلمى عند أسلافنا ، يحتاج إلى رويّة فى البحث ، ودقّة فى استخراج النتائج ، وتحديد واضح للملامح والقَسِمَات .

وحتى نتجنّب ما عددناه عيباً فى كثير من الكتابات والأحاديث ، ونتّبع ، ما ذهبنا إلى أنه النهج السليم الذى يبتعد عن التعميم الفضفاض ويلتزم بالتحديد الدقيق ، فإننا سنضع كل فكرة من أفكار هذا الموضوع فى فقرة منفصلة ، لها رقمها المستقلّ ، حتى يتقرّاها عقل القارئ فيقف عندها ممحّصاً ناقداً .

١ – لم ينشأ الفكر العلمى العربى الإسلامى من فراغ ، ولم يحدث فجأة بمعجزة ، ولم يتطور ويزدهر فى ميادين العلوم المختلفة–الأساسية والتطبيقية– بمعزل عن النواميس

البشرية والطبيعية التى تعمل معاً ،وفق سنّة الله فى خلقه وتكون سبباً فى ارتقاء الأُمم أو سقوطها . ولكنه نشأ ثم تطوّر وازدهر بفضل عاملين أساسيين ، أولهما : نصوص تربوية تعليمية ، نشّئت عليها الأَجيال تتمثّل فى آيات كريمة وأَحاديث شريفة تكرم العقل وترفع من منزلته ، وتدعو إلى التفكير وتحض عليه ، وتشيد بالعلماء وتجعلهم ورثة الأَنبياء ، وهى آيات وأَحاديث أورد أكثرَها كلٌّ من تناول هذا الموضوع ، ويعرفها الناس ، أو جُلُّهم وإنْ قلَّ بينهم من يقف عندها متدبّرًا مستنبطاً منهجها المتكامل . وثانيهما : جهد بشرى موصول وتطبيق عملىّ مستمر ، نهض بهما المسلمون بدافع من السبب الأَول ، وفهم صحيح له ، استطاعوا بهما أن يرسوا الأُسس الثابتة لهذا الفكر العلمى ، ويرفعوا قواعده ، ويقيموا صرحه الضخم الذى أَصبح – قروناً متواصلة – كعبة للأُمم الأُخرى يحجّون إليها ، ونورًا يقبسون منه .

٢ – وكان من شأْن تلك النصوص التربوية التعليمية ، فى كتاب الله وفى حديث رسوله ، أنها أَشارت إشارات واضحة مستوفاة إلى أنه تعالى فتح جميع ميادين الحياة ، وجميع ما فوق الأَرض وما فى باطنها ، وما فوق البحار وما فى جوفها ، وما فى الفضاء والسماء . . . وجعلها كلها ميدانا للتدبير والتسخير ، فى خدمة الإنسان ، يصل إليها بعقله ، ويفتح مغاليقها بعلمه ، بفضل الله ، لم يحظر منها ميداناً واحدًا ، ولم يغلق فيها باباً دون باب ، بل أَشرعها كلها على مصاريعها جميعاً دون قيد : (وسخَّر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأَمرِهِ وسخَّر لكم الأَنهار * وسخَّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخَّر لكم الليل والنهار)[1] و(وهو الذى سخَّر البحر لتأْكلوا منه لحماً طريًّا . .)[2] و (أَلم تر أَن الله سخَّر لكم ما فى الأَرض . .)[3] و(وسخَّر لكم مافى السمٰوات ومافى الأَرض جميعاً منه ، إنَّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[4] فانطلق علماءُ المسلمين « يتفكرون » و « يتدّبرون » دون ما حرج ولا تزمّت ، لا يحول بينهم وبين ميدان من ميادين العلم حائل .

---

(١) إبراهيم : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) النحل : ١٤ .
(٣) الحج : ٦٥ .
(٤) الجاثية : ١٣ .

٣ - ولم يحاسبهم تعالى على أخطائهم فى التفكير والاجتهاد والبحث ، مادامت نيّاتهم سليمة وما دام الحق رائدهم وهدفهم ، فـ « إنما الأعمال بالنيات »[١] فمنح العلماء بذلك حقاً من أهم حقوق الإنسان هو حق الخطأ غير المتعمّد (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمّدت قلوبكم ، وكان الله غفورًا رحيما)[٢] و (لا يكلّفُ اللهُ نفساً إلّا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)[٣] ، وأكد هذا الدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيغة تقريرية بقوله « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان »[٤] .

ثم زاد الإسلام على كل ذلك فضلا آخر ، فأربى على كل ما يخطر على بال العلماء وفى أمانيّهم ، فلم يقتصر على التجاوز عن خطأ المخطىء وعلى الصفح عنه - فذلك إنما يكون فى أمور العقائد والعبادات حين لا يتعمد المؤمن الخطأ - فنراه يحث العلماء على البحث والاجتهاد حثًّا ، إذ أخبرهم أنه يكتب لهم الحسنة والثواب حين يخطئون وهم سائرون فى طريق العلم فجعل المخطىء أجرًا واحدًا وللمصيب أجرين[٥] .

فكيف إذن لا يطمئن العالم على نفسه وضميره ، وكيف لا يزداد انطلاقاً فى ميادين البحث المختلفة دون ما خوف ولا تردّد .

٤ - وأطلق الإسلام العقل من أغلال الخرافات ، وحرّره من الأوهام والأساطير والأباطيل ، فجعل الظواهر الإنسانية والطبيعية سنّة من سنن الله تعالى ، تسير بنواميس ثابتة ، وتجرى بحساب دقيق ، وعلى المسلمين أن يتدبّروها ، فيغوصوا فى أعماقها ، وينقّبوا ، ويبحثوا ، ويكشفوا أسرارها وأسبابها ونتائجها. فـ (الشّمسُ

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى وأحمد .
(٢) الأحزاب : ٥ .
(٣) البقرة : ٢٨٦ .
(٤) رواه ابن ماجه والطبرانى والحاكم.
(٥) روى الحديث البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد ؛ قال الخطابى : « إنما يؤجر المخطىء على اجتهاده فى طلب الحق لأن اجتهاده عبادة. ولا يؤجر على الخطأ بل يوضع عنه الإثم فقط » (السيد سابق ، فقه السنة ٣ : ١ . ٤ - دار الكتاب العربى ، بيروت) .

والْقَمَرُ بِحُسْبانٍ)[1] (وهُو الَّذِى خَلَق الليلَ والنَّهار والشَّمس والْقَمر كلٌّ فى فَلَكٍ يسبحُونَ)[2] (والْقَمرَ قَدَّرنَاهُ منازلَ حتَّىٰ عادكَالْعُرجُون القدِيم * لَا الشَّمس ينبغِى لَها أَن تُدرِكَ الْقَمر ولَااللَّيْلُ سابقُ النَّهَار وَكُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[3] وكسفت الشمس يوم موت إبراهيم بن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال الناس : كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم فصلُّوا وادعوا الله »[4] (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا)[5] (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً)[6] .

٥ – كل هذا ، وغيره كثير ، وكان الأساس فى تنشئة أجيال العلماء ، وتربية عقولهم ، وتوجيه نفوسهم ، فشرعوا فى بناء قاعدة العلم الإسلامى بناءً عمليا.ربطوا – كما أمرهم الله – العلم بالعمل ، وجمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح. فَهِم المسلمون ماجاءَ فى كتاب الله وما وصلهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأُوا لهم من داخل دينهم علومَهم الخاصة بهم. لم يأْخذوها من غيرهم ، ولم يترجموها عمن سبقهم : فكانت علوم الفقه ، وعلم الأُصول ، والتفسير ، والقراءات ، والحديث وعلومه ، وأُصول الدين ، والسير والمغازى . وتفرعت عن كل علم علوم ، وانشقت منه فروع. وقطعوا فيها أشواطاً بعيدة ، وارتفعوا بها إلى مستوىً عال من المنهج العقلى من تحقيق وتدقيق ، ونقد للمتن وللسند ، وحرص على جمع المصادر والإحاطة بها والتثبت مما ورد فيها : كتابة أو شفاها ، ولم يقبلوا بالتسليم برأى دون مناقشة فلا بد من أخذ العلم مع دليله ،لابد من إقامة البرهان النقلى والبرهان العقلى. ونشأت

---

(١) الرحمن : ٥ .
(٢) الأنبياء : ٣٣ .
(٣) يس : ٣٩ – ٤٠ .
(٤) رواه البخارى والسنن .
(٥) الأحزاب : ٦٢ .
(٦) فاطر : ٤٣ .

كتب الرجال ، والتفسير والحديث، والجرح والتعديل والأنساب والأخبار . وتأصلت فيهم- من علومهم- روح العلم ومفاهيمه وتقاليده وأخلاقه ، وأقبلوا على طلبه إقبالا لا نجد له نظيرًا عند الأمم الأخرى ، فيما روت لنا الأخبار. ولم يكن لهم كهنوت أو « اكليروس » يحتكر فيه الأحبار والرهبان والكهان العلم الدينى والدنيوى ويحظرونه على غيرهم ، فكان العلم بكل أنواعه مبذولا للمسلمين عامة وللعلماء خاصة ، من مصادره الأولى وينابيعه الصافية .

٦ – وكما شرعوا فى بناء قاعدة العلم الإسلامى بناءً عمليا من داخل دينهم وحياتهم ، بإنشاء علوم أصلية خاصة بدينهم وبهم، فقد دعموا هذه القاعدة بركن ثان أصيل من علوم لغتهم وآدابهم . فنشأ عندهم : النحو والصرف والمعانى والبديع والبيان وعلوم اللغة والعروض والقوافى ورواية الشعر والأنساب والأخبار .

وكانت هذه العلوم مع العلوم السابقة وحدة متكاملة ، مترابطة ، يحرص على تلقِّيها ، أو تلقِّى أكثرها ، طالبُ العلم حتى تُبْنَى قاعدته الفكرية وأصوله الثقافية . ولا نكاد نجد عالماً فى العلوم التطبيقية إلا وقد أخذ بهذه العلوم الإسلامية واللغوية والأدبية « النظرية »، قبل أن ينتقل إلى العلم التطبيقى الذى أصبح به بعد ذلك معروفاً مشهورًا ، لأن تلك العلوم الأصيلة هى التى تربى ملكته العقلية ، وتزوّده بالمعارف الأساسية ، وتصقل موهبته فى النظر والتفكير . .

ولم ينتقل العلم عندهم إلى الانتشار فى مرحلة تالية ،إلا بعد أن رسخت أصول هذين الركنين من قاعدة العلم الإسلامى العربى. وبذلك لم يقفزوا إلى الترجمة إلا على أساس من كيان فكرى أصيل ، ووجود ثقافى متميّز ، وعلوم مستقلة نهضوا ببعثها فأهّلتهم للانتقال إلى مرحلة جديدة. ولولا هذه الأصالة العلمية لغزاهم العلم المترجم ، وطغى عليهم ، وطمس شخصيتهم . فما استطاعوا أن يطوروه ويحققوا فيه جديدا ، ولَقُضِى عليهم بأن يكونوا نقلةً مترجمين..

لقد أنشأوا علومهم الخاصة بهم ، فتدربوا عليها وبرعوا فيها ، وتكوّن لهم منهج علمى أصيل ، فأصبحوا مستعدين عقلياً للحضارة : لتلقّيها ، وللمشاركة فيها ، ولإنشائها ، ولحملها ونقلها وتوصيلها .

٧ - وكما كان الإسلام ديناً عالمياً للناس كافّة ، استوعب الأديان كلّها فى رحابه ، كذلك كان هذا العلم الإسلامى العربى : اشتركت فيه الأمم من الأجناس والأعراق والألوان المختلفة ، واشتركت فيه الأديان والمذاهب كلها ،فى إطار من روح الإسلام ، وفى أجواء عقلية متقاربة ، ومناخ علمى يكاد يكون واحداً. صهرتهم نظرة الإسلام وَوسِعتْهم روحه ، وأصبح علم العالِم المسيحى واليهودى والصابئى رافداً يصبّ فى هذا النهر العظيم ، ويؤلف مع الأصل : العِلْمَ الإسلامى . وأصبح غيرُ العربى : أصيلا فى علوم الإسلام وعلوم العربية وشعرها ونسب العرب وأخبارهم . حتى لقد أصبح كثير منهم أئمة هذه المعارف والعلوم .

٨ - ومن تمام هذا المنهج الإسلامى الأصيل وقاعدته الفكرية والثقافية ذلك الأُسلوب الذى اتّبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعليم صحابته الأبرار وفهم آيات القرآن الكريم ودراستها ، وتطبيق ما ورد فيها على حياتهم اليومية ،بحيث لا ينتقلون إلى آية أو سورة أخرى إلّا بعد الفراغ من فهم الآية أو السورة السابقة ،وهو أُسلوب استفاضت عنه الآثار والأخبار ، فقد قال ابن مسعود : « كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزْهن حتى يعرف معانيهُنَّ والعمل بهنّ »[1] .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلّمْنا القرآن والعمل جميعاً »[2] . وعن ميمون

---

(١) من مقدمة ابن كثير فى تفسيره ، انظر عمدة التفسير ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م ، اختصار وتحقيق : أحمد محمد شاكر ، وانظر مسند أحمد ٥ : ٤١٠ ، المكتب الإسلامى ببيروت .

(٢) المصدر السابق .

أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما – « تعلم سورة البقرة فى أربع سنين »[1] . وعن ابن عمر قال : «لقد عشت برهة من دهرى وإنَّ أحدنا يوتَى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغى أن يقف عنده منها كما تَعلَّمون أنتم القرآن ، ثم لقد رأيت رجالا يؤتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأُ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدرى ما آمِرُه ، ولا زاجرُه ، وما ينبغى أن يقف عنده منه ، ويَنثُره نَثْر الدَّقَل »[2]

٩ – وبعد أن انتهى المسلمون من بناء هذه القاعدة الفكرية الثقافية بأُصولها ومناهجها من داخل أنفسهم ودينهم وعلومهم ، شرعوا فى الاتصال بعلوم الأُمم الأُخرى ، « فالحكمة ضالَّة المؤْمن يلتمسها أنَّى وجدها » . واستشعروا القوة والقدرة عليها . فأَخذوا يطلبون من يترجمها لهم ، أو يترجمونها بأَنفسهم ، إلى لغتهم ، عن تمكُّنٍ من هذه اللغة واعتزاز بها ، واقتدار عليها ، وتصرّف فيها. فأَطاعتهم اللغة ولانت لهم ، وامتدّت أمامهم تجرى معهم وتسابقهم ، فازدادت قوّة وغنى وقدرة مع الاستعمال ، وتأَصلت المعارف والعلوم الأُخرى فيهم ، وجرت فى عقولهم ونفوسهم وحياتهم مجرى علومهم الأَصيلة ، يرفِدُ كل منهما الآخر ويغذّيه ، فاستبحر الفكر العلمى عندهم واستفاض. وقد كان ذلك العلم قائماً عند تلك الأُمم الأُخرى منذ زمن طويل ، وكان بين العرب فى جاهليتهم من يعرف بعض لغاتهم ، وكان فريق منهم يتصل بهم ويطلع على ما عندهم من هذه العلوم والمعارف ، وكان المترجمون حينئذ لا يفتأُون يترجمون العلم اليونانى إلى السريانية ، وكانت له مراكزه المزدهرة فى بلاد يسكنها العرب أو يحيطون بها. ومع ذلك كله ظل هذا العلم بعيدًا عنهم ، وظلُّوا بعيدين عنه ، على معرفة أفراد منهم به ، لم يستبحر فيهم ولم يشتدّ عودُه بينهم ، لأَنه لم يتأَصل عندهم بلغتهم .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ٤ : ١٦٤ تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ببيروت ١٩٥٧ م .

(٢) الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١ : ١٦٥ ، دار الكتاب ببيروت ١٩٦٧ م ، والدقل من التمر أردأ أنواعه .

ولا يكاد القرن الثالث الهجرى يشرف على الانتهاء حتى نجد عددا كبيرًا من الكتب فى ميادين متعددة قد ترجمت إلى العربية[1] . ويتوالى التأليف وتتوالى معه الترجمة ، وتزخر المكتبة العربية بالكتب المؤلفة والمترجمة حتى أن فضل الله بن أبى الفخر الصقاعى ذكر[2] أن الشريف شرف الدين الناسخ ذكر له فى شهور سنة ست وستين وستمئة بدمشق قال : « وقفت فى المدرسة النظامية ببغداد . . على فهرست بما صنف فى الدولة الإسلامية فى سائر الفنون إلى آخر أيام الإمام المستنصر فى سنة تسع وثلاثين وستمئة ، والفهرست ستة وخمسون مجلدًا » .

وهذه الكتب العلمية المؤلفة والمترجمة ، مع شروحها والتعليق أو الردّ عليها ، من بين هذا التراث الضخم ، هى التى أخذ الأوربيون يترجمونها إلى اللاتينية من القرن الخامس الهجرى (خلال القرون التالية للقرن العاشر الميلادى) وهى التى قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة بما أخذه الأوربيون عن المسلمين من مناهج البحث التى سنذكر طرفاً يسيرًا من ملامحها فى الفقرات التالية ، وإن المرء ليدهش من كثرة هذه الكتب المترجمة إلى اللاتينية فى تلك القرون ، وحسبه أن يتتبع ماورد منها فى الكتب التى تناولت هذا الموضوع وأقربها كتاب المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه[3]

١٠ــ وإذا كان المجال هنا لا يتّسع لتناول تفصيلات موضوع الترجمة ، والمكتبات وكثرة المؤلفات العلمية ، وجهود العلماء المسلمين فى إضافة الجديد المبتكر إلى مانقلوه عن اليونان والهنود وغيرهم ، فضلا عن تصحيح كثير من الأخطاء التى وقع فيها أصحاب تلك العلوم وخاصة اليونانيين ، فإن المجال لاشكّ متّسع للإشارة إلى هذا الطرف اليسير الذى ذكرناه قبل قليل من ملامح مناهج البحث التى طوّرها المسلمون وأبدعوا فيها ، فاستفاد منهم الأوربيون ، واقتبسوها منهم ، ونسبوها إلى بعضهم ،

---

(١) تراث الإسلام ١ : ٢٥٠ – ٢٥٢ م .
(٢) فى كتابه : تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سوبلة ، دمشق ١٩٧٤ م .
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ، المكتب التجارى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

حتى لقد جهلنا حقيقة نسبتها إلى المسلمين ،وأصبحنا لا نعرف إلا أنها من إبداع هؤلاء الأوربيين دون أن نعرف جهد العرب فى التنبه لها ، ووضع قواعدها الأولى وإرساء أصولها ، بحيث استطاع الأوربيون بعد ذلك إقامة البناء .

فمن هذه الملامح :عدم الاقتصار على قراءة كتب الأقدمين والتسليم بصحة ما فيها ،وتكراره .بل لابدّ من النظر فيها بعين الفحص والتمحيص ، والتثبت من الآراء الواردة فيها حتى يستبين صوابها أو بطلانها بالحجة والبرهان . ومن أوضح مَنْ فصّل هذا الملمح الحسن بن الهيثم بقوله[1] : « الحقُّ مطلوبٌ لِذَاتِه ، وكل مطلوبٍ لذاته فليس يَعْنِى طالِبَه غيرُوجوده ،ووجودُ الحق صعب ، والطريق إليه وعر ، والحقائق منغمسة فى الشبهات ، وحسن الظن بالعلماء فى طباع جميع الناس . وما عصم الله العلماءَ من الزلل ، ولاحَمَى علمهم من التقصير والخلل . ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماءُ فى شىءٍ من العلوم ، ولا تفرقت آراؤهم فى شىءٍ من حقائق الأمور ، والوجود بخلاف ذلك . فطالب الحق ليس هو الناظرَ فى كتب المتقدمين ،المسترسلَ مع طبعه فى حسن الظن بهم ، بل طالب الحق هو المتَّهِمُ لِظَنِّه فيهم ،المتوقفُ فيما يفهمه عنهم ،المتَّبعُ الحُجَّةَ والبرهان ، لا قَولَ القائل الذى هو إنسان ، المخصوص فى جبلَّته بضروب الخلل والنقصان . والواجب على الناظر فى كتب العلوم ، إذا كان غرضه معرفة الحقائق ، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه ، ويجيل فكره فى متنه وفى جميع حواشيه ،ويَخْصِمُه من جميع جهاته ونواحيه ، ويتَّهم أيضاً نفسه عند خِصامِه فلا يتحامل عليه ولايتسمح فيه .فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق ، وظهر ما عساه وقع فى كلامِ منْ تَقدَّمَهُ مِنَ التقصير والشُّبَه » .

وما قاله الحسن بن الهيثم طبَّقه فى كتبه وطبقه غيره من العلماء ،والأطباء خاصة ،حين لم يكتفوا بقراءة كتب الأقدمين والتسليم بصحّة ما فيها وتكراره ،

---

(١) الشكوك على بطليموس ، تحقيق الدكتور عبد الحميد صبره والدكتور نبيل الشهابى ، مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٧١ م .

وإنما نظروا فيها بعين الفحص والتمحيص ، ونقدوها ، وردّوا على ما يحتاج منها إلى ردّ ، وقبلوا منها ما رَجَحتْ أو ثَبَتَتْ عندهم صِحَّتُه .

١١ ـ أمّا الملمح الثانى فيتمثّل فى : الاعتماد على العقل ،وعدم الانخداع بالحواس بالاعتماد عليها وحدها ،والشك فى الأُمور إلى أن يقوم عليها الدليل . وهو منهج منتشر بين المسلمين ، وضّحه الجاحظ فى قوله[١] : « . . . فلا تذهب إلى ما تُريك العين ، واذهبْ إلى ما يُريك العقل . وللأُمور حُكْمَان : حُكْمٌ ظاهِرٌ للحواسّ ،وحكم باطن للعقول : والعقل هو الحُجَّة » .

ومن أعجب ما نصّ عليه الجاحظ ونبّهنا إليه قوله[٢] ـ بعد أن أورد خبرًا من أخباره الغريبة ـ : « ولم أكتب هذا لِتُقِرَّ به ، ولكنها رواية أحببت أن تسمعها . ولا يعجبنى الإقرارُ بهذا الخبر ، وكذلك لا يعجبنى الإنكار له. ولكنْ ليكن قلبك إلى إنكاره أميَل ،وبعد هذا فاعرف مواضع الشكّ ، وحالاتها الموجبة له ، لِتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له .وتعلَّم الشكّ فى المشكوك فيه تَعَلُّماً ، فلو لم يكن فى ذلك إلا تَعَرُّفُ التوقُّفِ ثمّ التثبّت ،لقد كان ذلك مما يُحتاج إليه . . » .

وإنى لأكاد أرى أنّ هذا الملمح الثانى :الاعتماد على العقل ، وعدم الانخداع بالحواس والشكّ ، إنما هو متّصل أوثق اتصال بالملمح الأول ، بل أراه متداخلاً فيه يكاد أن يكونا ملمحاً واحدًا لشدة اتصالهما وتداخلهما.

١٢ ـ أما الملمح الأخير الذى نرى أن نتوقّف بعده لأن مجال هذه المقالة لا يتّسع لأكثر مما اتسع له حتى الآن ، فهو : التجربة والتحليل والاختبار . وفيه كلام طويل يحتاج إلى أن تُعْرَض فيه الحجج المختلفة والردود عليها. فقد ذهب بعضهم إلى أن « الطبّ اليونانى والعربى يمثّلان عصرًا واحدًا يتميز بتفكير متشابه جدًّا »[٣] وأن هذا

(١) الحيوان ١ : ٢٠٧ تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الأولى .
(٢) المصدر السابق ٦ : ٣٤ - ٣٥ .
(٣) الدكتور محمد كامل حسين ، مقدمته لكتاب « الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب » ، ص : ١٥ ، ٩٨ . نشر إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

العصر هو « عصر الخبرة المنظمة عقليًا (وليس عصر التجربة العلمية) وهو عصر دام عشرين قرناً ، وضع أبقراط كلياته ومنهجه ، ثم فصله وفرّع عليه جالينوس ، ومارسه الرازى ، ونسّقه وأوضحه ابن سينا إيضاحاً ليس بعده مزيد ، إلى أن عرف الناس العلم التجريبي وعلم الكيمياء » . وذهب آخرون إلى نقيض ذلك فقرروا أن مرحلة العلم العربى تمتاز عن مرحلة العلم اليونانى – الذى تأثر به العلماء العرب أعمق التأثر – بأنها كانت مرحلة إرساء الأصول الأولى العلمية للاستقراء والتجربة ، وذلك بتدوين المشاهدات وتقريرها واستخلاص القواعد الكلية منها ، فى حين كانت مرحلة العلم اليونانى قائمة على وضع الكليات أوّلا ثم محاولة تطبيق الواقع عليها وهى الطريقة الاستنتاجية أو الاستنباطية . وليس من هدفنا هنا مناقشة هذه الآراء بتفاصيلها المتشعبة ، وحسبنا أن نشير إلى أن علماء العرب قد عرفوا التحليل والاستقراء والتجربة العلمية فى الحدود التى أعانتهم عليها الوسائل المتاحة حينئذ والمعارف والعلوم المستنبطة فى زمانهم ، والأدلة على ذلك كثيرة مبثوثة فى ثنايا تراثنا ، وحسبنا أن نشير إلى ماذكره الطبيب أبو بكر الرازى (ت نحو ٣١١ هـ) من قوله : « إنّا لمّا رأينا لهذه الجواهر أفاعيل كثيرة نافعة لاتبلغ عقولُنا معرفةَ سببها الفاعِل ولاتحيط به ، لم نر أن نطرح كلّ شيء لا تدركه وتبلغه عقولنا ، لأن فى ذلك سقوط جلّ المنافع عنا . بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهدلنا الناس به . ولا نحلّ شيئًا من ذلك عندنا محلّ الثقة ، إلا بعد الامتحان والتجربة له » [١] . وهو القائل أيضا لتلاميذه : « فعليك بالأشهر مما أُجمِعَ عليه ، ودَع الشاذ ، واقتصر على ما جَرَّبْت » [٢] والنصوص على ذلك من الرازى ومن غيره أكثر من أن نتصدّى لحصرها هنا .

وإنّا لنرى أنّ هذا الملمح الثالث ، وهو التجربة والتحليل والاختبار ، مرتبط أوثق ارتباط بالملمحين السابقين ، يقود بعضها إلى بعض ، ويدل أحدها على الآخر ،

---

(١) طب الرازى : ١٩ – ٢٠ .

(٢) طب الرازى : ٢٤ .

فى سلسلة محكمة الحلقات. ومع ذلك فإننا أوردنا ما أوردناه لنقول إن أسلافنا من هؤلاء العلماء الكبار وضعوا بذور هذه الملامح، وأرسوا أسسها الأولى، واتَّبعوها فى علمهم واعتمدوا عليها. ولا يجوز أن نقول إنها اكتملت عندهم فى صورتها النهائية، ولا أن الاستقراء والتجارب العلمية تحدّدت قواعدهما واتخذا صورتيهما على النحو الذى نعرفه اليوم، وإلا لكنَّا قد حكمنا على العلم بالتوقف عند العرب، ولحجرنا على نموه ومنعنا تطوره فى الأزمان التى تلت زمن ازدهار العلوم العربية والإسلامية. وهو ما لا يجوز أن يقول به أحد، لا عن العرب والمسلمين ولا عن غيرهم، فالعلم والتقدم الإنسانى سلسلة تظلّ متَّصلة الحلقات ما دام الناس وما دامت الحياة. وإنكار ما قدّمه العرب والمسلمون للعلم وللحضارة أو التهوين منه، مخالف للحقيقة وللتاريخ كمخالفة التزيد فيما قدمه غيرهم والتهويل فيه.

الدكتور ناصر الدين الأسد
عضو المجمع
(الأردن)



مجمع الخالدين

للأستاذ عبد الله بن خميس

تحية الشعر

حيِّه بالمنى ونفح العبير ... مجمع الفَضْل والعُلا والنُّور
حيه حافلًا بخمسين عامًا ... مفعمات بكل معنى جهير
مجمع الخالدين فضلًا وعلمًا ... وجلالًا يحْوِى صدور الصُّدور
من أمير فى قِمَّةِ الضَّادِ حبر ... يتسامى عن قائد وأمير
زامل الطِّرس والمحابر حتى ... أخذ العلم من وراء السُّطُور
خَطَبَتهُ العُلا فتيًّا فعادت ... بجليل المنى وأسنى المُهُور
مجمع الخالدين هل أنت إلَّا ... فَلَكٌ دائرٌ بأبهى البُدُور
عِشْت فى موكِب الحياة سنيًّا ... وأبيًّا رغم اختلاف العُصُور
علَمٌ شامخٌ فما زعزعته ... عاتيَات من عاصفات الدبُور
أنت للضَّاد والعُرُوبة ركن ... لهما فيك كل طرف قرير
لكما نقر العدى واستهانوا ... وأتونا بمعضلَاتِ الأُمُور
وَجَدُوا فيك قلعة لا تدانى ... أين منها شم الذرى من ثبير

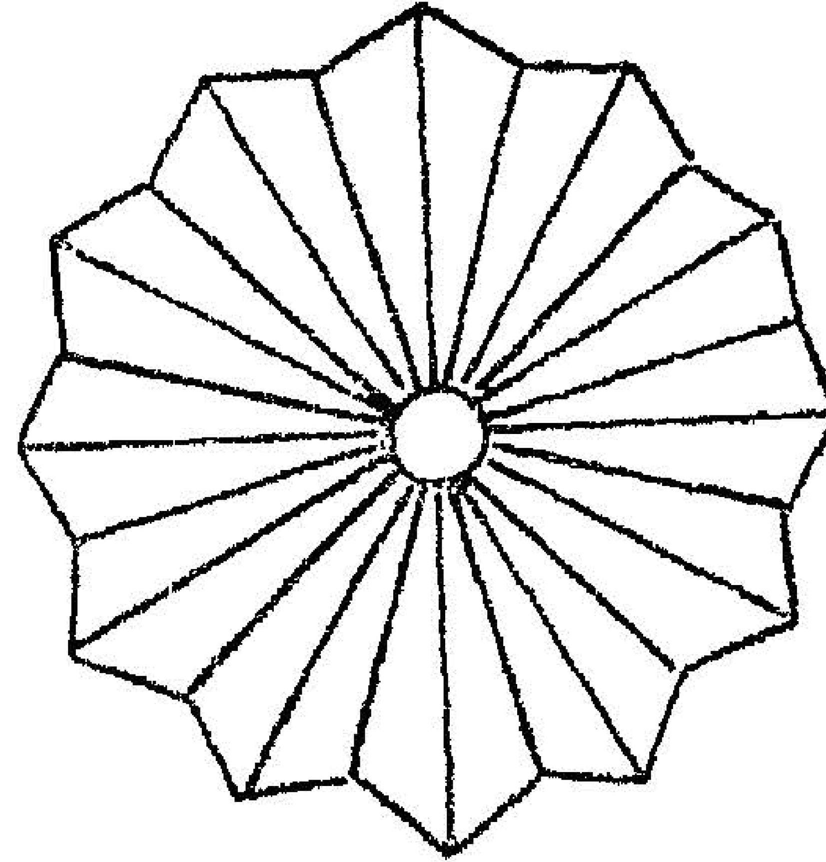
* * *

مجمع الخالدين من لى بقوم ... أولعوا بالمعطل المهجور
أولعوا بالدَّخيل من ألسن القوم ... وجاءُوا بالتَّافِه المَحذور
عَطَّلُوا الوزن والقوافى وشَدوا ... كل حبل نَحو البيان قَصِير
ليس فيه علالة تملأُ النَّفْس ... عطاءً وما به من أثير
غير غث من الغثاء سراب ... ما له فى البيان شروى نَقِير

ما لها ويلهم أرميت بعقم أقْعَد الشِّعْرَ عن حثيث المسير
أم تراءى لهم يباب فَظَنُّوا أنّه ظِلّ شامخـات القُصُور
من عدبرى وناصرى من عقوق جَـر أرْبَابه لسوءِ المصـير
شَـربُوا آبنا ولاكُوا عشاءً واستعاضوا من البرا بالبـدير
لُغَةُ اللسن والبيـان إذا ما عى بالنَّطْق ما بخاف الصُّدُور
وسعت كُلَّ شَـارد وَأَلِيف وَحَوتْ ريحق الرضاب النمير
خصهـا الله بالكتاب وأروى بهُـدَاهَا من كُلِّ سفر منير
لم يضق ذرعها بشوس المعانى من كبير مُبسِط أو حقير
أَلْهَمت منطق البـلاَغَة حيًّا وتـأتت بملهمـات الشُّـعُور
بالمثـانى و المرقصات تعالت بالغوالى بسلسبيل الغـدير
بالقَوَافى بالشَّاردات ضروبًا بالمجـان بالشعر نضـير
سبقت غيرها جـلالًا وفضلًا واستجابت لكل معنى شهير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاستاذ عبد الله خميس
عضو المجمع من السعودية



رأى فى تيسير تعليم النحو

للدكتور احمد عبد الستار الجوارى

كان تيسير النحو — وهو قواعد اللغة العربية — موضع عناية ومحل اهتمام منذ زمن بعيد . ولعل رد ابن مضاء القرطبى على النحاة فى كتابة المعروف ، كان مبتدأ لجهود تلته ، أخذت منه وأضافت إليه ، بل قومت من منهجه وأوسعت من سبيله . وكان أهم تلك الجهود وأكثرها نفعا فى عصر الناس هذا : إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله .

ولقد ألفت فى وزارة المعارف المصرية أواخر الثلاثينيات لجنة لتيسير قواعد اللغة العربية ، رسمت للتيسير منهجاً لم يكد يكون موضع الرضا من أهل العربية يومئذ ، وجلهم شيوخ أجلاء بلغوا فى حرصهم على قواعد اللغة العربية والاستمساك بها حداً يقارب حد المبالغة والغلو ، فلم يكونوا يرتضون مساساً بها لئلا تتغير أو تتبدل مخافة أن يؤدى ذلك إلى عبث بقواعد اللغة، يسلم إلى تفريط فى تراثها الغالى وفى قمته القرآن المجيد والحديث الشريف .

ولقد وجدت الدولة المصرية يومئذ أن المجمع هو أولى الناس بدرس هذا الأمر ، واقتراح ما يقرب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث دون مساس بأصول اللغة وجوهرها . فصدر قرار من وزير المعارف فى ٦ / ٢ / ١٩٤١ هذا نصه :

« رغبة فى ضبط الكتابة العربية بحيث يمكن أن تقرأ فى غير تعرض للخطأ واللحن ، وفى تقريب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث دون أن يكون فى ذلك مساس بجوهر اللغة وأصولها . . . . . قررنا أن يعهد إلى مجمع اللغة العربية بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف » .

ولقد اتصلت جهود المجمع فى هذا الميدان منذ البداية . وكان من أحدثها عهداً ندوته التى عقدها فى نطاق اتحاد المجامع العربية لدراسة موضوع تيسير النحو فى مدينة الجزائر العاصمة منذ بضعة أعوام .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة من العيد الخمسينى .

ثم مشاركته الفاعلة فى ندوة عقدها مجمع اللغة العربية الأردنى لتقويم تدريس اللغة العربية .

إن جهود المجمع فى التيسير تمتاز بالأناة وتلتزم بأصول اللغة التزاماً يحمى تلك الجهود من احتمال الشطط .

لماذا التيسير ؟

أحسب أنه يدعونا إلى تيسير النحو وتيسير تعليمه داعيان : الأول تيسيره على أبناء العربية حتى يتقوم لسانهم وتستقيم أفكارهم وحتى يتم التواصل الفكرى بينهم فى دقة وفى إحكام . ومعلوم أن التقدم الفكرى ، فى شتى مناحيه وفروعه ، لا يمكن أن يكون إلا بتقدم أداة التفكير ووسيلة التعبير عن الأفكار والمشاعر وهى اللغة . ففيها البيان وفيها الإفصاح (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) .

الثانى : تيسير العربية على الذين يهمهم أن يتعلموها ويفهموا بها ويفهموا عنها ، ويتذوقوا أساليبها فى التعبير ويدركوا حقيقة ما يراد بها من المعانى . أولئك هم أبناء الشعوب الإسلامية الذين يقدسون العربية ويفخرون بمعرفتها ويعتزون بها لأنها لغة القرآن والحديث ثم إن العربية بحكم طبيعتها فى الوضوح والسلاسة واستقامة العبارة وكراهة التعقيد ، لغة إنسانية عالمية تملك كل مقومات الذيوع والانتشار ، بين أمم وشعوب تجد فيها ما تفتقده فى غيرها من التصرف فى المعانى والاتساع للأفكار والمشاعر ، وتجد فى أنفسها الحاجة إلى استعمال لسان قريب جد قريب من الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية ، قابل لأن يكون وسيلة التفاهم والتواصل فى أوسع رقعة من هذه الأرض .

ومن المعلوم أن أغلب الشعوب الإسلامية تدخل دراسة اللغة العربية فى مناهج التدريس فى مراحل مبكرة من الدراسة ، بله المراحل المتقدمة فى الجامعات ومعاهد البحث . ذلك بأنها جزء من تراث تلك الشعوب ، بل إن لها فى حياتها الفكرية والشعورية مكانة لا تنكر وكثير من أهل العلم فى تلك الشعوب يستمدون مصطلحات العلوم من العربية ، لأنها أدنى إلى أذواقهم وأكثر ألفة لديهم .

ونعود إلى التأمل فى حاجتنا نحن إلى التيسير ، فنجد أن الذين ثقفوا من العلوم الحديثة وبرزوا فيها قل فيهم من كتب أبحاثه بلسانه العربى ، بل قل فيهم من يستطيع أن يعبر عما لديه من العلم بلغته العربية ، وهذا قد حرم جمهور الذين يتكلمونها ويقرأون بها ولا يحسنون غيرها من الانتفاع بهذه الثقافة العلمية .

ما سبب ذلك ؟

لعل أهم الأسباب أن أولئك العلماء لايحسنون التعبير ولا التفكير بلغتهم العربية بل إنهم يفكرون ويبحثون . ويبتكرون – إذا ابتكروا – باللغات الغربية ويجـدون ذلك أيسر عليهم أو ألصق بأفكارهم وتفكيرهم من استخدام لغة الأم التى تمس شغاف قلوبهم وتخالط مهجهم ومكونات أجسامهم وعقولهم .

ومثل هذا بل أشد من هـذا يقال فى تدريس العلوم الحديثة كالطـب والكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء ، وما يلقى الدارس والمدرس من عنت ورهق فى تلك الثنائية التى تفرض على كل منهما أن يفكر بلغة غير لغته فينفق من الجهد أضعافاً مضاعفة لو ادخر جانباً منها لا نتفع به فى الإتقان والإبداع والابتكار .

ثم إن هذه الفجوة بين اللسان والفكر تنعكس آثارها عـلى الحياة الاجتماعية بمعناها الواسع فتؤدى ، فى كثير من الأحيان إلى ما ندعوه سوء التفاهم بين الأفراد وبين الجماعات .

ذلك أنا لونظرنا إلى مناهـج المؤسسات الاجتماعية والسياسية نجدها فى الغالب متفقة الغايات متشابهة الوسائل فى ما يسطر على الورق وما تنـطق به الألسنة . ولكن الذى يكون عند الممارسة كثيراً ما يسلم إلى الخـلاف والشقاق ، بل إلى التناقض والاحتراب ، لأن كلا من أولئك لا يعنى ما يقول، أولا يحسن أن يعبر عمـا يعنيه وما يرمى إليه . وهذا ناشىء من الخـلل فى أداة التفكير ووسيلة التعبير وهى اللغة . ومرد هذا الخلل إلى اختلال قواعدها وعقم أساليب التعليم بها .

تيسير التعليم وتيسير عرض القواعد :

وقد كنت أقلب فى محاضر جلسات المجمع فوقفت على عبارة للدكتور طه حسـين عقب فيها على مناقشة مستفيضة فى موضوع أبواب الثلاثى قال فيها (رحمه الله) : نحن لا نستطيع إطلاقاً أن نبسط اللغة مهما كانت شاقةعسيرة ، ولكننا نملك تبسيط تعليمها فحسب .

وهذا حق لامراء فيه ، فإن اللغة صورة محكمة لفكر الأمة . وأصول اللغة وقواعدها قوام أسلوب التفكير وعماد بنيانها الفكرى والشعورى . ولغتنا العربية ، بما رعت من تراث فى الأدب وفى فنونه المختلفة ، بناء راسخ القواعـد متين الأركان ، قامت على تشييده وصقل حواشيه جهود أجيال ، حتى أكرمها الله بنزول الكتاب العزيز ، وأطلقها فى أرجاء هذه الأرض لغة الدين الحنيف والحضارة التى قامت بقيام الرسالة الإسلامية .

ولقد نهض لخدمة هذا اللسان العربى المبين أناس وقفوا عليها حياتهم وأنفقوا فى سبيلها جهدهم حتى أنشأوا علوم العربية على الصورة التى نعرفها اليوم ، ثم كان منهم ما يكون من الإنسان حين يغلو فى أمر من أمور الحياة ، يدفعه الحب الزائد والتعلق الشديد ، فلا يعود يتبين الوسيلة من الغاية ؛ وحين يمعن فى التدبر والتعمق فيتحول إلى ما يشبه التيه عن الغاية المطلوبة من البحث والدرس .

كان ذلك فى نحو العربية ، وهو فى أصله وفى حقيقته انتحاء كلام العرب واتباع سبيلهم فى التعبير وفى صوغ الكلام وتركيبه .

وكان ديدن تلك العصور التى دونت فيها علوم العربية يقضى بالتوسع فى التفريع والتقسيم ، والإفراط فى الاعتماد على المنطق الصورى والمبالغة فى التعليل وتعليل التعليل ، وتداخلت أنماط العلوم وأصناف المعرفة فتداخلت وسائل البحث وطرائقه حتى اختلطت تلك الطرائق بين تعليل نظرى مجرد لا يقوم على تجربة أو يستند إلى واقع وبين بحث لابد أن تكون أدلته وأسانيده ملموسة محسوسة مدركة .

ولعل أكثر علوم العربية حظاً من هذا التداخل والاتساع والاختلاط كان النحو ، ذلك العلم الذى قال فيه قائلهم إنه « نضج واحترق » . وأصبح من شدة العناية به والمبالغة فى خدمته يكاد يضيع هدفه ويجهل غايته ويتبدل قوامه ويتغير شكله وينحرف عن موضوعه .

ولقد ورثناه على هذه الصورة ، ونحن ألا نستطيع نفرغ له كما كان يفرغ له أسلافنا ، بل إنه ليس من شأن الدرس واكتساب المعرفة ، التى اتسعت آفاقها فى زمننا هذا ، أن نفرغ لجانب منها كان قدماؤنا بل كثير من معاصرينا يدعونه علم الآلة ؛ أى الأداة التى يفهم بها الكلام ويقدر بها على إنشائه والتعبير به صحيحاً فصيحاً سهل الوصول إلى الآخرين .

ثم إن بُعد العهد بالكلام الفصيح وتغير السلائق قد زاد فى الحاجة إلى « نحو » قريب المنال ، بل أن يكون أقرب منالا مما ورثنا من آثار أسلافنا فيه ، وهو فى الوقت نفسه أدنى إلى أفكار العصر وطرائق البحث والدرس فيه . حتى يجد الدارس له فى عقله صورة تخالط تفكيره ونماذج مداركه ، فلا يعود يتجرعه تجرع الدواء المر لا يسيغه الذوق ولا يرضاه .

وإن مما هو جدير أن يلتفت إليه ابتداء أن التيسير ليس فى حذف مسائل من النحو أو اختصارها أو تمهيد الوعر من مسالكه حسب ، ذلك جانب من جوانب التيسير وجزء من وظيفته ، ولعله ليس أهم تلك الجوانب ولا أولاها بالتقديم . وإنما الجانب الأهم والمقدم والأساس هو فقه النحو وفهم وظيفته على حقيقتها ، وتكوين المعلم الذى يستطيع أن يدرك ذلك ويتمثله فى ذهنه ، ثم يكون قادراً على إبلاغ هذا الطراز من المعرفة إلى الذين يقوم على تدريسهم .

امثلة من مصاعب النحو :

من ذلك ما يعرف بعلل النحو ، وهى علل يتداخل بعضها فى بعض بل يأخذ بعضها بخناق بعض كما يقال .

والتعليل فى كل قضايا العلم وظواهره ومسائله أمر لامناص منه ولا مفر . ولكن بقدر لا يخرج عن حدود العلم ووسائله فى البحث وهى الملاحظة والتجربة واستخدام العقل فى استنباط القاعدة وإجرائها والقياس عليها . ولكن علة التعليل فى النحو آتية من تسلسل العلل وإمعانها فى القياس المنطقى المجرد الذى يسلم أحياناً إلى البعد عن الواقع المحسوس ، بل ينتهى أحياناً إلى مالا يقبله العقل . مثال ذلك الكلام على رفع الفاعل يقال :لم رفع ؟ فيجاب لأنه فى موضع الإسناد فيقال ولماذا يرفع ما يكون فى موضع الإسناد فيقال لأنه ثقيل والرفع ثقيل فاختير له .

أما العامل فقد بالغ الذين دعوا إلى إلغائه ، إذ العامل فى النحو إنما هو المعنى . فمعنى الإسناد، وهو الوقوع موقع المسند أو المسند إليه أو العمدة فى الكلام ، هو الذى يقتضى الرفع وهو إذن عامل الرفع . ولكن الذى ينبغى أن يستبعد ويطرح هو التماس العامل التماساً متكلفاً ، ولا سيما العامل اللفظى . ففى مثل قوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يكون الاسم مرفوعاً لأنه فى موضع الإسناد إلى الفعل المذكور بعده . ولا قيمة لاحتجاج من يحتج بأن الفاعل لا يتقدم على الفعل . ولماذا لا يتقدم الفاعل ؟ يقولون لأنه سيكون مبتدأ . ولماذا يكون مبتدأ ؟ والمبتدأ هو المسند إليه فى الجملة الاسمية ، وهى فى الحقيقة ليست كل ما ابتدأ بالاسم بل إنها التى يخلو فيها المسند من معنى الزمن .

وقد يكون من أهم وسائل التيسير فى تعليم النحو العناية بالتفريق بين أنواع الجمل ولا سيما التفريق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، ولابد أن يقوم التفريق بينهما على

أساس صحيح مقبول ؛ كالاعتداد بمعنى الزمن ، وجوده فى ما يقع مسنداً فى الجملة الفعلية ، وعدم وجوده فى مسند الجملة الاسمية . ولا عبرة بالفارق الشكلى الذى يعدونه هو المائز بين الجملتين وهو تقدم المسند إليه فى الجملة الاسمية فيسمونه حينئذ المبتدأ .

دراسة التراكيب والأساليب :

ومما ينبغى أن يتجه إليه اهتمام دراسة الأساليب وأدواتها التى تسمى حروف المعانى دراسة متدرجة ، يقف بها الدارس — مثلما يقف فى اللغات الحديثة — على التفريق بين الإثبات والنفى والاستفهام والتأكيد والنداء ، ويميز بين الخبر والإنشاء ونحو ذلك مما يعصمه من التخبط فى تأويلات النحاة وتعليلاتهم التى لا يقبلها العقل من مثل تفسيرهم لأسلوب النداء ونصب المنادى ، ودعواهم أن ذلك إنما يكون بتقدير فعل ، وأن حرف النداء يقوم مقام فعل تقديره أدعو أو أنادى .

وبذلك أيضاً يعلم مراتب النفى ومعانيه مع كل أداة من أدواته ، ويعرف ضروب الخبر وضروب الإنشاء ويميز بين معانيها .

إن انصراف العناية بالإعراب جعل دراسة حروف من حروف النفى والنهى والطلب وتعلق الكلام بعضه ببعض ، تكون كلها فى باب الجزم . فـ « لم ولما » حرفا نفى ولام الأمر للطلب و « لا » للنهى وهما لمعنى الإنشاء وأدوات الشرط تعلق الكلام بعضه ببعض .

وقد يقال إن دراسة معانى هذه الحروف بما تؤثر فى التراكيب من اختصاص علم آخر من علوم العربية هو علم المعانى وأقول : إنه علم معانى النحو فلا يجوز ولا يصح أن يجرد النحو من معانيه .

الاعراب ومعانيه :

ثم إن الإعراب ، وهو أصل من أصول النحو ، قد أصبح هو الأصل الأول ، بل لقد انفرد بالنحو على وجه التقريب . وصار ما سواه من أصول النحو تابعاً له لايكاد يستقل بوظيفة من وظائفه . مثال ذلك تركيب الكلام وترتيب أجزائه تقديماً أو تأخيراً ، حذفاً أو إثباتاً . . .

فقد أحالها النحاة — غفر الله لهم — على علم المعانى ، فاستقل بها من دون نظر إلى علاقتها بالبحث النحوى ابتداء .

ولقد تحول البحث فى أحوال الإعراب عن جوهر الأمر وحقيقته فأصبح معنياً بالمظهر وبالشكل ، وأهمل فيه جانب المعنى .

بل أكرهت فيه أبواب على أن تلحق بما ليس من طبيعتها ولا من معناها . مثال ذلك ما يلاحظ فى باب الأسماء المجرورة. فقد ذهب النحاة إلى أن الجر علم الإضافة. وذلك يصح حقاً فى ما يعرف بالمضاف إليه ، وهو اسم ينسب إليه اسم آخر بقصد تخصيصه إن كان نكرة أو تعريفه إن كان معــرفة . فلــما وجدوا أن الأسماء التى تقع بعد حروف تصل بينها وبين الفعل أو شبهه صلة مفعولية ، لما وجدوها مجرورة ، قالوا فى الحروف إنها حروف الإضافة ، زاعمين أنها تضيف معانى الأفعال إلى الأسماء ، وهى إضافة أشبه بخرافة . إذ إنها حتى لو ارتضيت تسميتها حروف إضافة فهى إضافة لاتشابه إضافة اسمين أحدهما إلى الآخر ، فان تلك نسبة لهــا معناها المألوف ، وهذه إضافة مفعول إلى فعله على هيئة خاصة يعينها معنى الحرف .

ومثل ذلك بل أكثر منه يمكن أن يقال فى باب الأسماء المنصوبة التى زعموا أن النصب فيها هو علم المفعولية . وليت شعرى أى مفعولية فى الحال والتمييز ؟ بل أى مفعولية فى خبر « كان » وهو خبر مسند ، أو فى اسم « إن » وهو مسند إليه كان فى أصله مبتدأ ؟

الاعراب بالتقدير :

وإن من أشد المشاق فى تعليم النحو ما يلقاه الدارس والمدرس معاً فى تقدير ما يقدرونه محذوفاً . وهو باب واسع لايكاد يعرف مبدؤه من منتهاه . فالفاعل يقدر والفعل يقدر ، ومتعلق الجار والمجرور يقدر وغير ذلك كثير مما يحذف فى الكلام ، فلا بد لإجراء الإعراب أن يقدر . ومنه ما هو واجب الحذف وهو أيضاً واجب التقدير – حتى إن هذا التقدير صار معياراً لقدرة المعرب النحوى وبراعته .

ولقد حاول بعض الأفاضل ممن تصدى لتيسير مسائل النحو أن يستغنوا عن الإعراب التقديرى بإسقاطه من مناهج الدراسة . وفى ذلك حقاً تيسير على الدارسين ولكن أولى بمن يتصدى لذلك أن يفقه أمر التقدير ويعرف حقيقته ، فهو فى حقيقته مما احترق فيه النحو – كما جاء فى مقالة مؤرخيه – حتى صار مما ينكر مظهره ويستنكر جوهره ، ولو أزيح هذا الذى تراكم من فوقه لبدا الأمر على غير هذه الصورة . ذلك أن التقدير عندهم قائم فى الأساس على وجود أجزاء فى الكلام بالضرورة ، كالفعل والفاعل والمبتدأ

والخبر ونحو ذلك من أركان الجملة ، فإذا حذف واحد منها اكتفاء أو استغناء بذكره سابقاً قالوا بتقديره وتكلفوا لذلك وتعسفوا .

ولو أنهم أخذوا فى درس الكلام جملة لا ألفاظاً مفردة ، لوجدوا ما يغنى عن التقدير أو يجعله على كل حال مقبولا بعيداً عن التعسف . مثال ذلك استتار الفاعل حين يتقدم لفظه نحو : يحضر زيد ويدرس ويتعلم . . . إلخ فالفاعل مذكور مع الفعل الأول وهو نفسه فاعل الفعلين بعد .

والفاعل إن كان ضمير متكلم أو مخاطب لا يصح ولا يجوز أن يذكر وإنما تشير علامة التكلم والخطاب فى الفعل إليه فلا يقول قائل : أحضر أحمد ، أو تقوم على ، بنية اعتداد الاسم الظاهر فاعلا . فلو أن منهج الدراسة النحوية أخذ بدراسة المواضع التى لا حاجة فيها لذكر الفاعل لا ستغنى الدارس والمدرس كلاهما عن تجشم تلك الوعورة فى التقدير .

ومن أمثلة ذلك قضية تعلق الجار والمجرور بمحذوف . ذلك أن تعلقهما بمذكور والاهتداء إلى ذلك المتعلق هو فى حد ذاته من أوعر المسالك . لأن فهم وظيفة الاسم المجرور بالحرف قد انقلب فى النحو وانحرف فصار جزءاً من الإضافة اطراداً لمقولتهم « الجر علم الإضافة » . وهو فى حقيقته مفعول لفعل أو شبه فعل لم يباشره وإنما وصل إليه بحرف الجر .

ولقد أصبح من الحديث المعاد القول : إن النحو قد ضاقت به السبل فأصبح يكاد يقتصر على مسائل الإعراب وأحواله ،أصولها وفروعها وأن الإعراب صار هو محور الدراسة النحوية.

أما انحاء كلام العرب فى التراكيب والأساليب فقد تخفى خلف قضايا الرفع والنصب والخفض والجزم وعواملها فى الأسماء والأفعال. وقلما تلم كتب النحو بأمور الحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل والخبر والإنشاء وغير ذلك من أحوال التركيب إلا حيث يؤثر ذلك فى الإعراب ، وهذا بلا ريب خطأ منهجى هو الذى أسلم إلى ما أصبح موضع الشكوى من غلبة الإعراب على منهج النحو وموضوعه .

وليس المراد بهذا الكلام إهمال الإعراب أو الدعوة التى ربما دعا بها بعضهم إلى إلغاء الإعراب تسهيلا على الدارسين والناطقين بالعربية فى زعمهم . ولكن المراد بهذا أن يدرس الإعراب من حيث معناه ، ويعرف لكل حال من أحواله ما تدل عليه وما تعنيه

فى التركيب . وحين يعرف الدارس أن الرفع لما لا غنى عنه فى التركيب وأن الخفض لأدنى الأسماء مرتبة فيه ، مما يأتى لمجرد تعريف غيره به ونسبته إليه ، أو لما هو فى موقع المفعول ولكن الفعل لا يباشر أثره فيه أو يصل إليه بنفسه ، إذا عرف الدارس هذه المعانى وأمثالها رسخ فى فكره معنى الرفع وما أراده به الذين وضعوه من رفع مكانة الاسم أو الفعل الواقعين موقع الإسناد ماداما قد استقلا بهذا الموقع فلم يعتمدا على أداة كـ « إن » وأخواتها مع المسند إليه فى الجملة الاسمية ، وكحروف النصب والجزم فى الفعل المضارع .

إن من المهم حقاً أن تعود إلى هـذه الأسماء معانيها التى وضعها لها أهل العربية ابتداء . ذلك أن قولهم رفع ونصب وخفض وجزم مقصود به معنى من الأصل اللغوى لهـذه الألفاظ .

فالمرفوع موضعه من الكلام المرتبة الرفيعة التى لا يكون الكلام إلا بوجوده فيه ، والخفض للمرتبة المخفوضة التى لا يرقى فيها اللفظ إلى مرتبة الضرورة فى الكلام . والنصب مرتبة وسطى تتسع لمعان متعددة والجزم قطع للحركة من آخر الفعل المعرب لأنه إما قـد خرج إلى معنى الإنشاء أو أنه تحول إلى معنى غير معناه(انقلب إلى معنى المضى) أو لأنه فقد شطراً من دلالته الفعلية (الشرط) . ولولا خشية الإملال لجىء بالأمثلة التى توضح ذلك .

وقد يقال فى مثل هذا الكلام إنه ليس من التيسير بل هو تعقيد وزيادة فى مسائل النحو وقضاياه .

وقد يكون بعض هذا القول صحيحاً ، ولكن هذه الزيادة ليس مراداً بها أن تضاف إلى مناهج النحو للشداة والمبتدئين ، ولكن المراد أن يتفقه بها المدرسون والمتخصصون الذين إذا فقهوا مسائل النحو وأسسها وأصولها استطاعوا أن يعرضوها للدارسين واضحة سهلة ميسرة ، لأنها فى أذهانهم وأفكارهم كذلك واضحة بينة ، وليست مجرد عبارات استظهروها فليس لها فى واقع تفكيرهم من أثر إلا الإعنات والغموض والإبهام .

وإذا أريد تيسير تعليم النحو فلا بد أن يصار إلى البحث عما اصطنع فيه من مسائل وأبواب قاد إلى اصطناعها القياس المجرد بتسلسله البعيد عن واقع اللغة ، فاصطنع لها أمثلة وعبارات لم ترد فى كلام العرب ولم ترو فى المأثور .

مثال ذلك أجزاء من بحث التنازع والاشتغال وباب التدريب النحـوى ، وما اشتمل عليه كالإخبار بالذى فروعه من أوضح الأمثلة .

إن دراسة النحو وتدريسه ينبغى أن تقوم على دراسة التركيب جملة فى البداية ، حتى إذا وقف الدارس على ما ينبغى أن يقف عليه ، يصار إلى تبين أحـوال الألفاظ المفردة وعلاقتها بعضها ببعض وأثر ذلك فى حركات أواخرها .

وعندما يحيط الدارس علماً بألوان التركيب وضروبه وكيف يعبر المتكلم عن نفسه ، مخبراً أو منشئاً ، لا بد أن يعرض للأدوات من حروف وأشباه حروف وكيف تؤدى بها المعانى المختلفة .

حروف المعانى :

إن حروف المعانى من أهم أجزاء الكلام ، وعليها يتوقف جانب الدقة فى أداء معنى الكلام وفى فهمه وإدراك مراميه ، وهى خليقة أن تدرس على غير الصورة التى جرت عليها العادة ، إذ يكاد يقتصر على دراسة آثارها فى ما بعدها من ألفاظ وبخاصة أثرها الإعرابى ، ولا يكاد يلتفت إلى معانيها المختلفة والفروق التى تكون بين تلك المعانى كالفرق بين « ما » و « لا » فى النفى وبين هـل والهمزة فى الاستفهام ونحو ذلك .

ولابد أن يزاح ماران على بعض عبارات النحاة فى بيان معانى تلك الحروف من مثل قولهم فى « إذا » إنها ظرف لمـا يستقبل من الزمان ، خافض لشرطه منصوب بجوابه . هذا القول الذى يحفظه الدارسون ويرددونه من دون فهم لحقيقة معناه . ولو كشف لهم عنها لاهتدوا بها إلى مواضع استعمال إذا والفرق بينها وبين نظيراتها من أدوات الشرط والتعليق و « إن ولو » ونحوهما .

ومثل ذلك يقال فى « لم » بأنها حرف نفى وجزم وقلب . إن فهم معنى هـذه العبارة يجعل الدارس مدركاً لموضع استعمال « لم » والفرق بينها وبين قريناتها من حروف نفى الفعل كـ « لا ولن ولما » .

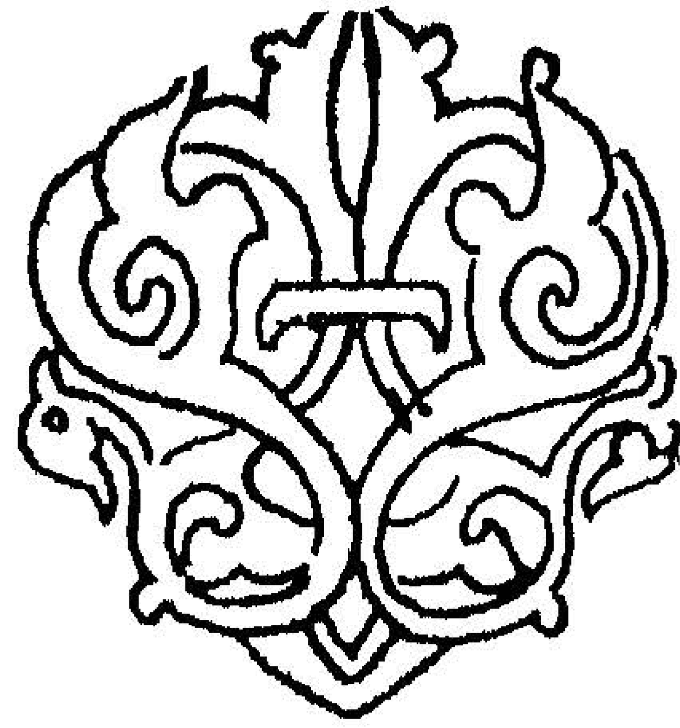
ولا ريب أن العناية بمعانى حروف العطف ، ومواطن استعمال كل منها ، والمعانى التى تتردد فيها الواو مثلا ممـا يطلق دراسة العطف وحروفه من أسر انفراد الإعراب وتبعيته الظاهرة بها ومن صرف العناية إلى اشتراك حروف العطف فى ما يكون من إتباع ما بعدها لما قبلها فى الإعراب وحركاته فحسب

وفى الحق إن تيسير تعليم النحو وعلوم العربية عموماً ليس أمراً قائماً بذاته منقطعا عما سواه من أنماط التعليم وموضوعاته ، بل إنه يتصل بها أوثق الاتصال ويتفاعل معها كما يقال ، ويستعين بها فى تمهيد سبله وتيسير وسائله ، مثلما تستفيد هى من تيسير تعليم النحو وإتقان مادته وتسديد طريقته .

وإن مما يعين على ذلك أن تكون العربية الفصيحة هى لسان المعلم والمتعلم فى حجرات الدرس ، وأن تهجر العامية فى مجال إلقاء الدروس وفى ما يجرى من مناقشات ومحاورات فى المحيط المدرسى . إن ذلك ينتج ألفة للعربية الفصيحة وانجذاباً إلى ما تمتاز به وما تشتمل عليه من آثار فيها ما فيها من فن التعبير الجميل الدقيق المتقن ، فيقبل المعلم والمتعلم على الاستزادة من ثقافتها ، ويعينه ذلك على إتقان اللغة فهماً لما يقرأ ، وقدرة على الأداء والإبانة والإفصاح ، ويسراً فى التواصل الفكرى والشعورى .

وبعد فهذه خواطر شتى فى تيسير تعليم النحو ، لعل فيها شيئاً من التذكير .(إن الذكرى تنفع المؤمنين)

الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
عضو المجمع (العراق)



نحو معجم موحد لألفاظ الحضارة
للدكتور عبد الكريم خليفة

أيها العلماء الأفاضل ، شيوخ العربية وحماتها .

سيداتى . . . سادتى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإنه لشرف كبير أعتز به ، أن أقف فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فى حرم مجمع اللغة الخالدة ، لكى أقدم أزكى تحية وخالص الاحترام ، لشيوخ العربية وفرسانها ، الذائدين عن حياضها ، والمدافعين عن كرامتها ، والباذلين فى سبيلها أكرم ما يبذله الإنسان من عقله وجسمه . فتحية عطرة أزجيها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة الحبيبة ؛ حصن العروبة والإسلام ، هكذا وجدت منذ بنائها وهكذا ستبقى إلى الأبد أن شاء الله . تحية أزجيها باسمى واسم مجمعكم فى بلدكم الأردن الصامد أمام أشرس هجمة استعمارية صهيونية تستهدف الوطن والأهل وأولى القبلتين .

إنها أيها الأخوة الزملاء تحية الحب والاحترام والعرفان بالفضل والعلم ، أقدمها باسم مجمعكم الأردنى الفتى إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة العزيزة ، إلى مجمع اللغة الخالدة هذه اللغة التى شرفها الله سبحانه وتعالى وأعزها بأن جعلها لغة القرآن الكريم فأصبحت خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز . إنها أيها العلماء الأجلاء تحية التلميذ لشيخه . . وهل هناك أسمى من هذه العلاقة الروحية . . . ألسنا فى ذلك فى صميم قيم خلقية وإنسانية سامية يعتز بها تراث أمتنا العظيمة عبر تاريخها الزاهر . . . وإنه مما يميز تراثنا هذه العلاقة الإنسانية الرفيعة التى تصل بين التلميذ وشيخه . . . فالتلميذ يعتز بشيخه ، والشيخ يفخر بتلاميذه ويحوطهم بعنايته ورعايته .

أيها السادة العلماء إننا نجتمع اليوم فى حرم اللغة الخالدة كى نحتفل بمناسبة كريمة

(*) ألقى البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

عزيزة على قلوبنا جميعاً إنها مناسبة مجمعنا القاهرى فى عيده الخمسينى الزاهر ، وإن كنا نعلم يقيناً أن عمره المعطاء ، من حيث هو فكرة وجهد ، تمتد إلى أبعد من ذلك بخمسين سنة أخرى . . وأستغفر الله من زلل اللسان ، فإننى أتحدث عن عمره الزمنى فى نهضتنا الحديثة . . إذ أن عمره الحقيقى قد بدأ منذ بدأت أرض الكنانة الغالية ، بشعبها المعطاء وعلمائها الأفذاذ ، فى رفع راية القرآن وصنع تاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية ، وذلك منذ قرون عدة . وليس هذا العيد الخمسينى الزاهر ، سوى رمز لما يمثله هذا الانعطاف الحضارى فى تاريخنا الحديث وإن المؤرخ الحق ، الذى يكتب تاريخ أمتنا العربية فى العصر الحديث — ولما يكتب بعد هذا التاريخ — ، لابد أن يخص اللغة العربية ومسيرتها فى العصر الحديث ، بمكانة متميزة . فهى فى مسيرتها التاريخية تمثل مسيرة أمتنا فى مختلف أقطارها .

فالعربية الفصحى ، لغة الفكر والعلم ، لغة المعرفة الإنسانية والحضارة العالمية ، احتلت المكانة الأولى لعدة قرون من تاريخنا الزاهر . وهى من حيث الواقع تجسد جوهر وجود أمتنا فى كونها لغة العروبة والإسلام . هذه الأمة المتميزة بلغتها وحضارتها التى شرفها الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام ، تحمل لواءه إلى أمم الأرض قاطبة . فكانت مصدر إشعاع لقيم إنسانية سامية . تساوى بين جميع بنى البشر على مختلف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم ، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . وها هى أمتنا تخوض نضالا مريرا من أجل بقائها حرة عزيزة موحدة .

ونحن إذا استعرضنا صفحات هذا التاريخ ، ولاسيما الحديث منه ، ألفينا أن كل حملة من حملات الاستعمار ، منذ القرن التاسع عشر ، وكل اعتداء على هذه الأمة فى مختلف أقطارها ، كان ومازال يستهدف ، أول مايستهدف ، اللغة العربية الفصحى وتراث أمتنا وعقيدتها ، سواء أكان ذلك فى المغرب العربى أم فى الشرق .

فإذا رجعنا إلى الوثائق والكتابات التى بين أيدينا ، ولاسيما فيما كان يدور بين دعاة العامية ، من حاقدين ومغرضين ، والمنافحين عن العربية الفصحى وكرامتها ، وجدنا توافقا كليا بين الهجوم على الأمة ومحاولة اغتصاب أوطانها واستباحة أموالها وكرامتها ، وبين الهجوم على اللغة العربية الفصحى وعقيدة الأمة وتراثها . وإن النظرة الشاملة قادرة على تتبع ذلك فى تاريخنا المعاصر ، منذ احتلال الفرنسيين

الشمال الأفريقى والاحتلال الإنجليزى لمصر ، مارين بتصفية الدولة العثمانية وتقاسم الدول الاستعمارية من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين للبلاد العربية حتى الهجمة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية الأوروبية الشرسة ، التى مازال أتونها يستعر ، وتهب سمومها على وطننا العربى بخاصة ، وعلى أمتنا الإسلامية بعامة ، ونكتفى فى هذا الموضع بأن نشير فقط إلى ما كتبه علماؤنا من جهابذة العربية فى منافحتهم عن تراث الأمة ولغتها والتصدى لأعدائها ، وكذلك إلى مادونه الباحثون من تاريخ الصراع بين العامية والفصحى ، ولاسيما فى أرض الكنانة الغالية ، فقد نافح شيوخ العربية وحماتها عن جوهر وجود أمتنا بذبهم عن حياض اللغة العربية الفصحى الخالدة ، جزاهم الله عن العربية والإسلام خيرا . لقد ظهرت مؤلفات استطاعت أن تتتبع جذور الدعوة إلى العامية ، وأن تعرض بصورة شاملة ، طبيعة هذا الصراع الخبيث ، بأبعاده السياسية والعقائدية ، وعلى اختلاف مظاهره ، وأزيائه التى يختفى تحتها .(1)

وكان الصراع بين العربية الفصحى وأعدائها من الداعين إلى العامية وغيرهم ، يشتد أحيانا ويخبو أحيانا أخرى . وقد بلغت هذه المعركة الحاقدة ، للنيل من اللغة العربية الفصيحة ، إلى الحد الذى يقول فيه العالم الجليل عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ على النجدى ناصف ، فى كتابه « من قضايا اللغة والنحو » : وأعجب ماعجبنا له من شئون العامية ، أنها استطاعت فى وقت ما أن تقتحم مجمع اللغة العربية ، وتجد بين المجمعيين من يحنو عليها ، ويدعو إلى اصطناعها فى إنتاج لون من الأدب للشعب ، لأنه يعيش ، بسبب اللغة الفصيحة واستئثار الخاصة بها ، فى عزلة ووحشة فى دنيا الأدب . فالمفهوم أن مجمع اللغة العربية آخر مكان يظن أن يكون للعامية فيه اعتبار ، وأن المجمعيين آخر من يظن أن يحسبوا للعامية حسابا فى الإنتاج الأدبى على وجه من الوجوه .

« والمشكلة فى صميمها مشكلة الجهل والفقر ، فإذا أردنا أن نحلها حلا حاسما ، فعلينا أن نواصل العمل فى جد ودأب ، على رفع مستوى الشعب العقلى والاقتصادى معا . . . » إلى أن يقول : « على أن المجمع ، حفاظا على سمته ، وجهادا فى رسالته ،

انظر :

(١) محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسمار ، القاهرة .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .

(٣) نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها فى مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

لم يقر صاحب الرأى على رأيه ، ولا شاركه فيه ، فمضى مع الأيام ، كما يمضى كل رأى غير صالح للبقاء»[1] .

ومضى مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة يعالج قضايا اللغة العربية ، بدراسات علمية مبدعة ، حريصا على سلامة اللغة من ناحية وعلى جعلها مطواعة قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية من ناحية أخرى ، تعالج تيسير قضايا النحو واللغة والإملاء ، وتميز إلى جانب ذلك كله بما بذله من جهود خيرة خصبة فى مجال المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، فكانت له آراء قويمة واجتهادات صائبة . مثال ذلك : اجتهاده فى فتح باب الوضع بوسائله المعروفة من اشتقاق ونحت ومجاز وارتجال . . . وذلك لاستيعاب هذا السيل الضخم من المعـارف الجديدة . وقد نص قراره المعروف : بأن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال . وكذلك الشأن فى قبوله السماع من المحدثين ، بشرط أن تدرس كل كلمة قبل إقرارها . . .

كانت أغراض المجمع واضحة محددة منذ صدور مرسوم إنشائه فى الرابع عشر من شهر شعبان — ١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر—١٩٣٢م . فقد ورد فى الفقرة (أ) من المادة الثانية حول أغراض المجمع ما نصه :

(أ) المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

أيها السادة العلماء ، ليس من غرضى فى هذه الكلمة القصيرة ، أن أستعرض جهود مجمعنا العتيد بالقاهرة ، ولا أن أعدد منجزاته الضخمة الأصيلة ، على الرغم من الصعاب التى اكتنفت مسيرته المظفرة ، ولكننى أود أن أقول : إن تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة قبل نيف وخمسين عاما ، كان إيذانا بانتصار العربية الفصحى وتبوئها مكانتها الرسمية فى مؤسسات الدولة ، وكان قبل ذلك بحوالى عقد من الزمن قد رفع رايتها مجمع اللغة الخالدة فى دمشق الفيحاء .

---

(١) على النجدى ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، ص ٤٨ — ٤٩ ، القاهرة .

جاء تأسيس المجمع بالقاهرة إيذانا بانتصار مظفر للغة العربية الفصحى فى معركة دامت أيضا خمسين سنة قبل إنشائه . وقبيل تأسيس المجمع يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « والوسيلة التى تنهض باللغة ، وترفعها إلى مستوى اللغات الراقية ، هى الوسيلة التى نهضت بتلك اللغات الحية ، وجعلتها تسير مع العلم والحضارة كتفا لكتف ، أعنى تأليف مجمع لغوى ينظر فيما تجدد أو يتجدد من المعانى ، ويضع لكل معنى لفظا يناسبه . إلى أن يقول : « وإنما يشفى غلة العلوم المتكاثرة ، ويملاء عين المدنية الزاخرة ، تأليف مجمع لغوى يسير مع العلوم والمدنية ، ولايتأخر عنها طرفة عين »[1] .

وفى مسيرة نصف قرن ، حقق المجمع منجزات علمية ضخمة ، وكانت له جهود متميزة فى تيسير المصطلح العلمى ، وذلك من خلال منهجية علمية تحرص على أصالة اللغة وسلامتها ، من ناحية ، وعلى الانطلاق بها لاستيعاب هذا السيل الهائل من المصطلحات والرموز التى تتزايد بتسارع كبير ، ولاسيما فى النصف الثانى من القرن العشرين من ناحية أخرى . ومن سمات هذه المنهجية استفتاؤه للتراث جهد الطاقة ، واستخراجه منه ماله صلة بما يطرح على بساط البحث ، متلمسا مستندا وحجة فى باب الاجتهاد والتجديد .

ولكن من الأسف لم تجد هذه الجهود العلمية الضخمة طريقها للتنفيذ والحياة العملية فى أكثر الأحوال ، واستمرت سياسة إقصاء العربية عن لغة التدريس الجامعى فى الكليات العلمية وفى الدراسات العليا وفى البحث العلمى ، متذرعة بتبريرات زائفة وحجج واهية لاتعدم لها أنصارا . وإذا كانت مجامعنا اللغوية وقد مضى على إنشائها أكثر من نصف قرن ، لما « تشف غلة العلوم المتكاثرة » ولما « تملأ » بعد « عين المدنية الزاخرة » فإن السبب فى ذلك ، بعيد كل البعد عن أن تكون له علاقة باللغة العربية نفسها ، من حيث هى لغة ، ولا بالمجامع اللغوية التى تضم جهابذة من علمائنا الأفذاذ ، وإنما الأمر يتعلق بالسياسة التعليمية التى فرضت على الوطن العربى ، فى مشرقه وفى مغربه . وإن سياسة إقصاء اللغة العربية عن مجالاتها العلمية والتقنية ، التى مازالت مع الأسف مستمرة فى كثير من أقطار الوطن العربى ، ماهى إلا أصداء للمعركة التى تخوضها العربية الفصحى منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر . وإن هذا الصراع اللغوى هو فى حقيقته صراع أمتنا بين البقاء فى التبعية الفكرية والحضارية والسياسية من ناحية ، والتحرر

---

(١) محمد الخضر حسين : القياس فى اللغة العربية ص ٢٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ

والإبداع والمشاركة الأصلية فى بناءالحضارة العالمية من ناحية أخرى. وإن وضع آلاف المصطلحات العلمية وتكديسها على رفوف المكتبات لايغنى شيئا ، إذا لم تصبح اللغة العربية الفصحى لغة التدريس فى جميع مستوياته ، ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، ونمو اللغة يعنى حياتها فى جميع الشؤون والأغراض الإنسانية .

أيها السادة العلماء فعلى الرغم من التجزئة السياسية التى فرضها الاستعمار على أقطار أمتنا وبذله الجهد فى تعميق الحواجز ، وتغذيته أسباب القطيعة ، من خلال عملائه وحلفائه من الحاقدين على تراث هذه الأمة والمنتفعين بهذه التجزئة والقطيعة ، أقول فعلى الرغم من هذا كله ، فإن اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الخالد ، تقف طودا شامخا تجمع حولها أبناء أمتنا وترص صفوفهم وتوحد اتجاهاتهم ومشاعرهم . وإن أهم ماتتميز به لغتنا العربية عن جميع اللغات ، على حد مانعلم ، أنها فضلا عن كونها فكرا وتعبيرا عن الفكر ، فهى فى ذاتها لغة التراث عبر القرون ، ولغة الإسلام فى هذا الكون :

وقد أدركت مجامعنا اللغوية هذه الحقائق منذ البداية ، وأن اللغة العربية الفصحى هى الدعامة الأساسية فى بناء وحدة الأمة ، فعملت هذه المجامع على توثيق الروابط بينها من خلال علمائها المجمعيين . . . وإن حاجات العصر وطبيعة الظروف التى تمر بها أمتنا ، وهـــذه الثورة العلمية التى تزداد بتسارع هائل ، لتفرض على مجامعنا ومؤسساتنا العلمية والجامعية والمهنية واجبات ضخمة ، تهدف إلى جعل اللغة العربية لغة العلوم والفنون والحياة فى الوطن العربى . وإذا كان النص القرآنى يتكفل دوما بتوحيد اللغة الأدبية ، فإن جهودا كبيرة يجب أن تبذل من أجل توحيد اللغة العلمية والتقنية ولغة أصحاب المهن ومتطلبات الحياة الحضارية .

وإنه لمن بدهيات الأمـــور ، أن يكون هنالك مجمع واحد للغة واحدة ، يعنى بها لغة عربية فصحى موحدة فى العلوم والفنون والحياة الحضارية ، وفى جميع أقطار الوطن العربى . ولاشك أن فكرة اتحاد المجامع اللغوية العربية ، قد ظهرت تعبيرا طبيعيا عن هذا الواقع اللغوى ، الذى تخوض فيه العربية الفصحى صراعا مريرا مع أعداء الأمس واليوم . وإننا ننظر ، بعين الأمل ، إلى اتحاد مجامعنا لكى يصبح فى المستقبل القريب ، إن شاء الله ، مجمعاً واحدا للغة العربية .

ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لكى ينهض اتحاد المجامع اللغوية بواجباته التاريخية ، من خلال المجامع اللغوية العربية ، ومن خلال الجامعات العربية والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى ، لتحقيق مشروعين أساسيين هما : المعجم التاريخى للغة العربية ، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة . أما أولا هما فهو مانصت عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م حيث يقول : «أن يقوم (أى المجمع) بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها » وعلى الرغم من أن مجمعنا العتيد بالقاهرة قد حقق منجزات مهمة فى مجال المعاجم ، بما فى ذلك مشروعه الضخم ، « المعجم الكبير » ، فإن لغتنا تنقصها موسوعة تضم كل عناصر اللغة ، وتدون تطورها على مر العصور ، وكل أنواع الأساليب فيها ، وتأتى بشواهد لكل منها تبين النادر أو الكثير الورود ، وتبين العام منها والخاص فى النثر أو فى الشعر .

وقد بات من الضرورى أن تتضافر الجهود فى الأقطار العربية من أجل وضع هذا المعجم التاريخى ، بأن تبحث كل كلمة على حدة . عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها فى اللغة العربية وحدها أو اشتراكها فيها مع أخواتها من اللغات السامية . . . وعن مصدرها : إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة ، ومن أية لغة دخلت إذا كانت دخيلة ، وعن زمن ابتكارها أو زمن استعارتها ، وعن تغير شكلها أو معناها ، وإذا كانت اللفظة قد زالت من الاستعمال جرى تتبع زمن زوالها ، وبهذا يكون لكل كلمة فى اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ،(١) وذلك على غرار المعاجم التاريخية لكثير من لغات الأمم المتقدمة .

ونحن نعتقد أن إنجاز مثل هذا المشروع الحيوى ، ركن أساسى من أركان نهضة أمتنا من خلال لغتها ، فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لتاريخ اللغة العربية وتتطور دلالة الألفاظ فيها ، ستقدم صورة دقيقة لتاريخ الحضارة العربية .

وأما المشروع الآخر ، فيتمثل بوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة . وإن الاحتفال بالعيد الخمسينى الزاهر لمجمعنا الشيخ بالقاهـرة ، لمناسبة مهمة ، تؤذن بانتقالة تاريخية فى حياة اللغة العربية ، بأن تصبح لغة التدريس الجامعى فى جميع مجـالات العلوم والفنون ، ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لدينا لغة

---

(١) انظر : مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، ص٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

عربية واحدة تشمل جميع مناحى الحياة : العلمية والاجتماعية والاقتصادية . فاللغة ، كما هو معروف ، أقوى دعائم التوثيق بين الأفراد والشعوب ، وأن العربية الفصحى تمثل حضارة أمتنا . ومن هنا تحتل المسألة اللغوية مكانة متميزة فى تاريخ نهضتنا الحديثة .

لقد بات من الضرورى وجود معجم حديث ، ليس فقط لكى يستجيب لحاجات العصر الحديث ، ولكن لكى يوحد أسماء الأشياء والأدوات والآلات ، وجميع مايستعمله الإنسان العربى من مأكل وملبس وأثاث ، وجميع مايخص حياته فى عالم الحيوان والنبات ، وفى شتى أنواع المهن ، من فلاحة وتجارة وصناعة . . . الخ .

إن هذا الاتجاه فى التوحد اللغوى ، الذى تسلكه العربية الفصحى فى صراعها مع العاميات واللهجات والشعوبيين لايصدر فقط عن كونها لغة التراث العربى عبر القرون، فى مجالاته الأدبية والعلمية والحضارية ، ولايصدر عن كونها لغة القرآن الكريم ، وبالتالى فهى ليست لغة قوم من الناس فقط ، ولكنها تخص المسلمين جميعا : فهذا الاتجاه فى التوحد اللغوى لايصدر عن هذا كله فقط ، ولكنه يصدر أيضا عن اتجاه أصيل نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وهو أحد اتجاهين أصيلين متعارضين تخضع لهما حياة كل لغة من اللغات ، إذ يرى اللغويون أن فى حياة اللغة ميلين متعارضين : أحدهما نحو التقسيم إلى لغات ولهجات ، والثانى نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسيم والتوحد كلاهما فعل أحداث تؤثر فى الجماعات[1] .

وقد بنى خصوم العربية الفصحى ، من استعماريين وشعوبيين وحاقدين ، نظريتهم فى محاربة اللغة العربية الفصحى على المقولة التى مؤداها أن الاتجاه فى حياة اللغة نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحد ، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة . وحجتهم فى ذلك مارصده علماء اللغة ، بصورة عامة ، من ظواهر فى حياة اللغة ، حيث وجدوا أنه لم تظهر لغة عامة إلا تقسمت فى لغات كثيرة . وعلى هذا الأساس وضعوا فرضيتهم القائلة ، ولماذا تكون اللغة العربية الفصحى بمنأى عما يصدق من قوانين على اللغات الأخرى ! !

وقد فاتهم ، وأعماهم الحقد والهوى ، عن النظر إلى الجانب الآخر من هذه النظرية اللغوية نفسها ، التى مؤداها أن هنالك قوى لايجوز التغافل عنها ، تعمل

---

(١) انظر : محمود السمران ، اللغة والمجتمع – رأى ومنهج ، ص ١٧٠ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

فى الاتجاه المضاد ، وأن هذه القوى الموحدة ، كانت فى العصور التاريخية أقوى فى حقيقة الأمر من االقوى المقسمة ، وإنها لكذلك فى الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك أيضا فى المستقبل .[1] ومما يستشهد به العالم اللغوى جسبرسن على صحة رأيه هو ، أنه على الرغم من أن عدد اللغات الآن أكثر منه فى بعض العصور الماضية ، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة — فى عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاما لم يعرف من قبل — هو فى معظم الحالات أكثر أضعافا مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . : . ولا أدل على ذلك من عدد المتكلمين بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية وغيرها .

أيها السادة العلماء : ليس من هدفى فى هذه الكلمة دراسة العوامل التى تساعد على ظهور لغة عامة وعلى نشرها ، ولكننى أود أن أسجل ، فى هذه المناسبة الزاهرة من أمجاد لغتنا العربية الفصحى ، على الرغم مما يثار فى طريقها من عقبات ومعوقات ، أنها تمثل فى مسيرتها التاريخية ، وفى حياتها الخالدة ، الاتجاه نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وأن مسيرتها هذه ، تجرى وفق قوانين الطبيعة ونواميس الحياة .

لقد أشرنا ، سابقا ، إلى مدى الترابط بين مسيرة اللغة العربية الفصحى ، فى نموها وازدهارها ونضالها من أجل استعادة سيادتها فى وطنها ، ومسيرة أمتنا فى تحررها وتقدمها ووحدتها . ونحن إذا نظرنا إلى العالم من حولنا وجدناه عالم الكتل الكبير ولاشأن فيه للصغار ولا للضعاف ،وقد أدركت الأمم الأوروبية هذه الحقيقة ، بعد الحرب العالمية الثانية ،فبدأت بمحاولاتها للوحدة الأوروبية ، الاقتصادية والسياسية أيضا ، على الرغم من اختلاف لغاتها وشعوبها ، وعلى الرغم من العداء التاريخى المستحكم بينها عبر القرون .

وإذا وجهنا نظرنا إلى أمتنا العربية وروابطها التاريخية واللغوية والروحية المتينة ، نجد الأمر مختلفا كل الاختلاف ، فعوامل الوحدة كثيرة وأصيلة تعيش فى ضمير الأمة ، مرتبطة بعقيدتها ولغتها ، وأن عوامل الفرقة ، عوامل مصطنعة مفروضة على أمتنا بمختلف وسائل القهر والسلطان .

وتحتل اللغة العربية الفصحى المكانة الأولى فى توثيق دعائم الوحدة بين أبناء أمتنا العربية ، ولابد من أن تتكامل وحدة هذه اللغة فى جميع مجالات العلوم والفنون

---

(١) انظر : رأى العالم اللغوى جسبرسن ، عن المصدر نفسه .

والآداب ومقتضيات الحياة الحضارية . فكما أن الضرورة تقضى بأن تكون العربية لغة التعليم والبحث العلمى فى جميع مستوياته ، وفى العلوم كافة ، فإن الضرورة نفسها تقضى بأن تكون هنالك لغة علمية موحدة ، وأن تكون هنالك لغة مهنية موحدة ، ولغة حضارية موحدة . بل إن العصر الذى نعيش فيه ، والذى يتميز بتفجر المعرفة الإنسانية ، ولاسيما فى عالم التقنيات الحديثة ، ليفرض على مؤسساتنا اللغوية ، ليس فقط وحدة اللغة المكتوبة ووحدة الألفاظ الحضارية التى نستعملها فى حياتنا اليومية ، بل وتفرض عليها واجب العمل على التقريب بين اللهجات ، أى بين نواحى النطق فى اللغة المسموعة والمحكية فى جميع أقطار البلاد العربية . وإننى أستطيع أن أقول : لقد دخلنا الآن فى عصر بدأت فيه الدراسة السمعية للغة تحتل مكانة متميزة إلى جانب الدراسة البصرية . وعلى حد تعبير الأستاذ إبراهيم أنيس : « فيجب أن لاتنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن فى مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التى تعمل على توحيدها أو التقريب بينها »(١) .

ألا نرى أن ثورة لغوية عارمة قد بدأت منذ عشرينيات هذا القرن ، وازدادت خطورة فى العقدين الأخيرين ، حيث أحدث التقدم الهائل فى تقنيات وسائل الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة وبين أمم الأرض جميعها وشعوبها المختلفة ، وما صاحبه من اتصال لغوى واسع ، تغيرات كبيرة فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، فالهاتف واللاسلكى والطيران والإذاعة بنوعيها : المسموعة والمرئية ، والسينما والصحافة بتقنياتها المتسارعة فى تطورها تمدنا أيضا بقوة هائلة لم يعرفها تاريخ البشرية ،من أجل نشر اللغة العربية الفصحى وتوطيد دعائم وحدتها، سواء أكان ذلك فى مجال الكلمة المكتوبة أم المسموعةوالمحكية(٢) .

ألا ترى فى الوقت الحاضر ، عشرات الألوف ، إن لم نقل مئات الألوف من أبناء أمتنا ، عمالا ومهنيين ومثقفين ، دون أن نذكر المعلمين والأساتذة والعلماء يعملون فى مختلف أقطار العروبة جنبا إلى جنب مع إخوانهم فى تلك الأقطار أليس من الضرورات الملحة أن يتحدث هؤلاء جميعاً لغة مهنية واحدة ، ولغة حضارية واحدة ، فالاتصال والاختلاط والاشتراك فى الحياة ، وانتشار المدارس والمعاهد والجامعات، والخدمة العسكرية والأحوال السياسية والاقتصادية جميعها عوامل مهمة فى دعم اللغة العربية الفصحى وانتشارها وإذاعتها لغة منطوقةومكتوبةمن خلال وسائل نشر اللغة

---

(١) انظر : إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية ، ص ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(٢) انظر : محمود السعران ، اللغة والمجتمع – رأى ومنهج ، ص ٣ – ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

فى العصر الحديث. أليست ظروف الحياة ومقتضياتها وقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع، تحتم وجود معجم موحد لألفاظ الحضارة، يشتمل على جميع الألفاظ التى يستعملها المواطن العربى فى حياته اليومية ومعاشه، كما تحتم كذلك وجود لغة علمية وتقنية موحدة، كما هو الشأن فى لغتنا الأدبية الواحدة.

وإن قضية الحاجة إلى مثل هذا المعجم الموحد، قد طرحت أيضا منذ سنين طويلة كما هو الشأن فى موضوع «المعجم التاريخى للغة العربية» فقد طرحها على بساط البحث كتاب ولغويون، وأشاروا إليها فى كثير من الندوات العلمية ومؤتمرات التعريب فى الوطن العربى. وكان من قرارات مؤتمر التعريب الأول الذى انعقد بالرباط من ٣ إلى ٧ نيسان – ١٩٦١ التوصية التالية: «يوصى المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية فى العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول فى أذهانهم من المعانى والصور»، ولا شك أن هذه التوصية وغيرها من التوصيات والآراء التى طرحها كثير من اللغويين فى دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم، تدور جميعها حول هذا الموضوع الكبير، الذى يتمثل بوجوب جعل لغتنا العربية الواحدة لغة العلم والتدريس والثقافة والبحث العلمى، ولغة الحياة فى جميع جوانبها.

ولا شك أن الإنجازات اللغوية المتميزة التى كانت ثمار جهود مجامعنا اللغوية، وأخص بالذكر منها مجمع اللغة العربية، وحصنها الحصين بالقاهرة، قد أغنت العربية الفصحى وزادتها ثروة وخصوبة، وأن هذه البحوث اللغوية القيمة والاجتهادات الأصلية، وعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التى وضعت فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، كانت من وراء هذه النقلة التاريخية للغتنا، وجعلت فى حدود الإمكان التحول التاريخى فى مسيرة اللغة العربية الفصحى لكى تحتل مكانتها الطبيعية سيدة فى وطنها ولكى تصبح اللغة الواحدة للعلوم والفنون والتقنيات والبحوث العلمية، كما هى فى واقع الأمر اللغة الواحدة للتراث والآداب.

لم يكن من أهداف هذه الكلمة المتواضعة أن تقدم خطة علمية مفصلة من أجل وضع «معجم موحد لألفاظ الحضارة»، ولكنها تحاول الكشف عن أن مثل هذا المشروع قد بات ضرورة ملحة، وأن إنجازه قد أصبح فى حدود الإمكان وأن اتحاد المجامع اللغوية العربية مدعو بحكم موقعه التاريخى أن يتصدى لمعالجة قضايا اللغة العربية الفصحى من خلال المجامع اللغوية، والجامعات وجميع المؤسسات العلمية والثقافية فى الوطن العربى، التى تعنى بقضايا التراث واللغة وبقضايا الفكر والإبداع، وذلك وفق منهجية علمية سليمة ودون بطء أو تماهل. فالتقدم العلمى

يزداد بتسارع كبير ، والفجوة التى تفصل بيننا وبين اللحاق بالأمم المتحضرة تزداد اتساعاً . ونحن نشارك الأستاذ حسن ظاظا الرأى فى قوله :

« إن صناعة المعاجم عندنا فى أزمة ، وهى بعيدة كل البعد عن مسايرة التقدم الفكرى والحضارى فى العالم العربى الحديث ، وفى العالم الكبير الذى يعيش المدنية المذهلة التى انبثق عنها هذا النصف الأخير من القرن العشرين »[1] .

ولا شك أن وضع معجم يوحد جميع المفردات الحضارية التى يستعملها أبناء الأمة العربية فى مختلف أقطارها ، لابد من أن يستند إلى خطة محكمة وأن تتضافر الجهود فى الأقطار العربية على القيام بجمع الألفاظ المستعملة فى شتى مناحى الحياة ، الفلاحية والصناعية والمهنيـة والاجتماعية والتجارية . . . الخ ، وأن تضبط ضبطا كاملا فى نطقها وأن تحدد دقيقاً فى دلالتها ، مستخدمين الوسائل التقنية الحديثة ، لكى تصبح موضوعا للدراسة والتصنيف والبحث إلى جانب ما تقوم به لجان علمية فى جمع أقصى ما يمكن جمعه من مادة لغوية مأخـوذة من معاجم المعانى ومن النصوص فى مختلف كتب التراث .

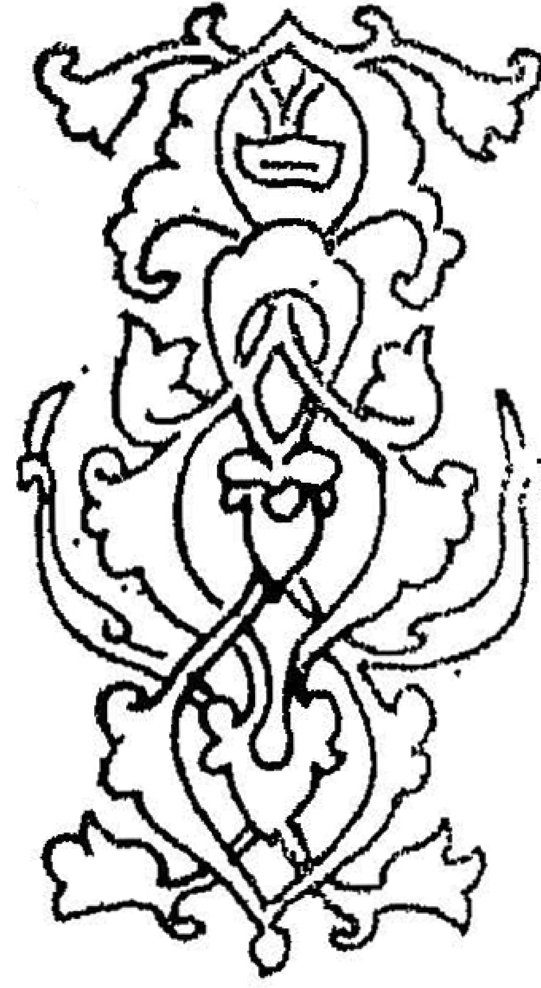
ونحن نعتقد أن استخدام الحسابات والأجهزة الإلكترونية والتقنيات الحديثة ، فى دراساتنا اللغوية ، بات أمرا ميسورا وواجبا ، إذا ما أردنا أن نلحق بركب الأمم المتحضرة . . . وأن مثل هذه الأبحاث اللغوية ستنجز بدقة متناهية وبسرعة مدهشة وسنجد أنفسنا أمام نتائج باهرة من حيث قدرة اللغة العربية الفصحى على استيعاب كل ما يجد فى عالم الفكر والمعرفة ، وذلك بسبب ما جمعته هذه اللغة من مفردات مدونة فى معاجمها ، ومما هو مثبوث فى كتب التراث ، ومما هو لم يدون وتدور به ألسنة عامتها ، وهو فى أكثريته الكاثرة من اللغة الفصحى ؛ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب خصائص العربية نفسها ، وطرائق نموها ، من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال ومجاز واقتراض . . . الخ مما يكسبها فى ذاتها المرونة والقدرة على استيعاب كل ما يجد فى عالم المعرفة .

وأخيرا أيها السادة العلماء ، فإن أجمل تحية يمكن أن نقدمها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، وإلى علمائنا الأفذاذ ، شيوخ العربية وفرسانها الذائدين دوما عن حياضها أن نرسى بنيان مجمع واحد للغة العربية ، بنيان مجمع اللغة الخالدة بخلود القرآن الكريم ، وأن يمثل العيد الخمسيني الزاهر انعطافا تاريخيا فى مسيرة لغتنا فى العصر الحديث ، بأن نتبنى مشاريع

(١) حسن ظاظا ، كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، ص ١٥٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

محددة على مستوى الوطن العربي ، بإمكاناته العلمية والمادية .
ونشره ، ووضع المعجم التاريخي ، والمعجم الموحد لألفاظ ا-
للمصطلحات العلمية في جميع مجالاتها ومستوياتها ، إلى ...
عربية تعنى بنقل العلوم من حيث هي علوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة
يصاحب هذا كله قرار سياسى ، بفرض اللغة العربية ، كي تصبح ، وبصور
لغة التعليم في جميع مستوياته ، وفي جميع الكليات والجامعات والمعاهـــد العالية .
وأن تكون لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لغة الحياة في جميع مناحيها
وبذلك وحده تستطيع أمتنا أن تشارك بأصالة في بناء الحضارة الإنسانية .

الدكتور عبد الكريم خليفة
عضو المجمع (الأردن)



الكتابة العربية بواسطة أرقام الحساب

للدكتور عبد الهادي التازي

في أعقاب شيوع استعمال جهاز التلغراف أواسط القرن الماضي ظهرت في الأرشيف الدبلوماسي للمغرب وثيقة تتعلق أصلا بموضوع التعليمات التي كانت الحكومة المغربية ترسلها — بواسطة التلغراف —

والحديث عن تلك الوثيقة يستدعي منا أن نتناول عددا من العناصر لإلقاء الضوء عليها ؛ مضمونها كمصدر من مصادر تاريخ المغرب وربما من مصادر تاريخ الدول التي كانت لها صلة بالمغرب ، كذلك مركزها ومكانها من الطرق المستعملة من مدن البلاد العربية الأخرى لنقل الرسائل العربية عبر التلغراف .

لكن الذي يهمنا — بهذه المناسبة — هو الحديث عن الدوافع التي كانت تكمن وراء اختراع هذه الطريقة أو الأحرى الدوافع التي حدت بالدولة آنذاك للاستعانة على أداء الكلمات العربية أو الحرف العربي بالأرقام الغبارية التي تحمل في الموسوعات العالمية اسم الأرقام العربية (Les Chuffrs Arabes) (Arabic Numbrs)

تعتبر الوثيقة التي بين أيدينا محاولة جريئة في سبيل تنظيم المواصلات بين المدن المغربية فيما بينها ، وفيما بين المغرب ، وغيره من الدول كذلك حيث أخذ نظام الرقاص في الاختفاء بالمغرب الأقصى .

وأقصد بالرقاص[1] في الاصطلاح المغربي موزع البريد ، واللفظ — كما نعلم — من المفردات الحضارية التي استعملها المغرب منذ العصر الوسيط ، معتمداً على الاستعمال اللغوي في رقص الناقة القلوص بزجاجة رقصت بما في قعرها ، رقص القلوص براكب مستعجل :

---

(١) توجد منذ 16 ربيع الأول 543 = 4 غشت 1148 قوانين تحدد مهام الرقاص ، ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، تحقيق : د. عبد الهادي التازي ، بيروت 1964 ، ص 122 — ابن القطان : نظم الجمان تحقيق : د. مكي تطوان ، ص 162 .

لقد كان من أبرز مضامين هـذه الوثيقة أنها كانت سبقا تقنيا فى ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الأرقام .

فلقد سبق هذا الابتكار العربى– أكثر من نصف قرن – الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية ، إلى التعامل بالأرقام والتوسل بها لاستعمال ما يسمى اليوم بالمصطلح البريدى لضبط المواقع الجغرافية المقصودة ، هذا المصطلح الذى يعرف فى الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم (Zip Coda) كما يعرف فى فرنسا باسم (EDEX) .

بل إنه أى ذلك الاختراع سبق الدول الاسكندنافية إلى اختراع مايسمى « الرقم الشخصى » الذى يعطى للبطاقات الشخصية والذى يحمل هناك اسم (Magnétique) فلقد أخذوا يعطون الأشخاص أرقاما خاصـة باعتبار أن الأرقام يمكن أن تساعد العقل الاليكترونى فى الوقت المناسب .

لقد أعطت الوثيقة التى بين أيدينا منذ ذلك التاريخ لبعض الشخصيات أرقاما خاصة :

– فرئيس الدولة يحمل رقم 55

– ووزير الخارجية يحمل رقم 67

– ووزير المالية يحمل رقم 150

– والقاضى يحمل رقم 72

– والمحتسب يحمل رقم 74

وقد قدمت لنا هذه الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته وجمله على الترتيب الهجائى المعهود لدى أهل الأندلس والمغرب .

أما عن الدوافع التى حفزت بالمشرفين على الإدارة المغربية إلى اعتماد الكتابة العربية بواسطة الأرقام الحسابية فيمكن أن نلخصها فى الكلمات التالية :

لقد كان المغرب حريصا على مواكبة الركب العالمى فى أواسط القرن الماضى وخاصة بعد احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام 1930 حيث أصبح المغرب مهددا فى كيانه أكثر من أي وقت ، وكان المغرب فى نفس الوقت غيورا على التعلق والتمسك باللغة العربية ، ومن هنا كان التفكير فى طريقة تجعلنا نواكب ونحافظ معاً .

لقد ظهر التلغراف ، والمغرب على حال من صراع مرير كان يمارسه على عدد من الجبهات ، وكان عليهم أى المغاربة أن يختاروا بين الاستفادة من ذلك الجهاز الحديث على ما هو ، وحينئذ فإن عليهم أن يقبلوا على تعلم اللغة الأجنبية ويهجروا لغتهم جانبا ، وبين أن يفكروا فى وسيلة عاجلة تجعل المدلول العربى قادرا عـلى أن ينفذ عبر القوالب التى تستوعبها تقنية الجهاز التلغرافى .

وهكـذا وجدناهم يفكرون فى ابتكار طريقة تحتفظ لهم بلغتهم العربية من جهة وتحترم إمكانيات الآلة من جهـة ثانية . وجدناهم يستعينون بشكل ما من الأشكال كان مقبولا فى ملامس جهاز التلغراف وداخلا ضمن حروفه المسبوكة .

ومن هنا وردت فكرة الاستعانة بما نسميه الرقم الغبارى أى الرقم العربى .

وحينئذ وجدت الحكومة المغربية آنذاك أن من السهل عليها الاتصال بجميع الأطراف داخل المغرب وخارجه ، عن طريق الترميز بالرقم :

ونظرا للغموض أو اللبس الذى لاحظ المخترع لهذا الدليل ، أنه قد يتعرض له الشخص الذى يشغل آلة التلغـراف عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام متوالية ، نظرا لذلك وجدناه ، يضع شرطة صغيرة تجعل بين الكلمات تمييزا لهـا فيما بينها على نحـو ما يقوم عليه اليوم نظام التفريق بين الكلمات ببعض الفراغ :

ولما شعر صاحب هـذا الاختراع بأن قاموسه قد لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، وجدناه يقدم طريقتين اثنتين أخريين للاستعانة بهما على تقنية التلغراف .

ويتعلق الأمر بالنسبة للطريقة الأولى بعملية تعويض الحروف الهجائية على تواليها بأرقام تبتدىء من (20 إلى 49) أى أن حرف الألف يقابله حرف 20 وحرف الباء رقم واحد وعشرين والتاء كذلك . . الخ .

وهكذا فعوض أن يعطى التعليمات بواسطة حروف المعجم ، تعطى بواسطة الأرقام العربية ، وزيادة فى رفع اللبس فإنه سيكون علينا أن نجعل بين الحروف فواصل . كنا فيما سبق عندما كان الأمر يتعلق بأداء الكلمات والجمل ، نستعمل الشرطة القصيرة بين الكلمات ، ونحن بالنسبة للحروف نكتفى بوضع نقطة حيث يظهر لنا الفرق جليا بين الحالين عند رؤية التلغراف ، وهل أننا بصدد قراءة كلمات أو حروف مركبة .

وفيما إذا حدث أن تعلق غرض الرسالة أو البرقية بذكر رقم من الأرقام فى صلب النص من شأنه أن يربكنا ونحن نعتمد على الأرقام أساسا لأداء الكلمات أو الحروف فى هذه الحالة وجدنا مخترع هـذا الدليل يجروْ على المطالبة بتحويط الرقم الموجود فى صلب النص بحرف (A) اللاتينى ، فمثلا عندما نجد (A) 297 (A)
فإن القصد يكون إلى سبعة وتسعين ومائتين وليس القصد إلى الرقم الخاص الذى يدل على كلمة (مصر) التى استأثرت بهذا الرقم فى « الوثيقــة » المذكورة على ما أسلفنا أما بالنسبة للطريقة الثانية التى يمكـن أن نسلكها أيضا لأداء الكلمة العربية أو الحرف العربى فهى لا تعتمد فقط عـلى الأداء بالرقم العربى . ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك ، أى أنها تستعين بالحرف اللاتينى ،

وليس معنى هذا أن الحرف العربى فى التلغراف يقابل بحرف لاتينى من نوع صوت الحرف العربى كما نستعمله اليوم فى التلغرافات العربيـة المكتوبة بحروف لاتينية ، ولكن بحرف لاتينى مـا يصطلح عليه . . .

ومعنى كل هذا أنه كان هناك شعور بالحاجة الملحة إلى أن نجد وسيلة ما لتبليغ الرسالة العربية لتبليغ النبأ العربى عبر جهاز التلغراف ، الذى كنا نجـد أنفسنا مضطرين إلى الاستفادة منه حتى نظل كما قلت مواكبين لمستجدات العصر . . .

أيها السادة الزملاء الأعزاء .

لقد كان قصدى من تقديم هذا الجانب من تلك الوثيقة (التى أتشرف بتقديمها لكم اليوم) هو وضع السؤال التالى :

هل إننا بعـد التجارب التى مررنا بها طيلة السنوات الخالية ، بحاجة إلى التفكير الجدى ، فيما يؤمن اقتحام الحرف العربى للآلات الإلكترونية ؟ وهـل أننا بحاجة إلى تصور دقيق لما نحن مقبلون عليه فى عالم الألفين .

أرجو بهذه المناسبة أيها السادة الزملاء ، ونحن نحتفل بهذا العيد السعيد وبحضور السادة رؤساء المجامع والأكاديميات العربية .

أرجو أن أذكر هنا بأننا منذ عشرات السنين ما نزال لم نتفق على طريقة لأداء الحرف العربى ، بالحرف اللاتينى أداء سليما نرضى عنه بإجماع ونقدمه إلى المنتظم الدولى باتفاقنا جميعاً .

فقبل ست سنوات عرضت فى أثينا على أنظار المؤتمر العالمى الثالث لتنميط الأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة (ECOSOC)

مسألة أداء الحرف العربى بالحرف اللاتينى :

ربما تتساءلون : لماذا عرض هذا الموضوع على أنظار هـذا المؤتمر الذى يهتم أصلا بالأعلام الجغرافية ؟

والجواب أن ذلك كان نتيجة لانتصار المجموعة العربية التى أتشرف بترؤسها فى المؤتمر المذكور ، انتصارها فى فرض كتابة الأعلام الجغرافية العربية بشكلها الصحيح على سائر الخرائط الجغرافية الأجنبية المنشورة على المستوى الدولى .

أى أننا سوف لا نقرأ من الآن فى الخرائط الأجنبية كلمة لاميك (La Méque) عوض مكة ، ولا (داماس) عوض دمشق و (لوكير) عوض القاهرة و(ربا) عوض الرباط .

إن الذى حصل أيها السادة المجمعيون هـو أننا بعد أن استمزجنا الرأى مع سائر الدول العربية ، وبعد أن أدلت كل جهة برأيها . . . اجتمعنا فى جنيف فى المؤتمر الرابع فى السنة الماضية لنجـد أن الذين اتفقنا معهم فى (أثينا) هم غيرهم الذين أعطوا الرأى فى جنيف . أنتم تعلمون أن هناك الطريقة التى سلكها علماء الموسوعة الإسلامية ، وهناك الطريقة التى أصبحت فى المؤتمر المذكور رسم (نظام بيروت Brout Sistème) والطريقة التى تحمل كذلك نظام لندن المعدل وهناك نظام (ISO) الخ .

إن بعض العرب الذين كانوا متأثرين بالوجود البريطانى فى بلادهم لا يتنازلون للطريقة التى تأثر بها العرب الآخرون الذين كانـوا متأثرين بالوجود الفرنسى مثلا : ومن هنا فنحن ما نزال نتخبط فى الوصول إلى الطريقة الواحدة التى توصلنا إلى التمتع بذلك المكسب : مكسب اقتحام العلم الجغرافى الحقيقى للمجتمعات الدولية .

أعترف أمامكم أيها الزملاء المحترمون أننى كنت أشعر بالخجل يلفنى وأنا أمثل فى تلك المؤتمرات وجهات نظر مختلفة متشتتة حول كيفية أداء الحرف . . بينما أرى أن المجموعات الأخرى اتفقت على طريقة موحدة لأداء الحرف الصينى والروسى . .الخ .

لهذا فإننى أغتنم هذه الفرصة لأتقدم بتوصية تدعو إلى لقاء عاجل قبل عام 1986 الذى سيشهد فى مونتريال المؤتمر السادس الذى ينتظر منا القول الفصل فى هذه القضية :

فما غيركم — أيها الزملاء — جدير باتخاذ المبادرة للوصول إلى هـذا الاتفاق . . . وتحت يدى الملف الكامل الشامل لهـذه القضية التى تعتبر من القضايا الأولى للمؤتمر الدولى ، سواء على مستوى خبرائه الذين يجتمعون على رأس السنتين أو على مستوى أعضائه الذين يجتمعون على رأس الأربع سنوات .

إن المغرب ليقوم الآن بخطوات رائدة من أجل العمل على اقتحام الحرف العربى للأجهزة المعيارية بجميع أنواعها وتسخير هـذه الأجهزة لفائدة ازدهار اللغة العربية وانتشارها وتعميمها ورفع مستواها ، تحت إشراف معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الذى يديره الأستاذ أحمد الأخضر غزال :

ويطيب لى أن أعرب عن أملى الكبير فى أن نحظى بهـذا الاجتماع على أرض المغرب بحول الله .

فإلى أن نلتقى جميعا حول هذا الموضوع ، أتمنى للسادة الزملاء موفور الصحة والعافية والسلام .

الدكتور عبد الهادى التازى
عضو المجمع من المغرب



مزاعم الصعوبة في لغتنا[*]

للأستاذ سعيد الأفغاني

لا شك في أن الأجنبي كان يعاني صعوبة حين يتعلم العربية ليسهل عمله في البلاد العربية المحتلة يومئذ من العراق إلى المغرب ، وبين البحر المتوسط والصحراء الكبرى فالحروف غير حروفهم التي بها يكتبون ويقرؤون والألفاظ لا تكاد تجرى بها ألسنتهم إلا بعد ممارسة وعناء وبدل أن يصبروا على ترويض ألسنتهم بها ، زين لبعضهم الهوى والغطرسة أن نخدمهم نحن فنستبدل حروفهم بحروفنا ولا بأس في أن ننسف قواعد لغتنا لنضع شيئا على نمط قواعدهم ، ولنهجر الفصحى لأنها لا تفيدهم في حكم مستعمراتهم ، وليصطنع كل بلد مغصوب لهجته الدارجة السوقية مشوبة بشيء من لغة السادة ، فلا أرب للمحتل وراء ذلك ، ولم لا يكون ذلك وبيدهم السلطة والحكم ، وآلات البشر في كل بلد صاغوها على هذه المقاصد . فإذا نجحت خططهم عادت عليهم بعد عقود من السنين ، بنفع في ميدانين تسهيل المهمة على موظفيهم ، وقضاء على مقوماتنا من ثقافة ركناها اللغة والدين .

لم يفتهم درس نفسية الجماعات ، فقد عرفوا أن البدء ينبغي أن يكون بين غوغاء المتعلمين لا خاصتهم ، وأن للتكرار بينهم أثرا مهما يكن خافتا في البدء فالزمن كفيل بتقويته وتتابعت الحملات بفواصل مقدرة ، سبروا في كل فاصلة ردود الفعل ، فانتفعوا بدراستها لحملة قادمة ، ولم يلتزموا أسلوبا واحدا في دعاياتهم ، وكل دعاية ضعفت أو صدت استأنفوا بعدها غيرها في ثوب جديد وأبواق كانوا قد بثوها في كل بيئة ، علمية كانت أم أدبية أم سياسية أم طائفية ، لقد تجمعت مزاعمهم في مشكلات اللغة العربية في ثلاث :

١ — الحرف العربي .

٢ — الازدواج بين العامية والفصحى ، أو بين لغة الكتاب والقراءة ولغة الحوار السوقية .

٣ — صعوبة القواعد العربية .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة للعيد الحسيني .

أما ما زعموا من مشكل فى الحرف العربى والازدواج اللغوى فلا أعرض له ، لأنه أصبح معلوما من كثرة ما نشر فيه تأييدا وردا ، بل ذهب بعض خاصة المستشرقين إلى تفضيل الحرف العربى صحةوجما لا واختصارا[١] ، والازدواج اللغوى موجود فى كل اللغات ، ففى كل منها لغة كتابة ولغة سوق على تفاوت فى الفروق ، بل إن عاميتنا نحن من يوم بدؤوا بدعايتهم لها ، قد تقربت جدا من الفصحى نتيجة لانتشار التعليم لذا لم يلق الناس بالا لهذين الأمرين ، إلا فى الشاذ النادر ، وكنت قد عرضت لهذين الأمرين من سنين طويلة فى غير مقام . [٢]

بقى الأمر الثالث الذى زعموا فى صعوبة قواعد العربية ، وكان مصيره خليقا أن يكون كمصير الزعمين السابقين ، لولا أن كثرة ترديدهم له على الأسماع من حين إلى حين فى سنين متباعدة جعلت بعضنا يتوهم أن هناك مشكلة ، وجعلتهم يفكرون ويطبون لها دون دراسة ولا تمحيص ولنذكر أن النحو كان يدرس أول القرن الماضى فى الآجرومية وشروحها ثم شروح الألفية وحواشيها وما إلى ذلك مما ألف فى عصور سلفت يبدأ الطلب باستظهار متن غامض مغلق مكثف العبارة (نثراً أو نظماً) ثم يترقى إلى شرح المفروض فيه جلاء وإيضاح ، ثم تأتى الحاشية والتقرير يناقشان فى الغالب عبارة الشارح مناقشة لفظية عقيما ، وتنقضى سنوات حتى يحيط الطالب بعبارات المؤلفين المتأخرين لكنه لم يزاول فى الواقع نحوا يعصم بيانه من الخطأ ، ولا قرأ كلاما عربيا يقوى من سليقته أو ملكته . هذا كان فيما سبق ، ولعل الأجانب الذين حاولوا تعلم اللغة العربية فى بلادنا أول القرن الماضى فما بعد ظنوا أن هـذا هو النحو العربى ، فنعتوه بما شاؤوا من صعوبة وإغلاق وتعقيد ، وورث هـذا النعت خالف عن سالف وكثر انتشاره بينهم ، حتى حكينا نحن عنهم مزاعمهم التى بليت ، تقليدا أعمى مدة من الزمن ، ثم تكفلت النهضة باتباعنا الأساليب الحديثة فى التأليف والتدريس حتى الثلاثينيات من قرننا هذا تكفلت بما يجب من إصلاح وإيضاح وتشذيب واختصار وخير ما أذكر من النماذج الصالحة سلسلة (الدروس النحوية) للمدارس الابتدائية التى اشترك فى إخراجها حفنى ناصف ورفاقه عليهم جميعا رحمة الله ، فكانت حميدة الأثر فى أجيال متعاقبة فى أقطار شتى ثم عمل حفنى ناصف (قواعـد اللغة العربية للمدارس الثانوية) فكان عمله مسك الختام ، ضاما كل مالا يجوز لمثقف جهله من

---

(١) يوحنا أهتنين كرسكو الفنلندى ، ترجمة الأرشمندريت توما دييو المعلوف – مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٤ / ٤٨٦ سنة ١٩٢٤ م

(٢) كتابى (من حاضر اللغة العربية) ص ١٥٦

قواعد اللغة نحوا وصرفا وبلاغة ، فى حجم لطيف يقل عن مئة وخمسين صفحة من القطع الصغير ، بهذه السلسلة تخرجت والحمد لله فى دراستى الابتدائية والثانوية أنا وجيلى الذى تميز ممن جاؤوا بعد بتفوق كبير .

مهما يكن فقد أوقع ترداد تلك المزاعم على مدى سنين بعد ذلك ، أوقع فى نفوس بعض المسؤولين أن الضعف والعلة فى طبيعة القواعد العربية فكان بدء النكسة ، وتمكنت هذه الخرافة بل الدسيسة فى أوهام عدد من الفضلاء ، فكانت محاولات فيما أسموه بالتيسير والتبسيط ، محاولات رسمية وغير رسمية ، وعمدت وزارة المعارف فى مصر إلى تأليف لجان تطب لهذا الضعف المزعوم ، فكانت (لجنة تيسير القواعد العربية) ، عملت زمانا ثم انتهت إلى مشروع فى الثلاثينيات لم يقبله أولو الشأن ، وتمضى سنوات ثم يعقد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية فى دمشق بين (٢٩ /٩ / ١٩٥٦ — ٤ / ١٠ / ١٩٥٦) ، ويعرض عليه المشروع ذاته ، ويناقش كما نوقشت دعوى ازدواج اللغة العربية (الفصحى والعاميات) وما يزعم من صعوبة وتنجح الشام فى عقد الإجماع من المؤتمرين على إبعاد العاميات وتمكين الفصحى . أما مشروع تيسير النحو فكان فى توصيات المؤتمر أنه فى حاجة إلى زيادة فى التمحيص وتأجيل النظر فيه إلى مؤتمر آخر [1].

لكن أصحاب المشروع حملوا وزارة المعارف على إقراره وعلى تأليف كتب المدارس على أساسه وفرض المشروع على التعليم فى مصر ، ثم دعيت لجنة من وزارة التربية والتعليم السورية ، أيام وحدة الشام ومصر إلى القاهرة ، لتشترك فى لجنة عامة تخطط لتطبيق المشروع مع الكتب المدرسية التى ألفت على أساسه ، على المدارس السورية وبعد درسه اعتذرت اللجنة السورية من عدم تطبيقه لأضرار وأسباب أبانتها ، وانتهى نقاش المجتمعين سنة ١٩٦٠ على أن يعقد مؤتمر عام يشترك فيه كل المعنيين بالأمر فى وزارتى التعليم والجامعات من القطرين معا .

وفى العام التالى عقد هذا المؤتمر باسم (حلقة تيسير النحو) فى كلية دار العلوم فى القاهرة بين (٤ /٢ / ١٩٦١ — ٩/٢/١٩٦١) وبعد الاستماع إلى كلمات المؤيدين والمخالفين أصدر المؤتمر قراره برفض المشروع .[2]

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٩

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠

يدعى كثير أن التلاميذ الذين أنهوا تحصيلهم الثانوى فى المدارس الرسمية ضعفاء فى العربية أكثر من ضعفهم فى اللغة الأجنبية ويضيفون أن هؤلاء التلاميذ يعبرون عن مرادهم فى الإنجليزية أو الفرنسية بكلام واضح سليم فى الجملة ، على حين يعجزون عن التعبير فى العربية ببيان خال من التعثر واللحن . أقول: ربما كان هذا واقعا ، لكن ما السبب ؟

كنت مصطافا سنة ١٩٢٨ فى إحدى قرى دمشق ، فكنت أسمع فى كل يوم خميس مناديا يعلن فى الأزقة والحارات بصوت جهير : أن الطبيب قادم غـدا ويعالج المرضى فى دار فلان ، وكان على يمين الطريق إلى تلك الدار منخفض فيه مستنقع ضحل تحوم فوقـه أصناف من البعوض وتنتشر منه رائحة الماء الآسن ويستقبل الطبيب مرضاه طول النهار رجالا ونساء ، أطفالا ومسنين ، مصـابين جميعا بالملاريا ، فكان يوصيهم بعـد فحصهم بالحمية ويعالجهم بأقراص الكينا والاسبرين ، وعلمت فيما بعد أن هـذا شأنه من أعوام ، ومصيبة الملاريا هى التى تعاودهم كل عام ، إلى أن يسر الله من نصح لأهل القرية بردم المستنقع فخف المرض الجماعى ثم زال .

إن الدعوى أن المسؤول عن الضعف فى اللغة العربية هو قواعدها باطلة كل البطلان ومقدمتهم التى أرادوا البناء عليها فى تعليل الضعف مقدمة غير صحيحة ، والصحيح أن هـؤلاء التلاميذ الضحايا درسوا الإنجليزية وما درسوا العربية ، درسوا الإنجليزية بالإنجليزية على أحسن أسلوب وأقومه ، ولم يدرسوا العربية بالعربية ، بل بالعاميات الدارجات فى قراهم وأريافهم وبلدانهم ، لقد اختلفت المقدمتان فكيف لا تختلف النتائج ؟

يلقى الأحداث فى أول دراستهم اللغة الإنجليزية مثلا حوارا وحديثا سهلا حول كلمات يسيرة ممـا يستعمل يوميا بلغة سليمة ثم يتدرجون فى الصعود، وقد حدد الزاد اليومى من الإنجليزية بدقة ورسم المنهج بإحكام بحيث يزيد محصول الطفل من المفردات والتراكيب كل يوم ، ويدرب على استعمالها فى محادثة هينة ، هـذا شأنه حتى ينهى دراسته الثانوية . أما فى اللغة العربية فالأمر مختلف ، فخطوات التدريس غير متدرجة والزاد من المفردات والتراكيب غير محدد بعناية ، الطفل لا يتكلم العربية الصحيحة ، ولا يسمعها من من معلمه أو مدرسه ، أمـا الخطة فعلى ما خيلت إن كانت هناك خطة ، بل أجهر بالقول ـ وأنا فى غاية الألم ـ أن الدراسة الثانوية لغتها هى العامية الدراجة حتى فى درس القواعـد العربية ، والجامعات حتى أقسام اللغة العربية منها تلقى فيها أكثر المحاضرات بالعامية الدارجة وهى لغـة الدرس فى الواقع وإن كان الدستور وقوانين الجامعات تنص

على أن لغتها الرسمية هى العربية ، هـذا ما سمعته كثيرا ولم أكن لأصدقه لولا أنى أنا نفسى حضرت فى زيارتى لأحد الأقطار العربية — وذلك فى الأربعينيات — محاضرة فى قاعة الدراسات العليا من قسم اللغة العربية فى إحدى جامعاته ، عنوانها (الأصوليون واللغة) وهو كما يعلم المختصون من أعلى الموضوعات وأدقها ، ألقى ارتجالا دون نظام بلغة أكثرها عامى سوقى :

وفى سنة ١٩٦٣ كنت أزور جامعة طهران فسألت أحد مدرسيها الفضلاء فى قسم اللغة العربية فيها عن مستوى العناية العربية عندهم فأفاد أن لهم بها عناية فائقة ، فلها ست ساعات أسبوعية فى المدارس الثانوية ، لكن النجاح فيها لصعوبتها لا يوازى النجاح بالإنجليزية التى ساعاتها أقل ، فسألته عن الكتب التى يتعلم بها الطلاب فسمى لى كتبا قديمة ، بطريقة المتون المعقدة المكثفة ، وعليها شرح باللغة الفارسية ، وبطبيعة الحال يكون الحوار بالفارسية ، فعـدت أسأله عن الكتب الإنجليزية أهى مشروحة متونها بالفارسية ويتعلمونها على الطريقة التى يتعلمون بها العربية ؟قال : لا ، هى نوع آخر ، فقلت إنكم لا تدرسون العربية ، بل تشرحون بالفارسية معنى المفردات العربية فى المتن أتريدون أن يتعلم طلابكم العربية ؟ علموها كما تعلمون الإنجليزية تماما فى تسلسل حلقاتها وفى الحـوار بها فى الدرس واحظروا الشرح والحوار بغيرها ، فلم يجب لكن ملامح الاستنكار بدت على وجهه كأنى حين نصحت بتغيير الكتب وطريقة التدريس جعلت مع الله شريكا .

إذا أردنا العافية بصدق وإخلاص ، فعلينا الإقرار بمرضنا لا نخفى من أعراضه شيئا إن مـا يذكر من إخفاق التعليم العربى فى أقطارنا سببه أننا ندرس بغير اللسان العربى القويم مخالفنا طبيعة الأشياء فى تعليم اللغات ، ونطق الأشياء (غير) طباعها متطلب فى الماء جذوة نار ،سببه أننا نمارس عملنا فى غيبة من (ضمائرنا) ومن مراقبة الله فى عملنا ، سببه أننا نعالج بالكينا والإسبرين ومولدات المرض ملأت من حولنا الأجواء ، فالذنب ذنبنا لا ذنب النحو والقواعد ولا ذنب الطلاب ،علينا أولا أن نردم المستنقع،علينا ألا تشهد مدارسنا ومعاهدنا شيئا من العاميات السوقيات علينا أن نأخذ أنفسنا وأبناءنا بالفصحى السليمة السهلة الواضحة حتى فى درس الرياضة وأن يكون تعليمنا اللغة العربية على أقوم الأساليب فى التربية وأصول التدريس ، ولن نحتاج بعد هـذا إلى النحو أو القواعد النظرية لأنا نكون قد ملكنا اللغة عمليا .

أما نقل مسائل من باب إلى باب ، واستبدال المصطلح المعقد بالمصطلح الواضح المفهوم ، وأن يجرب كل متعرض لما لا يحسن ما يظنه براعة فى نقل مصطلحات من المنطق إلى النحو ، أو من نحو لغة أجنبية يترجمها إلى العربية[1]، أو تفريق مجتمع فى باب نحو أو تجميع متفرق ثم تقديمه فى مشروع أو محاولة إصلاح فى باب آخر فهذا كله اشتغال فى غير موضع العلة .

لقد آن لنا أن نوقن يقينا لا شك فيه بالبديهة التى سلم بها كل أصحاب الألسنة، وهى أن اللغات تكتسب بالممارسة سماعاً ونطقا لا بحفظ القواعد أما علة انخداع أفاضل منا فمن المسلمات فى بحوث علم النفس وفى باب أساليب الدعاية خاصة ، ما للترديد والتكرار الملح من أثر حتى على أشد الناس مناعة ، وأعترف أن مكر أولئك الدعاه من أعدائنا فى بث السموم مزينة منوعة ، أحدث زيفا حتى فى نفوس من لا شك فى سلامة نياتهم ، وشل الوعى فى غير واحد منا من رجال العلم والأدب فاستسلمنا للتنويم فرددنا ما قال أولئك الماكرون فى صعوبة القواعد العربية، حتى أذكرونا مثلا كان ضربه ابن المقفع فى كتابه (كليلة ودمنة) أن ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا ، فأتمر به قوم ليخدعوه عنه فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب معك) ثم غرض له آخر فقال « إنى لأظن هذا الذى عليه ثياب الناسك ليس بناسك ، فإن الناسك لا يقود الكلاب » ثم عرض له آخر فقال له : « أنت تريد الصيد بهذا الكلب؟ » فلما قالوا له ذلك لم يشك أن الذى معه كلب وقال فى نفسه (لعل الذى باعنى سحرنى وخدعنى) فخلى عنه ، فأخذه النفر فذبحوه واقتسموه » .

أفحتم علينا إذا بقى الماكرون يمكرون أن نبقى نحن إلى اليوم — ذلك الناسك المغفل ؟

أما بعد فهل على من حرج — ونحن نحتفل بالعام الخمسين لإنشاء هذا المجمع الخير — أن أعود بالذاكرة إلى عهد سلف ، عهد الصبا وكنت قريب الدار من مكتبة الملك الظاهر فى شمال الجامع الأموى الكبير بدمشق ، وقبالته المدرسة العادلية الكبرى حيث أقيم المجمع العلمى أيام الملك فيصل بن الحسين رحمه الله ، وكنافتية أجلاس المكتبة ، نشغل أوقاتنا بالمطالعة ، ونحضر فى أمسيات المجمع محاضرات عامة كانت إقامتها من سنة المجمع منذ إنشائه حتى إلغائه سنة ١٩٣٤ ، وظللت أطالع مجلة المجمع

---

(١) انظر مثلا : أنيس فريحة من الجامعة الأمريكية فى بيروت، تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطق جديد —مطابع المرسلين اللبنانيين— جونيه . وله نشرة (هذا الصرف وهذا النحو أما لهذا الليل من آخر) والعنوان يشعر بتعصب ذميم لهذه الطائفة على العربية .

بانتظام ، حتى إذا أنشئ بالقاهرة مجمع اللغة العربية (وكان اسمه مجمع فؤاد الأول للغة العربية) ابتهجنا بالخبر أيما ابتهاج ، فلما ورد العدد الأول من مجلته تخاطفناه بيننا ، وتمت لنا بشريان : بشرى تأسيس مجمع القاهرة وبشرى صدور مجلته ، ثم صار وصول كل عدد جديد منها خبرا سارا نتناقله ، وظلت أسماء الرعيل الأول من أعضائه ملهج ألسنتنا ومدار أحاديثنا ، نتذاكر بحوثهم وآراءهم ، وقد استأثرت رحمة الله بهم جميعا ، فلا أقل من وقفة خاشعة نذكرهم فيها بالخير ، ونضرع إلى الله أن يجزل لهم الثواب والكرامة .

لقد صارت مجامعنا الثلاثة فى دمشق وبغداد والقاهرة قلاعا للعربية ، ومن حسن حظنا أنا كنا نتابع نشاطها بغبطة وسرور ، فإذا شغل الجلاس والسمار بأخبار الحكام والساسة وأقوال الصحف ودعاة الأحزاب عمرت مجالسنا بمـا كتب محمد كرد على وشكيب أرسلان ومحمد سليم الجندى وأسعد الحكيم وعز الدين التنوخى وعبد القادر المبارك المغربى والفكرى والشهابى بدمشق والشبيبى وطه الراوى ونعمان القاضى بالعراق وأحمد الإسكندرى ومحمد الخضر حسين وحمروش ومحمد حسين والى والعوامرى والجارم فى القاهرة ، وتذاكرنا ما أجدوا من بحوث ومقالات وأوضاع ،

جمال ذى الأرض كانوا فى حياتهم   لما قضوا أصبحوا للكتب والسير

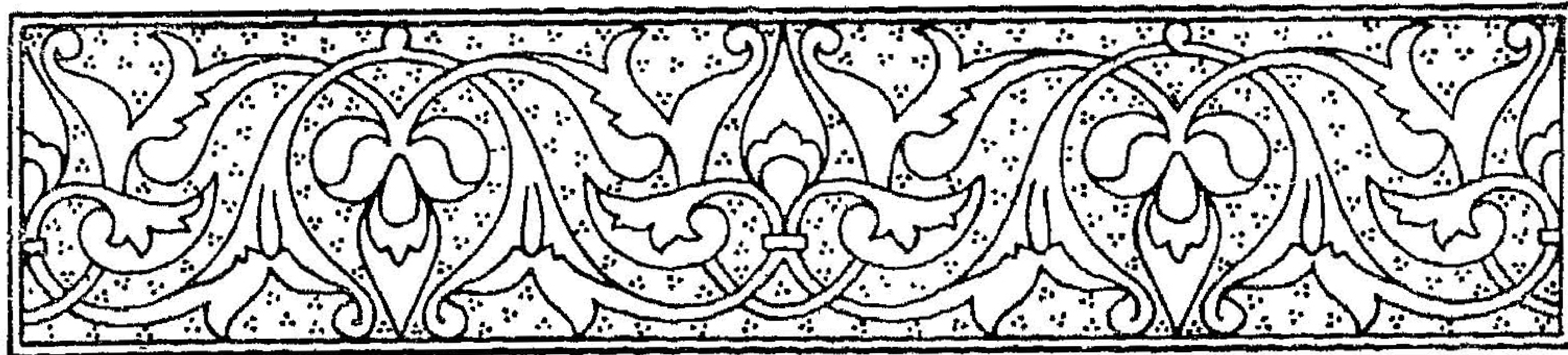
أثاب الله أولئك الأعلام المناضلين عن مقوماتنا وتراثنا أفضل ما أثاب مجتهدا مصلحا عن أمته ، وأخذ بناصر من سلك طريقهم فلم يضل ولم يضل ، وأيد حاملى لواء العربية فى هذه الأيام ، أخلاف أولئك النصحة المخلصين ممـن لا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، ووفق هذه المؤسسات حتى تحقق قول الشاعر القديم :

رأيتك أمس خير بنى لؤى   وأنت اليوم خير منك أمس

وأنت غدا تزيد الخير ضعفا   كذاك تزيد سادة عبد شمس

الاستاذ سعيد الأفغانى

عضو المجمع من دمشق



في تحية مصر
للدكتور إبراهيم السامرائي

غَلب الحنين إليك يا مصرُ | فالعلْم زادى منك والذِّكْرُ
أسليلةَ الأمجـاد معذرةً | أنْ قد تخلَّف عنِّى الشِّعرُ
ووريثةً للفن فى صُـورٍ | أغْفى على جنباتِها السِّـحرُ
صِنْـوان شبَّا توأمين معًا | وقد استطالا : أنت والدَّهرُ

* * *

نزلَتْ برحبكِ فاقشَعرَّ سنًا | سُودُ الخُطُوب جوائحٌ غُبْرُ
وتَغوَّلَتْكِ فما ابتأسْتِ بها | وعلَوتِهَـا وكذلك النَّسْرُ
وبذلْتِ والأيَّـامُ كالِحَةٌ | فزكا الخصيبُ وأسْلَسَ الدَّرُّ

* * *

أكنانةَ اللهِ اسْلَمِى ، وحِمًى | جَلَّى ، فكُلُّ مواطِنٍ عَمْرُو
ولقد شقيتِ بكُربةٍ نَزلَتْ | بالعُـرب ؛ كلُّ بُليدةٍ مصْرُ
وثأرتِ إمَّا جلجلتْ ومَشَتْ | دَهياءُ حَشْوُ نسيجها الشَّرُّ

* * *

يا مصرُ جئتُ إليكِ من بلدٍ | قد جـال فى أحشائِه الضُّرُّ
ما إن رعى الجيرانُ حرمتَهُ | وعـراه ممَّا سـاءَ ما يعْرُو
أبت الشَّريعةُ أن نسير بها | غَيًّا وملْءُ كيانِنَا غِمْـرُ
دعْوى السلامِ أُسِيءَ محمْلُها | فكأنَّها فى شِـرعةٍ كُفْرُ

* * *

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الثالثة العيد الخمسينى .

يا مِصرُ قد حوى الوطيسُ بنا هنَّـا وَهَنَّا استو قَدَ الجَمْرُ
فى كل أَرضٍ للعروبة ما نَشْقَى به ، وتفـاقَم الأَمْرُ
ولقـد جنَحنَا للسَّلَام فما أَجدَى عَلَينَا مَسْلَكٌ وَعْـرُ
كم قد شقينا فى حواضرنا فى غَمْرَة وسِلاحُنـا الصبْرُ

* * *

يا مِصْـرُ لَا أُخْفِيكِ أَنَّ يَدِى مِن نغمة مَأْنُوسةٍ صِـفْرُ
لكنْ عَـذِيرى من جهابذةٍ أَنِّى امرؤٌ أَزْرَى بِى الدَّهْـرُ
وازْوَرَّ عنه سـحرُ أُغنيةٍ ولقـد جَفَاه الشِّعْرُ والنَّثْرُ

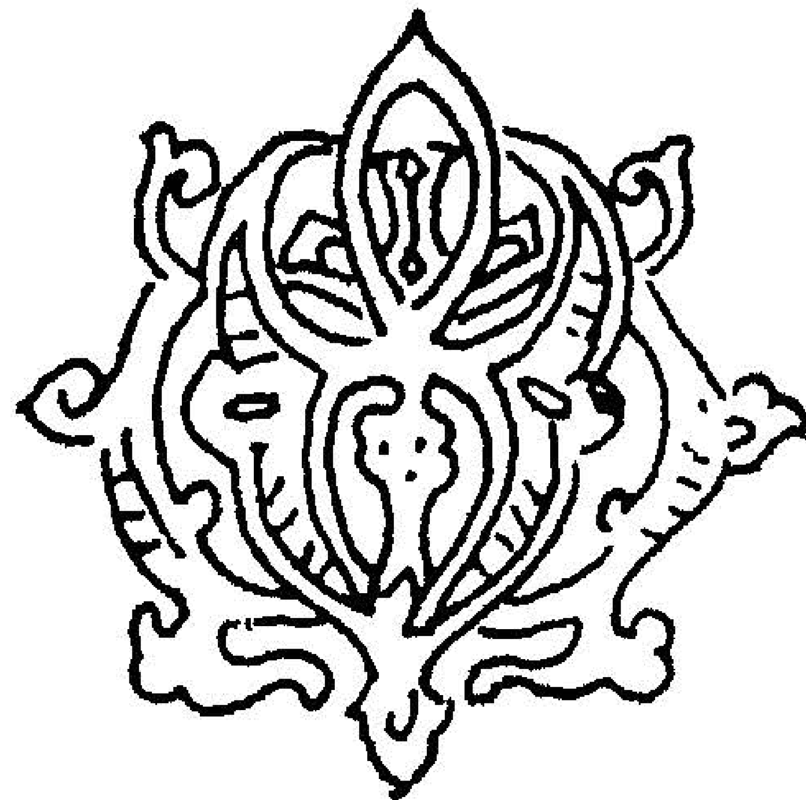
* * *

يا مِصْـرُ جئتُ إِلَيْك معتَذِرًا بتحيَّـةٍ لو أَمْكَنَ العُـذْرُ
يَهْنِيكِ مِن جَمْعٍ غطَـارفَةٍ للخُـلْدِ من آثارهم سِـفْرُ
وبهم جـلَاءُ الرَّيْب فى دَخَنٍ مَوبٍ كذاك الأَنجُمُ الزُهــر

* * *

يا مِصْـرُ وَالكَلِمُ النَّبيلُ زَكَا فى « مجمع » جَلَّى به الفِكْرُ
قد هبَّ للفصحى فَجَدَّ بهـا لفظٌ حَـكِيمٌ مُونِقٌ بِكْرُ
وتلأْلأَ الأَدبُ الرَّفيعُ به نورًا كما يَتَنَفَّس الفجـرُ
أفليس لى إِلَّا أُشـيدُ به زهوًا ويملأُ ماضِغِى الفَخْـرُ

الدكتور ابراهيم السامرائى
عضو المجمع (العراق)



تأملات فى الترجمة

للدكتور محمد عزيز الحبابى

اختارت لجنة تنظيم هذا الاحتفال الخمسيني مباحث ، منها « الترجمة من العربية وإليها » وهو مبحث مهم جداً ، سيكتفى هذا العرض بتقديم تأملات عن الترجمة ، فى المعنى التقنى وفى معان أشمل .

* * *

ينكب شعب على الترجمة عندما يشعر بالحاجة إلى توسيع آفاقه المعرفية . فحركة الترجمة ، عند العرب ، لم تبدأ إلا عندما اختلطوا بثقافات جديدة لم يكن لهم عهد بها أى بعد أن اعتنقت شعوب غير عربية الإسلام وأخذت تتعلم العربية ، لغة القرآن ، وتدخل فيها مباحث ومفاهيم جديدة إذاك انطلقت تيارات كانت خميرة لما سيسمى بـ « الحضارة العربية الإسلامية » إن الدوافع إلى الترجمة كانت ملحة وقصدية : إنها حركة فرضتها ظروف تاريخية أبدعها الإسـلام ودخلت المجتمع الجديد ، عنوة فرمت إلى نقل ما عند الآخرين إلى العرب . لقد كان نقلا غائيا استلزم اختياراً لما تجب ترجمته ولما يجب تجنبه . ترجمت ، عن اليونان ، كتب فى المنطق والفلسفة (الحكمة) وأعرض عن الأدب (شعر ومسرح) .

انها ترجمة انتقائية :

وحتى ما ترجم لم ينقل كما هو ، بل دخلت عليه ، أحيانا ، تأويلات ولخص بعضه وشرح بعضه ، رغبة فى الوضوح والتبسيط ، أو رغبة فى التكييف حسب ما يلائم المبادئ الإسلامية .

إن مثل تلك الرغبتين ، رغم ما فيهما من منافع تسيئان أحيانا إلى النصوص المترجمة .

* * *

ومما يلاحظ اليوم ، على الترجمة إلى العربية ، أنه كثيرا ما يفضل المترجم أناقة الأسلوب على الدقة ، فينحرف شيئا ما عن النص الأصلى ، حفاظاً على « فصاحة العربية » وبيانها . فمثـلا ، افتن مصطفى لطفى المنفلوطى فى أسلوب ترجمة « غادة الكاميليا » إلى درجة أن صيغتها العربية « ألذ » منها فى الصيغة الأصلية ، وهذا ما يطلق عليه ، عند المترجمين « الجميلات الخائنات فى الزواج » :

ومن جهة أخرى ، إن الحرص على الدقة وهو فضيلة يدفع أحيانا إلى ترجمة حرفية تضيع عبقرية إحدى اللغتين ، المنقول إليها أو المنقول منها وقد تضمحل عبقرية كليهما .

* * *

للفظ « ترجمة » معان أخرى أعم من النقل من لغة إلى لغة ، يترجم الفرد إحساساته وحدسياته شعراً أو تشكيليا أو أنغاماً ، كما يترجم الفرد عما يشاهده ، إما لغويا وإما بأرقام ... بيد أنه ، حتى فى هذه الأحوال تقع عملية نقل من حال إلى حال مغايرة .

ولماذا ((النقل)) ؟

إن المعطيات تبرز أول ماتبرز فى حال خام ، وتكتسب وضوحاً ودقة بفضل الانتقال من . . . إلى . . . إنه تحول يكيفها فتصبح قابلة للتطور .

تتقوى النظريات العلمية وتزدهر عندما « تترجم » إلى أرقام أو معادلات أو رموز ، كما تتبلور عواطفنا عندما تتحول شعراً أو قطعة موسيقية . إذ ذاك ترتفع الألفاظ من تسمية الخاص إلى العام ، ومن المحسوس إلى التجريد لتسمى مفاهيم وتصورات قابلة للتنظير .

تلك بداية التفلسف أو التأمل العلمى .

تتطرق الترجمة فى معناها العام لنص مكتوب ، أو ظاهرة حسية ، أو شعور . . فيحول ذلك إلى شئ آخر أو حال أخرى ، دون أن يعزله عن هويته : إنه هو هو ، وفى نفس الآن ، إن هويته السابقة لم تبق هى هى بأتم الكمال ، لقد دخلت إلى حد ما طوراً جديداً ، من حيث الشكل أو المضمون إنه طور جديد ، بيد أنه ليس الطور الوحيد فكل ما ينفتح على التجدد أو التجديد مرة فيظهر قابلية على أن يتغير مرات .

لقد ترجمت بعض نصوص ويليام شيكسبير إلى العربية ، وأعاد مترجمون آخرون الترجمة ، فبدت اختلافات ملحوظة بين الترجمات إذ لكل مترجم انفعال خاص مع النص ، كما أن قوة الإدراك ، والمعرفة باللسان الإنجليزى أو بالعربية ليستا من نفس المستوى وكذلك الخبرة والمرونة تتفاوت من مترجم لآخر ، فالذاتية تتدخل أردنا أولم نرد ، فى كل ما نمارسه فنقلص أو نضيف إليه شيئا منا ، وبما أننا نتطور بمقتضى الصيرورة التاريخية الملازمة للحياة ، يتطور معنا مجموع أفعالنا ، فانفعالات الطفولة والقدرة على العقلنة ليستهى انفعالات الكهولة وقدراتهاوتجاربها ، وللمهنة تأثير على أسلوب الترجمة ومن جهة أخرى ، غالبا ما يتحرى الجامعيون الباحثون الدقة ولوينات الألفاظ والعبارات ، فى حين أن المترجم العادى يكتفى بإيصال

المعنى العام ، وقد يتغلب على صعوبة بعض العبارات أو الجمل بحذفها « كم من حاجة قضيناها بتركها » ؟

لذلك ينزع المترجمون نحو الأمانة ، ولكن الأمانة التامة صعبة المراد . لقد قيل بأن كل ترجمة ضرب من الخيانة .

* * *

صلاحية الترجمة :

إن الترجمة تمرين جد مجد فى تكوين الحاسة اللسانية لدى الفرد تزداد بالعربى إتقانا للسان الأجنبى الذى يترجم منه أو إليه ، وبالتأنى ينمى معرفته بالعربية نفسها. ومن جملة مزايا الترجمة ، تكييف الأفراد على التواصل مع الآخرين . ثم إنها عنصر تخاطب الثقافات كما هى عنصر انسجام داخل نفس الثقافة بين الفنون ومختلف أصناف المعرفة .

وبالنسبة لجمهرة من العرب والمعربين والمستعربين الذين تعودوا على الإكثار من الحشو رغبة فى السجع أو التفصح بالمترادفات وعلى استعمال الغريب ، حنينا إلى الماضى وإظهاراً للاطلاع ، تعلم الترجمة الإدراك والدقة فى التعبير . فالمترجم إلى العربية مضطر ألا يخرج عن النص لكونه محاصراً داخل اللسان المترجم عنه فلا ينقل إلا ما هوموجود وكل إضافة تحسب عليه . إما أن يبقى حذرا وإما أن يخون النص ومن واجباته أيضا ألا يترك النص يجره خارج الواقع المعطى فى تجريدات حتى يغدو هو نفسه يتخبط فى التجريد .

* * *

. على هذا تبقى الترجمة فى المعنى العام جسراً بين الثقافات ، وأداة تواصل بين الأفراد وبين الشعوب ، وتكييف للأذهان إنها محرك دينامى للتطور وللصيرورة .

وبالإضافة إلى كل ذلك للترجمة دور هام آخر : إنها تسهم فى صنع تاريخ الشعوب والأمم كما تنمى تاريخية الأفراد والجماعات

* * *

دخل الأوربيون عصر النهضة الأولى (القرن الثانى عشر الميلاد) بعد أن مروا بمراحل خلقتها ونمتها الترجمة فتغيرت أوضاعهم وانطلقوا فى تطور حضارى من حسن إلى أحسن . وقبل الأوروبيين ، عرف العالم العربى — الإسلامى إقبالا على الترجمة ، ومالبث أن أصبح مبدعاً فى شتى الميادين الحضارية .

نفس الوضع فى عهد النهضة الأوربية الثانية (القرن ١٥ والقرن ١٦ .) : اكتشاف جديد للآثار الفكرية الأدبية اليونانية واللاتينية عن طريق الترجمة ، نتجت عنه إنسية ورمت فى تطورها ، إلى الشمول . وبهذا التطور حقق الغرب حضارة التصنيع التى هيمنت على الإنسانية قرونا ، وها هى تستعد لطفرة جديدة نحو حضارة ما بعد التصنيع ، ودائما بمشاركة الترجمة الفعالة .

والملاحظة القارة التى تستخلص استنتاجا واستقراء ، هى أن كل نهضة تمر بمراحل ، ولكل مرحلة أسلوب فى الترجمة بحيث إن المراحل المزدهرة يوازيها ازدهار المترجمين إنه تطور متصاعد ومتنام .

* * *

مـا التطور :

كل منظومة حية تمر بمراحل انتقائية ، وأحيانا بمجرد تحركات انتقالية عشوائية بيد أن الانتقال وإن خضع لنظام ، طبقاً لقوانين ، ليس دائما تطورا ، فقد تكون حياة ولا يحصل تطور

فالتطور انتقالات حسب أنظمة موجهة أى إنها تخضع لتصميمات مسبقة ، وكل تصميم يجسد مشروعا ويرمى إلى تحقيق غاية .

العالم كله يتحرك إلا أن من بين الشعوب ماينتقل طبقا لخطاطات تقطر السير إلى الأمام ، ومنها ما يتحرك فى مكانه لا يبارحه ، أو يرجع إلى الوراء وفى كلتا الحالين ، لا ينشأ عن ذلك إلا خلل فى المسيرة . ويسمى هذا الخلل « تخلفا » أى سيرا إلى الخلف أو الدوران دون محور إنه نوع من حركات تتعب ولا تنتج « جعجعة ولا أرى طحنا » ومهما تضخمت الضوضاء لن « تغنى من جوع » .

* * *

يطلق « التخلف » على منظومة لا تتناسق عناصرها ، فتتحرك حول نفسها لا يقابل « التخلف » بالضرورة « التقدم » ؛ لأن التقدم لا يحصل إلا إذا أحكمت استراتيجية التطور قد يسجل نمو ومع ذلك لا يتبعه تقدم على أن التقدم والتخلف كلاهما حركة تاريخية أى تطور إلى الأمام أو إلى الخلف ، فالعالم المصنع ينمو ، والعالم الثالث يتخلف وإن النمو عنصر من عناصر التطور ، وعندما تكون أمة نسقاً واعيا لا ستراتيجية التطور تبدأ

المراحل تتدرج والخطوات تتابع من سريعة إلى أسرع حتى تتكامل ، إذاك تستثمر الأمة أكثر ما يمكن من إمكاناتها ، حسب ما تسمح به الوسائل المتوفرة .

مستقبلٌ ما :

بفضل ذلك النسق ، وبفضل تلك الاستراتيجية ، تتبلور لدى الأمة آفاق المستقبل وتخطط لها تصميمات ، وتبنى الممشى الآنى والبعيد ، حسب قيم شمولية وبتلك القيم ، تحدد معايير السلوك الفردى وللمعاملات ذلك نوع من التقدم .

أما النوع الثانى فعبارة عن نزوع نحو نماذج حياتية لم يتم بعد تحققها ، فتعمل الأمة على الاقتراب منها ، تدريجيا .

* * *

الترجمة والأزمات :

من الملاحظ أن حضارة التصنيع ، منذ أن بدأت تهمل التفتح على ثقافات البلدان غير المصنعة ، لا تترجم منها لتتعرف عليها بل أخذت تحتقر كل ما هو ثالثى ، باستثناء ما بالعالم الثالث من مواد خام تستغل اقتصاديامنذ ذلك ودخل الغرب عصر تنامى الأزمات المختلفة والصراعات الداخلية والخارجية .

نعم يعيش اليوم الغرب فى تقدم رائع علميا وتقنيا ، بيد أنه افتقد التقدم الخلقى والاطمئنان النفسى ، والمتعة الوجدانية (راحة البال وراحة الضمير) إنه تقدم ما دام هناك تطور به يسير الغربيون إلى الأمام الا أنه تقدم مهزوز ، مسيرة بدون مقاصد . وسبلها بلا معالم لقد بلغت الحياة عتبة التيه فى متاهات اللا — معنى والاستهتار. رمى التصنيع أول مارمى ، إلى ترقية الإنسان ثم بات معاديا للإنسانية ، لا يترجم آمالها ولا يخفف من آلامها لقد فتحت كل الأبواب أمام « مارس» إله الحرب ، وسخرت له رؤوس الأموال ومخاخ الرؤوس المفكرة ، فحازت أسلحة الدمار على قصب السبق فى الرواج ، بالنسبة لبقية البضائع ، واستحوذت على اهتمام رؤساء الدول ، كبيرها وصغيرها . إنه تخلف جهنمى شامل وشمولى، ان تقضى عليه إلا قوات متجددة تتجه بعزم، لتترجم الحاجات الإنسانية وآلامها بالتساوى . إذاك تقترب وتلين القلوب وتسخى وتتعاون الجيوب .

أمام هذا المشروع الأمل يقف عائق عنيد : إن الدول القوية وأذيالها من « برامكة » الدول الضعيفة ، يترجمون على ذواتهم من مرآة السلطة ومركب الكمال ، فيكون أفكار

مسبقة ونظريات قبلية ، إنهم يحتقرون غيرهم ويزرعون بذور مركب النقص ، ويرعون نمو الاستلاب والشعور بالدونية عند الضعفاء .

هل من مخرج ؟

تلك استراتيجية استغلال واستعمار ترمى إلى اصطدام بين أنماط الزمان ليتعكر سير التاريخ ولتتعرض الذاكرة الجماعية إلى ثقب تصيب الشخصية بخلل ، فلا تبقى وسيلة للتمييز بين ماض وحاضر ومستقبل :

إن الماضى زمن الذاكرة والتذكر حيث تدخر المشاهدات والإحساسات لتبرز عند الحاجة ، مترجمة فى ذكريات ، وترسم على شاشة الحاضروما الحاضر ؟ إنه زمان تداعى المعانى ، والنبش عما علق بالذاكرة مع التوق إلى ما سيكون . أما المستقبل فزمن المغامرات والتخوفات التى تترجم فى تصميمات تحيى فى توتر الحال إلى ما سيأتى ، وقد لا يأتى .

وبتعاون الأنماط الزمانية الثلاثة يُترجم نمط رابع ،هو زمان الآمال الذى ينشط الحاضر ويحرضه على الحركة والمغامرات.

يدخل مركب النقص عطبا على ذلك التعاون فمن الأفراد من ينكر وجود ذلك النمط الرابع باسم الواقعية والموضوعية، ومنهم من يرفضونه لأنهم لايقدرون على تصوره وترجمته موضعيا ، فى الواقع .

لكن أسأل أولائك القوم ؟ هل الماضى واقع ؟ لقد « مضى » ودخل عالم التخيل إنه موضوع ما أصبح فى « خبر كان» وعندما يساند التذكر التخيل ، يأتى خليط من الذكريات ، كما كانت وكما اصطنعها الحاضر .

والحاضر ، كيف يحكم على واقعه وموضوعيته وهو ما زال لم يستقر له قرار ، لم ينته لتعرف كل أبعاده؟إن الحاضر نمط بين نمطين ،فلاهو ماض تم وانتهى ، ولاهو مستقبل بدأ والمستقبل ليس أكثر كثافة من الحاضر.فكيف التحدث عن واقع ما لم يحل بعد ؟

وبالنسبة للنمط الرابع إن واقعه مغلق ، لأن الآمال هى كذلك فى وضع بين بين : قد تتحقق ، وقد لا تتحقق إنه زمن يترجم عن رغبات وقلما تتوفر لأية رغبة كل الإمكانات الضرورية لتحققها :

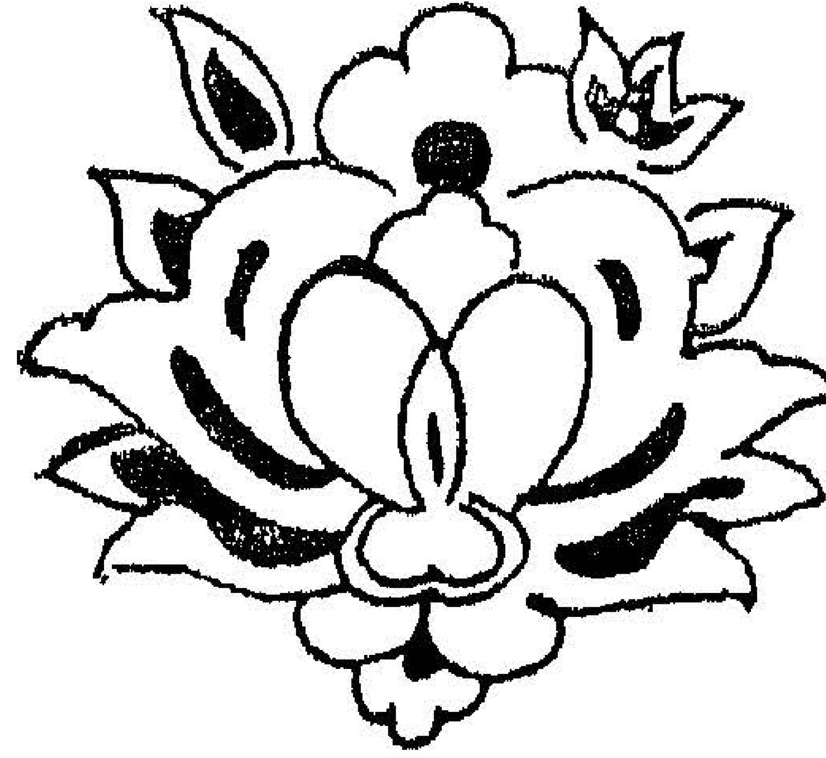
أفما آن للثالثيين أن يترجموا عن أنفسهم بأنفسهم فيتطورون وبتطورهم يطورون رؤية الآخرين عنهم ؟

أفما آن أن يتجرؤوا فيقوموا بقطيعة جذرية مع حضارة التصنيع التى همشتهم وجمدتهم فى مواقف التخلف واليأس ؟

إن قطيعة من هذا الحرم لكفيلة بأن تنقذهم من الهوان ، وتعيدهم إلى صف البشر فيلجوا عهد المغامرات من أجل وعى الذات والصراع المصيرى لاستعادة الكرامة الفردية والتاريخية .

ذاك هو الشرط الأساسى لترجمة الواقع ترجمة واعية والتصرف فيه بموضوعية فبدون تلك القطيعة ، لا نرى سبيلا جديا للخروج من الرؤى الخرافية التى أعمت وصمت الثالثيين عن ترجمة الواقع وعن الالتزام بضرورة التغيير .

الدكتور محمد عزيز الحبابى
عضو المجمع من المغرب



بعض خصائص لغة المخاطبة
بين اللغة الفصحى واللهجات فى العالم العربى
للدكتور جريجورى شرباتوف (*)

كانت الدراسات العلمية للهجات العربية من أهم اتجاهات مجمع اللغة العربية باعتبارها مصدرًا قيمًا لدراسة تاريخ اللغة والفولكلور والوضع اللغوى الحاضر. وقد أشار السيد وزير التعليم والبحث العلمى فى كلمته إلى ضرورة دراسة اللهجات .

يشير علماء اللغة عادةً فى دراساتهم العربية إلى النموذج الثنائى أو الطراز الثنائى للغة العربية أى يشيرون إلى الشكلين لكيانها وهما اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية ؛

وفى سير التطور التاريخى والاجتماعى للبلدان العربية منذ مطلع القرن العشرين تجلت نزعة ملموسة إلى التقارب والتعامل والتآثر بين اللغة الفصحى واللهجات ، وشاهدنا أنه فى النصف الثانى من هذا القرن تنشطت أكثر فأكثر عمليات نشأة وتكون لغة المخاطبة أو لغات المخاطبة. والفضل الكبير فى هذه العمليات يعود إلى السينما والمسرح ، ووسائل الإعلام العصرية كالراديو والتليفزيون والصحافة والأدب الفنى نثرًا وشعرًا ، كما يعود هذا الفضل إلى توسيع شبكة المدارس وحركة محو الأمية

إن تطور الخصائص التكوينية والوظائفية والأسلوبية للغة العربية فى المرحلة الحاضرة يبرهن نشأة الطراز الثلاثى للغة : الفصحى واللهجة ولغة المخاطبة ، وفى هذا التصنيف اللغوى الوظائفى يبرز موقعان مقتطبان تحتل أحدهما اللغة الفصحى وتحتل ثانيهما لهجة عربية بأضيق معنى لغوى وأدقها (نقصد لهجة قرية أو قبيلة) .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الرابعة السيد الحسينى للمجمع .

وتقع بينهما ،أى بين الفصحى ولهجة محلية ، تقع لغة المخاطبة الإقليمية أو لغات المخاطبة الإقليمية للأقطار العربية .

وتمتلك اللغة العربية الفصحى بكثرة الأساليب الكتابة وتستعمل فى أغلب الأحيان فى لغة الكتابة ومع ذلك التطبيق الشفاهى للغة الفصحى مقصور ومحدد بمجالات الحياة الرسمية .

أمّا لغة المخاطبة لكل بلد عربى- هى وسيلة أساسية لاتصال السكان الشفاهى فى حياتهم اليومية (فى البيت ، فى السوق ، فى الشارع) - يسمى هذا الشكل اللغوى فى بعض الدراسات العربية لغة ثالثة أو وسطية ، أو وسطى تارة ولغة عامية لهجوية -أو لغة نصف الأدبية ، لغة المخاطبة الشعبية ، لغة محكية تارة أخرى .

ولغة المخاطبة ، فى رأينا لها عدة مستويات :

أولًا :لغة المخاطبة لمدينة وهى تتكون فى سير تطور ثقافة المدن العربية نتيجة التعامل النشيط بين مختلف التيارات اللهجوية ، التى تستوعبها لغة المخاطبة وترتفع فوقها ، مثلما نرى فى لغة المخاطبة لأهلى الموصل والبصرة فى العراق ، أو فى حلب وحمص واللاذقية فى سورية .

ثانيًا :لغة المخاطبة لمحافظة أو إقليم وهى منتشرة فى أرض واسعة متلاحقة لعدة أماكن (من مدن وقرى) مثل لغة سكان الصعيد ، الوجه القبلى كافة جنوب مصر .

ثالثًا :لغة المخاطبة للعاصمة التى تكونت على أساس اللهجة القديمة للعاصمة مع اجتذاب عناصر لهجات ضواحى العاصمة مثل لغة المخاطبة لأهالى القاهرة وبغداد ودمشق والخرطوم ، أو تشكلت من جراء السيلان العاصف للجماهير الغفيرة والبدو إلى العاصمة مثل لغة المخاطبة فى نواكشوط بموريتانيا وطرابلس بليبيا .

رابعًا : لغة المخاطبة العامة لكافة شعب بلد ما : وهى تستند على لغة العاصمة مع التفاعل الوثيق مع لغات المخاطبة الإقليمية واللهجات الريفية والبدوية .

هذا ما يتعلق بمكانة لغة المخاطبة .

أما فيما يختص بالتكوين اللغوى فيمكننا أن نرى بجلاء ووضوح أن لغة المخاطبة من حيث التكوين مبدئيًا شبيهة للهجة المحلية لأن لغة المخاطبة– شأنها شأن اللهجة – اكتسبت النظام التحليلى analitical system فقدت الإعراب ووفقًا لهذه العلامة اللغوية النموذجية (tipological) هى (أى لغة المخاطبة) تخالف اللغة الفصحى التى تتمسك بثبات بنظامها التركيبى . (Synthetic System)

وماذا نقصد بالنظام التحليلى والنظام التركيبى فى اللغة العربية ؟

مثلًا : فى مسرحية الهاوية لمحمد تيمور : يقول أحد أبطال المسرحية عن مِروحةِ زوجته بهذا الشكل : المروْحة بتَاعةِ الست بتاعتى .

وهنا استعملت الكلمات الإضافية لتوضيح علاقات الكلمات فى الجملة . نأخذ مثلًا آخر نقول باللغة الفصحى :خرجتُ من البيتورأيتُ رجلًا يغنى قرب الباب (رأيتُ رجلًا) فيقولون فى مصر فى هذه المناسبة : شُفْت واحِدْ راجلْ، فى العراق وبعض بلاد الخليج : مشِفِتْ فَدْ رجال ، فى الجزائر : حالرجال (من واحد الرجال) .

أما مفردات لغة المخاطبة فلها طابع عام جامع باستثناء ألفاظ ضيقة الاستعمال خاصة للهجة محلية فقط .وتُصبح مفردات لغة المخاطبة للمدينة أكثر ثراءً وتنوعًا من مفردات لهجة محلية لأنها (أى لغة المخاطبة) ضمت إليها عددًا لا يستهُان من الألفاظ والتعابير الفصيحة (بما فيها المصطلحات الاجتماعية السياسية والفنية العلمية)كما استوعبت بالكثرة مقتبسات حديثة من اللغات الأوروبية المعاصرة .

إننا نلاحظ كذلك بين لغات المخاطبة فى المدن من جهة ، واللهجات الريفية

من جهة أُخرى – فروقًا تكوينية ملموسة فى الأَصوات والنحو والصرف ، والجدير بالذكر أن مفردات لغة المخاطبة فى المدن العربية الكبيرة عبارة عن مجموعة متقاربة متلاحمة بمزاياها العامة عن لهجات الريف والبدو. فقام بعض المستشرقين فى السنوات الأَخيرة بالدراسات المقارنة لمفردات لغة المخاطبة بالمدن السورية واللبنانية وبعض المدن العربية الكبيرة (القاهرة ، وبغداد ، وجدة ، والدار البيضاء) . واتضح من هذه الدراسات مثلًا أن درجة قرابة المفردات السورية اللبنانية للمفردات الفصيحة عالية وتبلغ ٩١٪ ، كما تبلغ نسبتها المشتركة مع مفردات[٦] المدن المشرقية بصورة عامة ٨٤٪ ، وتتدنى هذه النسبة المشتركة مع ألفاظ المدن المغربية إلى ٧٨٪

ونلاحظ اختلافات محسوسة فى لغة المخاطبة حتى بين مفردات المدن فى بلد واحد ، ونرى مثلًا كيف تختلف الأَلفاظ فى بور سعيد من المترادفات المستعملة فى القاهرة :

بور سعيد : (١) بازَار (٢) تَنُّورهْ (٣) بُلْمانْ (٤) ألِّسْ

القاهرة : (١) سُوء (٢) كُومْبِيلِيزُون أَو كُونْبِينيزون (٣) لُوكْس (٤) إتْرِيأ

ونجد فى مختلف المدن الجزائرية مثلًا المترادفات التالية بمعنى (أرجوحة) جَعْلوله ، جوجليله ، تَعْلايله ، دُويْغَه ، محلْحلَه ، حلِيزْه ، جُلُّيْسه ، متِيِنْسه ، تتِيْسه

ونود فيما يلى أن نقدم نتائج بعض بحوثنا الميدانية فى البلدان العربية وذلك مايشير إلى الفرق الكبير فى المفردات بين لغة المخاطبة فى القاهرة ولهجات الفلاحين فى قرى الدلتا والوجه البحرى عامةً ، وكذلك بين المفردات فى لغة أهالى بيروت ولهجة قرية صوَّانِه الواقعة فى جنوب لبنان على بعد ١١٠ كيلومترات من بيروت .

فى مصـــر :	القـــاهرة	—	الدلتـــا
	سُلْطَانِيَّه		تُبْسِيَّه
	فَتَّه		تَسْقِيَّهْ
	طَبقْ		صَحن
	بطَّهْ		بحَّه
	ِست (مدامْ فى لغة المثقفين)		جماعة
	بيتْ		دارْ

* * *

فى لبنـــان :	بيروت	—	قرية صوّانه
	هلَّأْ (الآن)		إسَّه إسِّى
	بنْطَلُونْ		شِنْتِنِىْ
	كَالْسِتْ (جورب)		أَلْسِيْن
	شَحَّاطَه (علبة)		كَبْرِيتى

ثم هناك عامل اجتماعى من نوع آخر يجب أخذه بعين الاعتبار ، نقصد درجة ثقافة المتكلم وعمق معرفته للغة الفصحى وهذا ما يلعب دورًا لا بأس به فى اختيار المفردات والتراكيب المرادفة فى الحوار بلغة المخاطبة اليومية ، وبالتالى يؤدى إلى تأثير لغة المثقفين (الغنية بالألفاظ الفصيحة) فى لغة المخاطبة العامة عند أهالى المدن ورفع مستواها وتقريبها إلى الفصحى. قد يستعمل العربى المثقف المتعلم فى حديثه اليومى مفردات خاصة أكثر تقاربًا للفصحى تتميز بخصائصها الصوتية وصيغتها النحوية وبمعانيها اللفظية. ونسرد فيما يلى بعض المفردات للغة المخاطبة العامة فى القاهرة ودمشق وما يرادفها من المفردات المترادفات فى لغة المثقفين مع الإشارة إلى الفروق بينها على مختلف المستويات اللغوية .

أولًا : الفروق فى الأصوات

القاهرة		دمشق	
لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
سوره	ثَوْره	متلًا	مَسَلًا
تليفزيون	تليفزيون	ضَابط	ضابط
كِدْب ، كِزْب	كِذْبْ ، كِزْبْ	كِدِبْ	كِزِبْ
اسْتِقْبَال	استقبال	مِمْكِنْ	مُمْكِنْ

ثانيًا : الفروق فى الصيغ الصرفية

القاهرة		دمشق	
لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
بالْحَرْف	حَرْفِيًّا	حَرْف حَرْف	حَرْفِيا
بِيَستَعمِلُوه	بِيُستَعمَل	بيستعمِلُو	بيستعمَل
زَل	أزَل ، أذَلّ	تَمرِينْ	تَمَرُّنْ

ثالثًا : الفروق فى التراكيب النحوية

القاهرة		دمشق	
لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
ضُبَّاط كُبَار	كِبَار الضُّبَّاط	ضِبَّاط اكِبَار	كِبَار الضُّبَّاطِ
عَالُه ضَيِّقًا	ضَيِّق الْأُفُقْ	أصلُه لِبْنَانِى	لِبْنَانِى الْأَصِلْ
مَفِيش شَك	بِدُونْ شَكّ	بَدَى الْحَرِبْ	بَدِت الْحَرِبْ

رابعًا : الفروق فى الألفاظ المترادفة

القــاهرة		دمشـــق	
لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
إمضا	تَوْقِيع	إمضَا	تَوْقِيع
على طُول	مُبَاشَرَةً	دِغْرِى	مُبَاشَرَةً
زَىّ بَعضُه	سِيّانْ	عَلَى طُولْ	دَائِمًا
صَاحِبْ	صَدِيقْ	فَاتْ	دَخَلْ
مَصْر	القَاهِرَة	جَرّبْ	حَوَلْ
أحَمَر شَفَايِفْ	رُوجْ	شِى يُومْ	يومًا مَا

ومن حيث الخصائص الوظائفية والأسلوبية تختلف لغة المخاطبة عن الفصحى ببعض العلامات الجوهرية :

أولًا : لكونها لغة للحوار اليومى الشفاهى ، هى تخدم بعض مجالات الحياة الرسمية وكذلك فى الكتابة وإن كان النطاق محدودًا فى المسرحيات. والشعر الشعبى ، السينما ، فى بعض برامج الإذاعة ، فى الأغانى . . . إلخ .

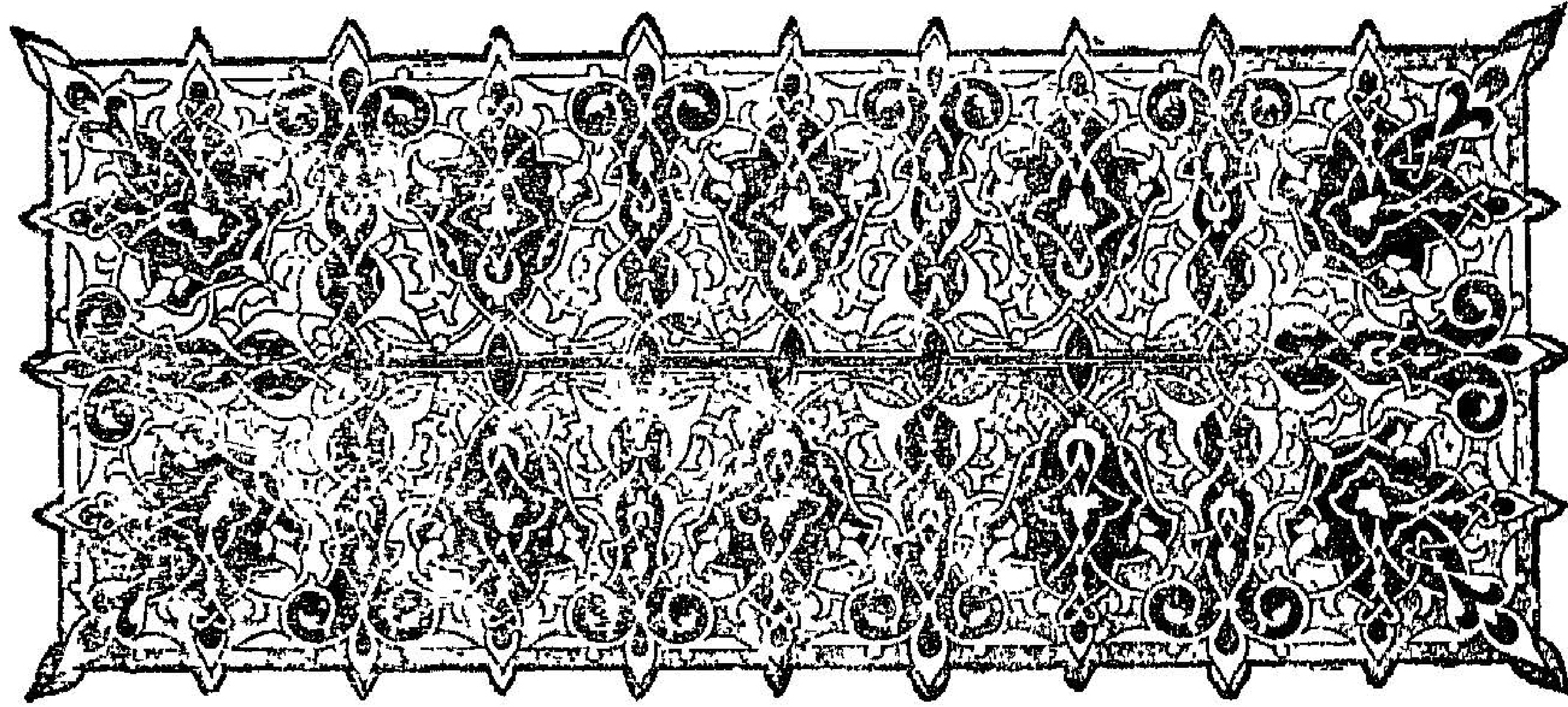
ثانيًا : لغة المخاطبة اليومية ــ خلافًا للهجات ــ غير محددة ومقصورة فى مساحة استعمالها لأنها تفهم وتقال فى أراضى البلد كلها .

ثالثًا : يلجأ إلى لغة المخاطبة فى الحوار اليومى فى المدن كل من يعرف الفصحى ومن لا يعرفها .

أيها الزملاء الأجلاء : باهتمامنا بدراسات اللهجات العربية ولغة المخاطبة اليومية لسنا من دعاة اللهجات ، إنما نحن أنصار اللغة العربية الفصحى. ولهذا السبب لا يجب إهمال الواقع اللغوى الاجتماعى لكى تحتل اللغة العربية الفصحى مكانتها فى كل عائلة عربية وكل مدرسة وجامعة عربية .

تستحق هذه اللغة – اللغة العربية الساحرة الخالدة – كل العناية والرعاية ، نسمعها كل يوم ونتمتع بها ،وهى الحسناء الجميلة ، وتقول للقمر : قم وأنا أقعد مطرحك ، وقد شغلت محل القمر والنجوم وأصبحت نجمة كبرى فى سماء العروبة بارق الأمل ،وتتلألأ لؤلؤة الرجاء وتنير طريقنا كشمس ساطعة ترسل إلينا أشعة الانبعاث والازدهار للعلم والحياه .

الدكتور جريجورى شرباتوف
عضو المجمع من روسيا



تهنئة مجمع اللغة العربية في عيده الخمسيني

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

كُلُّ يومٍ آية للناظرينْ   لكَ تُجلىٰ ياعرينَ الخالِدينْ !
قِفْ هُنا فَالخيرُ ثَرٌّ كالحيا   حِينَ يسْقِى الروْضَ بالماءِ المعِينْ
قِفْ هُنَا تَختلِج الرُّوح هوىً   فَرْحةً يبعثُها النَّصْرُ المُبينْ
مجْمعَ الفُصْحىٰ أُفَدِّيكَ فكَمْ   لكَ في الخَافِقِ منْ مأْوًى مكِينْ
هِيَ خمسونَ ، ولكن رَيعُها   بالسَّنا السَّاطِع قد أعشَى القُرُونْ
هِيَ خمسونَ ، ولكنْ فَيضُها   أَخْصب الفُصْحى بما أَثْرىٰ المئِينْ !
لغةُ القرآنِ ما أعظَمها   خيرُ مذخُور لدُنيا ولِدينْ
صنتها عن عبث فارتفعت   فِي الدُّنى عن كيد كل الكائدينْ
وتبدّتْ كعروس تَاجُها   خَيرُ تَاج ضاء في أسنَى جبينْ
أورقتْ بعد ذُبُولٍ وزَهَتْ   كمرايا عكَستْ مجد السِّنينْ !

* * *

إيهِ حِصنَ الضاد ، كم أثريْتَها   بـ (اصْطِلاح و اشتقاق) كل حينْ
تحصدُ اللؤلُؤَ مِن مكْمنِه   وتنَقّى جوهَر الكنز الدَّفينْ
فإذا الدُّرُّ نسيق رائعٌ   كرحيق سائغ للشَّاربينْ

* * *

قُرناءَ الفَضْلَ مَرْحى فى العُلَىٰ يَقتَدي خَيْر قَرينٍ بالقرينْ
شهد التاريخُ والدُّنيا لكم مَوْقِفاً أحْيا تُراثَ النَّابهينْ
معجزاتٍ بَهَرتْ كلَّ النهى صنعةُ المستبْسلين الطَامحينْ
رُبَّ سامى الفكَر منكم كم شرَى لَفْظَةً مُثْلىٰ بتقْريح الجفُونْ
(سيبويهِ) الفَذُّ كَم حلَّ هنا و (ابن سينا) عبقرىٌّ الباحثينْ
و (كِسائى) كَسَا العلم جدى و (خليلٍ) هُو فخرُ النابغينْ
ما بنِى هيثم بفضْلٍ باذخ لايُباهِى فى الدُّنى غير ضَنينْ
فَقُصاراكم رضَا اللهِ الّذِى حُبُّه يعمُرُ قَلْب المُؤْمِنينْ!

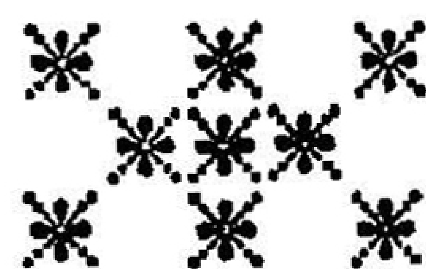
* * *

وبنَاءٍ قَد غَدا أُعجُوبةً أَخْضَع المالُ لَهُ كُلَّ ثَمِينْ
سُخِّرَ الفَنُّ لَه واحتَشَدتْ آيةُ المِعمارِ أَجُهْد الصَّانِعينْ
حضَن الفِكْرَ مِثالِيًّا وما أروع البذْلَ لِفِكْرِ النَّابغِينْ
فَهْو مثْوى أَنْسُرٍ أَو شُهُبٍ وعرينٌ للنُّهى خيرُ عرينْ!

* * *

قَادةَ الفُصحىٰ سلَاماً فِيكُمو عبق الطِّيب، ونِبراسُ اليقِينْ
سوفَ تُجزَونَ من المولى علَى مابذَلْتُم روح جنَّاتٍ وعِينْ!

حسن عبد الله القرشى
عضو المجمع من السعودية



العامية والفصحى في القاهرة والرباط (*)

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

في هذا الجمع الحافل نحيي بكل اعتزاز وإكبار اليوبيل الذهبي لظهور مجمعنا الموقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كمجمع رائد أخذ على نفسه منذ اللحظة الأولى إمداد العروبة بالرصيد الأصيل للغة الضاد لغة العلم والحضارة والتكنولوجية وقدوني في شمولية نادرة وعمق وبعد كبيرين، بهذا الوعد الخطير مما جعل منه المنتدى العروبي الوالد الذي برهن بمنجزاته الرائعة عبر خمسة عقود من السنين على أن لغة القرآن كانت ولا تزال منبع الكلمة الرصينة الجزلة الطيعة ذات المحتوى العلمي والحضاري الدقيق .

وقد كان لإبداعات مجمعنا – الذي يضم في رحابه العامرة أقطاب الفكر وجهابذة العلم من أبناء الوطن العربي – القول الفصل في سيولة الكلمة وشيوعها فهنيئا لمجمعنا بعيده الذهبي وهنيئا للعروبة بهذا الكيان الذي تنضوي تحت رايته معتزة فخوراً .

أما البحث الذي اخترناه لهذه المناسبة الفذة فهو موضوع نال من رعاية مجمعنا الحظ الأوفر وسيكون إسهامنا فيه متواضعا يستمد أصالته وبعده من المنهج البناء الذي ركز أسيسته مجمع اللغة العربية في مئات الدراسات والبحوث التي أبدعها أعضاؤه الموقرون من مختلف أنحاء العروبة .

العامية هي ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111) وقد لاحظ أن في كل مدينة ألسنة ذلقة غير أن اللحن كان فاشيا في العوام (ص111) .

وقد تحدث أحمد أمين عن العامية في القرن الرابع ، فقال : « إن اللغة العامية أصبح معترفا بها يبحث في ألفاظها وأساليبها وينتقي منها خيرها إلا بعض علماء كأبي العلاء المعري (ظهر الإسلام ج 2 ص 100) :

(*) القاهرة أسست في القرن الرابع الهجري والرباط في القرن السادس .

وأغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية حتى ما يتصل بالقلب والإبدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك . وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة تجعلها فى بعض الأحايين أكثر إيغالا فى القلب والتسهيل .

ولهذه الوحدة الأصلية أمثلة لا تنفرد بها العامية فى قطر عربى دون آخر بل تمس اللهجات الدارجة فى معظم أجزاء العالم العربى ، فمن مجالى التخفيف فى اللسان الفصيح والتى أثرت فى ألسنة العامة وجود مترادفات تختلف بعضها عن بعض بإضافة حرف واحد وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومى أخفها نطقا وإن كان أكثرها أحرفا مما يؤكد أن عقلية العامة لا تنحرف عادة عن الأصيل إلا إذا لم تجد فى صيغه ما يتفق وطبيعتها الميالة إلى التسهيل .

وتوجد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجات من أهدافها استقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا فى معاجم وأطالس لغوية وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياسا وترتكز اللجنة فى هذا البحث على تنقل القبائل لما له من أثر كبير فى لهجات الأقالم وتطورها واختلافها (مجلة المجمع جزء 7) .

وهناك مترادفات تختلف ترتيب حروفها مثل جبذ وجذب (جبذ) وخربش وخرشب العمل أى لم يتقنه :

أما النحت فأمثلته كثيرة : ويلمه وهى منحوتة من أصلها (ويل لأمه)

صبّحه أى قال له صباح الخير .

مسّاه : قال له مساء الخير :

تويّل : قال يا ويلى :

فسّقه : قال له يافاسق .

ما شا الله (ما شاء الله) — ما طيبو (ما أطيبه) — مَحْلاه (ما أحلاه) الخ .

ومن أمثلة الإتباع أو الإبدال بنفس المعنى :

العُجَر والبُجَر — حيْص بيْص — هين لين (سهل) — هش بش (مسرور) — الكوع والبوع (كعو وبعو) — الجوع والنوع — شيطان ليْطان — حَسَن بَسَن الخ .

وهناك مئات الكلمات تحكى الأصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان .

أما الصيغ فكثيرا ما تتخذ نفس الوزن فى العامية والفصحى للتدليل على نفس المدركات كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقاطة والتظاهر والتشبيه أو التشبه والوصف مثل كنز (مكنوز) وعلاج (دواء) ووقف (موقوف) وغصب (مغصوب) وتفاقر (أظهر الفقر) وتباكى وتحامق وتجاهل وتماوت وتناعس وتشيطن وتفحل وتفرعن وتفرنج وتمدن وتوحش وبخل وجهل وسفه وضعف وفسق وغلط وكفر وأحمق (أى موصوف بالحمق) وأبله وأعمى .

ويجمع المذكر فى اللسانين بإضافة تاء مربوطة إلى المفرد مثل : حمارة (أصحاب الحمير) وخيالة ورحالة وعسالة (أصحاب العسل) وتشترك الفصحى والعامية فى الاشتقاق المنطقى من ألفاظ ذات معنى حسى مجرد كالحمام (من حم الماء) أى سخنه ومخدة من الخد والسماء من سما أى ارتفع !! .

وقد تعددت اللهجات فى الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى وخفت أوجه الاختلاف بما استوثق إذ ذاك من صلات فى الأسواق الإقليمية والمبادلات التجارية والمصاهرات وقد لعبت قريش دورا هاما فى انتقاء أجود اللغات ، فنسقت واجتبت أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها أفضل لغاتهم (لسان العرب) فنزل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة تحت راية الإسلام بالرغم عن الفوارق القبلية البسيطة التى ساندتها أحرف القرآن السبعة وقد احتفظت ألسنة جهوية بميزات خاصة « من حيث التصريف والهيئة والإبدال وأوجه الإعراب والبناء » (متن اللغة ج 1 ص 47) فقريش مثلا تفتح نون المضارعة وأسد تكسرها والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها أما الاختلاف فى الأسماء فلا يكاد يظهر إلا فى لغة حمير التى ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها (المدية الحميرية بدل السكين مثلا) .

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب فى مظاهر مختلفة كالإظهار والإدغام والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتسهيل والإبدال وهو اختلاف فى الصور الظاهرة لمخارج الحروف مع وحدة اللفظ ، وقد عرف العرب منها قديما العنعنة عند تميم وقيس (إبدال الهمزة عينا) والكشكشة والكسكسة عند ربيعة (إبدال كاف الخطاب شينا) والغمغمة عند قضاعة (وهى إخفاء بعض الحروف) والفحفحة عند هذيل (إبدال الحاء عينا مثل حتى وعتى) واللخلخانية فى عمان واليمن (وهى حذف همزة ما شاء الله) (مشا الله) والتلتلة فى بهراء وهى كسر تاء المضارعة (تِلعب) والوتم عند أهل اليمن (قلب السين المتطرفة تاء كالنات فى الناس) .

وقد لاحظ الأستاذ فريد أبوحديد (مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص205) أن حركة الكسر تكاد تكون شائعة فى كثير من الدول العربية مثال ذلك كسر آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤنثة المخاطبة فيقولون فى الشرق أنت مالك (يقول المغاربة مالك بفتح اللام) وهى لهجة لخم التى تكسر ما قبل كاف المخاطبة .

والوكم والوهم عند ربيعة وكلب (كسر كاف الخطاب وهاء الضمير) (عليكم عنهم) والاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار (وهى قلب العين الساكنة قبل الطاءنونا) (أنطى — أعطى) وما زالت مظاهر ذلك إلى الآن عند الأعراب .

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الألفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن فى اللغة الموحدة نفسها اختلافا فى الأبنية من لغتين إلى ثلاث عشرة لغة (عباءة — عباية الخ) .

وقد أرجعت أصول الكلمات الواردة فى القرآن إلى خمسين لهجة من لهجات القبائل علاوة على وجود كلمات معربة .

وظهر الانحراف فى الحركات الإعرابية منذ صدر الإسلام فسار العوام فى منهجهم المنحرف واستفحل هذا الزيغ اللغوى باختلاط العرب بالأعاجم بعد الفتوح فهب علماء اللغة لتقويم العامية وإرجاعها إلى أصالتها الفصحى وتجلى هذا المجهود فى « أدب الكاتب » لابن قتيبة « ودرة الغواص » للحريرى فخف البون بين الفصحى والعامية إذا روعيت شساعته فى اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية فى جميع مظاهرها لغة عربية محرفة الشكل غير مضبوطة القواعد .

وتجلى هذا الانحراف كما سنرى فى عامية الشمالين الشرقى والغربى للقارة الإفريقية أى مصر والمغرب .

وقد أشار الثعالبى فى فقه اللغة (طبعة 1378 — 1959 — القاهرة ص 450) إلى أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية أوصلها إلى مائة وواحد وأربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال والطراز والخياط والند والبخور والغالية والحناء والمضربة والقمرى والربعة والخرج والدواة والمرفع والفتيلة والمجمرة والمزارق والطبل والشكال والقلة والهريسة والعصيدة . وقد دخلت كلها فى عامية البلدين .

ثم ذكر (ص 453) أسماء تفردت بها الفرس فعربها العرب أو تركوها ، منها :

الإبريق والكوز والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور والسميذ والكعك

والسكنجبين والجلنجبين والفلفل والكروياءوالقرفة والزنجبيل والسوسن والياسمين والمسك والعنبر والكافور والقرنفل ؛

وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل فى المعجم العربى لا بكيفية مباشرة كما هو الحال فى مصر لأن المغرب ظل فى منحى عن التأثيرات الفارسية .

ويختلف هذا التأثير فى الأقطار العربية الأخرى ولعل الدخيل من الفارسية فى لغة العراقيين يوازى الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال فى مصر فإن معظم الدخيل فيها فى لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الإفرنجية (محمد رضا الشبيبى مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ج 8 ص 131) .

وديوان العراق لم ينقل من الفارسية إلى العربية إلا فى عهد الحجاج الذى أمر بذلك كاتبه صالح بن عبد الرحمن الذى كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون — المجلد الأول القسم الثانى ص 437) ؛

وكذلك الأمر بالنسبة للغة التركية مثل باشا وبكرج (إناء معدنى) وخازوق وتخوزق (التخوزيق) وسنجق وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء) وطوبجى (مدفعى) وصابونجى وجبدولى (صدرية) وجامكية (مرتب عسكرى فى عهد الموحدين) وخواجى (تاجر) وبابوشة (بابوج) وبازار وباشادور وبرنامج الخ .

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية على ما يقال :

ياقوت ، وملوخية ، ومصطكى ، ولوبياء ، ولجنة ، وكروياء ، وكرنب ، وكافور ، وقيطون ، وقيراط ، وقيثارة ، وقنطرة ، وقنب ، وقمقم ، وقلم ، وقصدير ، وقرنفل ، وقرميد ، وقانون ، وقالب ، وقارب ، وقادوس ، وفندق ، وفنار ، وفلس ، وفص ، وفخ ، وطاجن ، ورطل ، ودلفين ، ودرهم ، وتؤلول ، وبلغم ، وبجماط ، وبطاقة ، وبارود ، وأوقية ، وإقليم ، والألماس ، والرز .

أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية ألفاظا يقال بأن منها إسطبل ، وبوق ، ودينار ، وسجل ، وصراط ، وصاقور ، وطرطور ، وقرصان ، وفرن ، وقفة ، وقلنسوة ، وقميص ، وقنديل ، وقنصار ، وكوفية ، ومد (مكيال) ، ومنديل ، وميل الخ .

وبينما كان التأثير الإسبانى فى اللجهة المصرية منعدما إذا به يتخذ طابعا عميقا بالنسبة للعامية المغربية نظراً للتبادل الموصول بين الأندلس والمغرب خلال الحكم الإسلامى أى طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمئة عام، بعد ذلك احتل البرتغاليون والإسبان فى غضونها مراكز هامة فى شواطىء البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقى من المغرب .

وقد ذكر برونو Brunot (هسبريس 1949 — العددان الثالث والرابع) أن اللغة الرومانية اللاتينية أمدت العامية عن طريق الفصحى بألفاظ مثل مد وقصر ، أو مباشرة بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور وذكر أن لفظ قنديل (candi) مقتبس من اللفظ العربى quindid وأن الكفتة مأخوذة من التركية .

ولاحظ فى مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا أن وفرة الألفاظ الإسبانية الدخيلة فى هذه المفردات تدعو إلى نسبة بعض الكلمات إلى أصل يونانى لاتينى وهذا الغلط هو الذى وقع فيه سيمونى Simonet فى معجمه glosaris حيث ذكر مثلا أن الشابل alose مستمد من اللفظ اللاتينى sapidus وقد أعطى (برونو) صورة عن مروح التأثيرات الأجنبية فى العامية البحرية بالرباط وسلا فذكر أنه بالإضافة إلى 456 لفظا عربيا يوجد 217 كلمة إسبانية و 30 لاتينية يونانية و 6 فرنسية وإيطاليةو 6 إنجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية وإحدى عشرة كلمة مشكوك فى مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ويلاحظ هنا قوة تأثير العربية الفصحى بالنسبة إلى موانى أخرى فى المغرب مثل مستغانم بالجزائر ففى الرباط مثلا تسمى chaloupe بالعشارية وفى مستغانم ببوطة من bota الإسبانية :

على أن البرتغالية قد تأثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يراسلون بالعجمية التى كانت عبارة عن برتغالية مملوءة بالألفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac de Chaurelrére ص 273)

ولعل أول نواة حضارية عربية يلقاها المغرب بعد الفتح الإسلامى قد جاءته عن طريق القيروان التى بدأت تنصهر فيها الحضارة الأموية بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على الهجرة فأقيمت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته مصر والشام .

فأول مسجد على النسق المعمارى الإسلامى فى المغرب هو ذلك الذى بناه سعيد بن صالح الحميرى فى نكور فى نهاية القرن الأول استمد فى تصميمه من جامع الإسكندرية

التى ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى رأسهم الصوفى أحمد البدوى دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هى طابع الفن المعمارى الذى لم يعرف بعد المقرنصات ولا التعاريج العربية . والواقع أن انعدام الاقتباس من الطبيعة والإمعان فى دراسة الرياضيات ونزعة الإبداع حدت مسلمى الأندلس والقيروان ومصر ثم المغرب إلى التسطيرات الهندسية الساذجة ....

مما يبرز تأثير الأندلس إحداث الموالى الصقالبة لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكرى طبعة الجزائر 1911 ص 97)

أو منح اسم القاهرة تيمنا وإجلالا لمركز فى قلب الأطلس بقبيلة بنى دويران .

ولعل الوحدة السياسية التى حققتها الدولة البربرية فى المغرب الكبير قد تجلت خاصة فى تجديد الاتصال بين الفن المغربى الأندلسى والفنين المصرى والعراقى السائدين فى بجاية ومهدية وتونس الخضراء وبذلك تعززت الوصلة بين جناحى العروبة واندرجت فى المجتمع المغربى مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول :

وقد كان للأندلس أثر على بعض مظاهر الحضارة المصرية نظرا لهجرة طائفة من الغرناطيين إلى بلاد الكنانة فى عام 1019 هـ هاجرت ألوف الأندلسيين إلى فاس وألوف إلى تلمسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الأعراب ونهبوا أموالهم فى تلمسان وفاس وسلم أكثرهم فى تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة إلى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثانى عن النفح ص 101) .

فى الحقل العمرانى يلاحظ أن « قصر البديع » الذى استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ — 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل فى الفكر الحضارى ولغته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية كتبت فى أبهائها الأشعار بمرمر أسود فى أبيض تذكرنا بروائع الأندلس : فمن شعر أبى فارس عبد العزيز القشتالى يصف فن هذه الروائع :

فإنها والتبر سال خلالها	وشى وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكأن موج البركتين أمامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بضفتها تماثل فضة	ملك النفوس بحسنها تصوير

وقد كتب بجدران (المصرية) المطلة على الرياض :

باكر لدى من السرور كؤوسا	وارض النديم أهلة وشموسا

(المصرية أى الغرفة الواقعة فى طبقة عليا (العليا بالفصحى) ولعل لوجود طبقات فى الأبنية منذ القديم بمصر أثرا فى هذه التسمية)

ولا يخفى ما لتوازى الأصلين القبطى والبربرى من أثر فى تكييف كثير من أوجه الشبه بين العاميتين بالإضافة إلى تأثير مظاهر الأصالة العربية فى فصحى المغرب وعاميتها عن طريق القوافل التجارية ومراكب الحجيج ورسل الفكر من كبار الرحالين منذ القرن الهجرى الثانى لعظيم ما اكتسبوه على طول منازلهم بأرض الكنانة .

لقد كان لكثير من القبائل العربية التى دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قريش التى نزل بها القرآن ولكن تطورها اللغوى لم يخرج عن النطاق العادى فى تبادل التأثير بين الفصيح والعامى ، لأن المغرب ظل بعيدا عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية ، وعاش فى إطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف أقل بين الفصيح والعامى ، ويتجلى ذلك فى المصطلحات المستعملة فى كثير من مرافق الحياة ، ولعل أبرز مظهر لعراقة المحتد العربى فى قبيلة أو إقليم يتجلى فى صفاء لسانها ، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الأرومة على عنصرين هما : الموطن والعجمة (التاريخ ج . 6 ص 96 . وإن كان الموقع الجغرافى لايمثل فى نظرنا عاملا جوهريا لإمكانية الهجرة فى فترات سالفة .

ومن الصعب أن نميز بعد التفاعل اللغوى الناتج عن ارتباط الأقاليم بين ما جد وما تلد فى هذه اللهجة ، غير أننا إذا قارنا بين المصطلحات المستعملة فى هذه القبيلة والتى تتبع المستعرب الفرنسى لوبينياك عام 1916 الكثير منها فى كتابه « نصوص عربية فى زعير) (طبعة باريس 1952) لمسنا مدى الصفاء الملحوظ فى الكثير من الكلمات التى درجت على ألسنة العامة من أهل زعير مما لا نجد له مثيلا إلا عند القبائل التى لا يتطرق الشك إلى عروبتها كالشاوية ، وقد أشار كثير ممن درس أنساب الفصائل السلالية المغربية إلى أن القبائل الرحالة فى سهول المغرب الغربية وأقاليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبتها الأصلية التى طبعتها منذ الفتوح الأولى ، وقد أثر ذلك حتى فى العنصر البربرى حيث لوحظ أن عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الألفاظ العربية (حضارة العرب — كوستاف لوبون — الطبعة الفرنسية ص 250) ، ولايخفى ما تتسم به لهجات الأندلس وإفريقيا الشمالية من صفاء رغم عدم تقيدها بالهندام الشكلى

للفظ ، ورغم الألفاظ البربرية التى تسربت إلى الأقاليم العربية نفسها على أن الكثير من الكلمات التى يزعم بعض اللغويين رطانتها يتضح أصلها العربى بعد التحليل فقد نشرت مثلا مجلة مجمع اللغة العربية (ج. 8 ص 326 عام 1955) بحثا للأستاذ شارل كونتز خبير لجنة اللهجات حول أثر اللغة العربية فى عربية المغرب أورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التى ترجع إلى أصل بربرى ، وقد وفق الأستاذ فى طائفة من الكلمات ولكنه لم يتحر فى مقارنة الأصل العربى المحتمل لطائفة أخرى مثل :

١ – أملوس (الوحل) الذى تمكن مقارنته باللفظ العربى (الملس) وخاصة الملص بمعنى الزلق إذ أعظم خاصية فى الوحل أنه مدعاة للزلق .

٢ – داليس (الخيزران) bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف ، ومعروف أن الخيزران لا يترعرع إلا فى الحرارة وفيه عشرات الأنواع .

٣ – المازوزى (الأخير من النتاج) ويظهر أنه مشتق من مزز الفصحى حيث يقال فعلته على مزز أى على مهل فالمازوزى يأتى متأخرا كأنه يتهمل فى انبثاقه .

٤ – قطوس (قط) : من مميزات العامية سواء فى المغرب أو بعض الأقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل أو فعلل أو أفعل إلى فعلول مثل أحمق وحمقوق أو حموق ، وبط (كالبطة فى السمن) وبطبوط وخنفر أو مخنفر وخنفور فيمكن القول إذن بأن قط العربية أعطت قطوس العامية .

٥ – أقراب وهو الخرج أو الجراب من القراب (لأن أداة التعريف بالبربرية هى الهمزة للمذكر والتاء المتصدرة أى فى أول الكلمة والمتسكعة أى فى آخرها) .

٦ – ساط بمعنى نفخ ولعلها من ساط الفحم أى خلط بعضه ببعض ليتقد كله إذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك والنفخ وقد ورد فى (المعجم الوسيط) أن المسجر هو الخشبة التى تسوط بها الوقود فى التنور .

٧ – كفس بمعنى لطخ بسواد أو فضح ، أصلها كفس أى اعوج ، والتكفاس بالعامية الاعوجاج إلخ . . . وتحدث كرد على عن « عجائب اللهجات » (مجلة مجمع اللغة العربية ج . 7 ص 128 سنة 1953) فقال :

« لعل الدخيل كان نادرا فى أرض الأندلس لأن الأمويين توخوا الوحدة فى

كل شيء » ، إلى أن قال : « وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والأندلس استعملت ألفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

ـ لاحظ فليش Fleisch في « المدخل لدراسة اللغات السامية » (ص . 101) أن لهجـة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة ويعني بذلك أنها لا تتقيد كثيرا بالأوزان والصيغ .

وإذا أردنا أن نبلور مدى تأثير لهجة مصر في المغرب وجب أن ننظر بين عاميتي القاهرة والرباط إذ التوافق ملحوظ في اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا خلاف بسيط في الشكل مثل بات وباح يبات ويبوح بكسر فاء المضارع في القاهرة وبتسكينه في الرباط وقد نشرت مجلة (مجمع اللغة العربية ج 7 ص 319) تسعا وخمسين كلمة بصدد دراستها للهجة القاهرية ولاحظنا من بينها خمسا وثلاثين لفظة مشتركة في المادة عدا الخلاف الشكلي المذكور) ومن أمثلة ذلك بخس يبخس بكسر الخاء في القاهرة وفتحها بالرباط ، وبدا يبدى (ق) ويبدا (ر) وبدر يبدر وبرق يبرق وبرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر) وبطأ يبطىء بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر) وبل (ق) عوض بلل (ر) يضاف إلى ذلك تباين خفيف في النطق (ترقيقا وتفخيما وإمالة إلخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة كالتركية على نسق التأثير السرياني والنبطي في الشام وهنالك نورد مفردات تفاعلت خلال التاريخ في نطاق مؤثرات واحدة أو مختلفة :

أبو جعران : كنية الجعل بوجعران .

أبو علي : الرجل اللطيف الكريم (مصر) وأبا علال في المغرب كناية عن الفقر المدقع .

اتسرق أي انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال انسرأني (مصر) .

أعشاري أي عشري نسبة إلى عشرة (مصر والمغرب) .

إمتا أي متى (ويقال أيضا يمتى في المغرب وميته بالإمالة في الصعيد المصري) .

انفضح بمعنى افتضح في مصر ويحتفظ المغرب باللفظ الفصيح وهو افتضح لأن المغرب لا يستعمل صيغة انفعل إلا لمعنى المطاوعة .

انقرع (مصر) أي لزم حده من قرع فهو قرع إذا ارتدع ويقال فى المغرب اتقرع (بالقاف المعقوف).

أورعينيه (مصر) قلعهما أو عورهما ويقال خور عينيه بالمغرب ولعل الكلمتين من قاريقور قورا بمعنى العور.

أيس لغة فى يئس وهى مستعملة فى البلدين.

أيش بمعنى أى شيء خفف منه نص عليه ابن السيد فى (شرح أدب الكاتب) وصرحوا بأنه سمح من العرب (شفاء الغليل ص 15)، (أيش)

باب الفتوح : أحد أبواب القاهرة وفاس.

بابوج : بابوش (كلمة فارسية) حذاء.

باس : قبل والبوس التقبيل (يقال بأنه فارسى معرب) (شفاء الغليل).

باسل : فلان باسل أو كلامه باسل أى ثقيل لا معنى له.

الباع : مقياس يمتد من طرف أصابع اليد إلى طرف أصابع الأخرى. وتقول العامة فى مصر والمغرب «فلان باعه طويل» أى له قدرة ونفوذ.

بتاع : هذا الشيء بتاع فلان أى متاعه أو فى ملكه (متاع بالمغرب).

بحلق بعينيه أى حدق النظر وحملق.

برّا أى فى الخارج، ومنه برانى أى غريب وأجنبى.

البربر : لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة لبربرتهم أى كثرة كلامهم وجلبة لسانهم ويطلقه العرب فى المغرب على سكانه الأصليين لنفس السبب.

برطم : تكلم بكلام غير مفهوم (بركم فى المغرب).

برمكى : معناه فى مصر فاقد الغيرة ذو أعمال جنسية شائنة أما فى المغرب فمعناها الكريم نظراً لكون البرامكة كانوا فى عهد الرشيد موصوفين بذلك.

بريمة : مثقب (لعلها مشتقة من الإيطالية barrena)

البزبوز : القصبة أو القضيب المجوف ويطلقه المغاربة على أنبوب الصنبور.

بسبس : دعوة الهر إلى الطعام، يقال له بس بس (بفتح الباء فى المغرب وكسرها بمصر)

البشماط : المرادف العربى للبشماط هو الكبنة أى الخبز اليابس (المخصص) البقسماط فى (مصر).

بشويش : (بفتح الباء فى المغرب) أى بتؤدة وهدوء ، يقال (تكلم بشويش) .

البصارة : تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابل وبصل وسمن .

بصبص الكلب بذنبه حركه .

بطال : عاطل من العمل ، تعطل الأجير فهو بطال .

بطنطة : ضريبة التجارة .

البعبع : ما يخوف به الصبيان (بعو بالمغرب) .

البعصوص : أى العظم الصغير الذى بين إليتى الإنسان ويستعمل عامة المغرب الكلمة الفصحى .

بعيد : يقال هو البعيد أى الأجنبي .

بغل : فلان بغل أى غبي ، ومن العادات المشتركة بين مصر والمغرب أن البغلة إذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا .

البقال : حسب القاموس ، بمعنى بياع الأطعمة عامية والصحيح البدال وقد ورد فى فقه اللغة أن البقال بمعنى بائع البقول معربة عن الفارسية (المغرب ومصر) .

بكرج : وعاء القهوة ويسمى فى المغرب بقرج ومقرج وهى كلمة تركية معناها غلاية .

البلغة : حذاء من جلد أصفر « ويظهر أن أصله من فاس فى المغرب لأنهم ينادون عليها البلغة الفاسية »(قاموس العادات الخ أحمد أمين ص 95) .

بندير : آلة للطرب كالدف ولعل أصلها إسبانى (bandera)

بنديرة : العلم وهى إيطالية bandiera .

بهدله : أى احتقره واستخف به (لطائف المنن للشعرانى ج 1 ص 175)

البورى : سمك ينسب إلى قرية بساحل مصر قرب دمياط وذلك حسب ياقوت (شفاء الغليل ص 46) .

بوغاز : أى مضيق كلمة تركية عربها الزقاق كغراب وهو مجاز البحر مثل ما بين طنجة والجزيرة الخضراء (المغرب ومصر) .

بونية : عربها جمع الكف (القاموس) وهى فرنسية الأصل (المغرب ومصر) .

بياع : أي بائع مثل بياع الرؤوس (عربيها الرأس) وبياع الزجاج (عربيها الزجاجي) (مصر والمغرب) .

تأفف : أي قلق وغضب فكأنه يقول لمن يخاطبه أف بك .

تبهر : أي عجب من أبهر أي جاء بالعجب وأصل انبهر تأثر بأشعة الشمس ووهجها وقد اقتبس العامة في مصر نفس المعنى من كلمة عربية أخرى،وهي وهر فيقولون انوهر أي انبهر وعجب إذ الوهر توهج الشمس ، ويستعمل المغاربة أيضاً تفهر بالفاء .

التربيعة : مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغربية من بلغ وبطاطين (أحمد أمين — قاموس العادات ص 96) وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص 115) والتريبعه (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد في المغرب نفس المعنى .

ترزي الخياط،وهو من الدرز أي الثوب بالفارسية وبنو درز الخياطون ويقال الدراز بالمغرب وهي من الطراز أي صاحب الطراز .

تعبان : أي متعب ولم يعرف عند العرب على ما يظهر (مصر والمغرب) .

تعنطز فلان : تكبر وتجنب الناس ، ويسمى المغاربة العبيد وأولاد الإماء العناطيز لأنهم يعيشون عادة معزولين عن الناس .

تفرج على لعبة : تفكه بالنظر إليها .

تفرشح :جلس وفرج ما بين رجليه ويقال في المغرب تفرشخ بالخاء بدل الحاء المهملة بمعنى جلس مادا رجليه (ولها في المغرب معنى آخر حيث يقال تفرشخ البطيخ بمعنى تكسر) ، وتستعمل لفظتا فسخ وفشخ في مصر بهذا المعنى .

تفنطز :كلمة يونانية معناها تريض phantasic وتوجد في العامية المغربية ولعلها اقتبست من الكلمة الفرنسية fantasic لألعاب الفروسية التي كانت تسمى قبل بالتبوريدة (أي اللعبة بالبارود) .

تكابوا على الشيء : بمعنى ازدحموا عليه واشتهرت في مصر خاصة اتكببوا (بكسر الباء الأولى وتشديدها) .

تكرع تجشا ويقال تبعج في الشام ولعلها من تجرع الماء إذا بلعه فالجشاء من لوازم تجرع الماء .

تمسخر ومسخرة : فلان يتمسخر بك (بيتمسخر فى مصر أى يهزأ بك)

تندة : مقتبسة من Tente الفرنسية بمعنى ظلة أو خباء وعربها الزفل وهو حسب القاموس ظلة تتخذ فوق السطوح تقى من حر البحر ونداه .

تنهد أى تنفس الصعداء وعربها تنفس وزفر .

جاب الشيء : جاء به .

جاحم أى دفع نفسه وسط آخرين وقد لاحظ الدكتور أحمد عيسى فى محكمه أنها من الجحيم ويظهر أنها من زاحم مزاحمة وزحاماً بمعنى مدافعة الناس .

جرجر : ى جر وجذب ويقال بأنها سريانية الأصل وقد اقتبسها المغاربة من العربية الفصحى لا من السريانية التى لم تؤثر فى العامية المغربية نظـراً لانعدام كل صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخياً .

الجعيدى : الجعد من الرجال المجتمع المتداخل المدمج ويطلق فى مصر على من قل ذوقه وكيا سته ، وفى المغرب على الضعيف البنية كأن أجزاء جسمه تندمج فى بعضها .

جلبية : جلباب أو قميص (جلابية بالمغرب) .

جليطة : بتسكين اللام فى مصر وتشديدها فى المغرب معنـاها الخلط وعدم الإتقـان تقول فلان جليط عمله إذا لم يتقنه (جلط فى المغرب ومنها الإتباع المغربى : خلّط جلّط) .

جوانى : برانى .

الجوخ : نوع من النسيج والجوخة كلمة فارسية معناها الكساء من الصوف .

الجوق : فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقى ويقال بأنها تركية الأصل .

حاف : خبز حاف أى من غير إدام .

حب الرشاد : عربها الحرف (المخصص) ويستعمل عامة المغرب الكلمتين وخاصة الحرف .

الحجاب : الحرز اشتهر باستعماله المصريون ويعمله المغاربة للتحصن ويطلق عليه فى كل من المغرب ومصر لفظ الحرز .

الحرقة ما يجده الإنسان عندما يطعم شيئاً محرقاً أى حاراً أو دسما يثير نوعاً من التخمة فى معدته .

الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم (القاموس) (مصر والمغرب) .

الحريف : الزبون وحريفك معاملتك فى حرفتك والزبون مولد (القاموس) ، وتستعمل عامة مصر لفظة زبون المولدة وعامة المغرب كلمة حريف .

الحشيش : الكيف القديم ، ولعل منه اسم الحشاشين أى القرامطة شرابى الحشيش .

حط بمعنى وضع اشتهرت فى عامية مصر والمغرب وتستعمل فى الفصحى فى مثل العبارة التالية : حط الله عنه الوزر أى وضعه عنه .

الحفا : عدم لبس شئ فى الرجل .

حمص القهوة : قلاها على النار وهى عربية حسب الأزهرى (حب محمص أى مقلو) .

حوائج : ما يلزم الإنسان من ملابس وغيرها . .

الخازوق : الخشبة كانت تستعمل قديماً لإعدام المجرمين وهى من الخزق أى الطعن بالرمح ، وقد دخلت إلى مصر عن طريق التركية ولا ندرى كيف تسربت إلى المغرب؟ فهل تم ذلك فى عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية إلى المغرب أم عن طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عدة آلاف بمصر ولا سيما فى عهد العلويين ؟

خربشه : خدشه وخمشه .

خربق عمله : أفسده (تستبدل العامة فى مصر بالقاف الألف فتقول خربأ) .

خرخش : أى صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة وفى مصر لأزيز الصدر .

خردة : قطع الحديد المستعمل وهى كلمة فارسية مقتبسة من الخرثئ الفصحى على ما يظهر .

الخس : بقل عريض الورق يوكل نيئا (مصر والمغرب) .

خلاه : خلاه فى المحل أى تركه يقال : خله فى المحل أى اتركه حتى تعود إليه .

خمسة وخميسة : عبارة عن كف فيها خمسة أصابع يزعمون أنها تدفع العين (أحمد أمين — قاموس 195) وقد عرفت فى افريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجيين وتوجد صورة لها فى (متحف باردو) بتونس ويقال فى المغرب خمسة لخماس بدل خمسة وخميسة فى مصر ويسميها الفرنسيون يد فاطمة .

الخنفسة : أى غير الجميلة وفى المثل المصرى « الخنفسة عند أمها عروسة » ويقابله المثل المغربى : (كل خنفوش عند مو غزال) (كل خنفسة لدى أمها غزالة)

الحوا : بكسر الحاء (وتسكينها بالمغرب أى الفراغ . يقال : شربت على الحوا أى على الريق والحواء فراغ المعدة من الطعام .

خواجه : كانت تطلق فى الأصل على الأعيان والتجـار ثم أطلقت على الأجنبى بمصر ولكن المغرب احتفظ بمعناها الأصيل وهى لفظة فارسية معناها سيد (مصر والمغرب والشام) :

خوخ الفاكهة : فهى مخوخة أى فارغة القلب لا لب فيها .

الخوخة : تطلق غالباً على الباب الصغير فى قلب الباب الكبير وعربتها حسب القاموس هو الخادعة .

الدادة : المربية ، ودادا كلمة فارسية معناها خادم ومربية .

دحدح فلان : مشى على مهل أو تقارب خطوه مع سرعة ، والدحداح فى المغرب القصير وتلك هى صفة سير كل من قصر جسمه.

درابزين : الحاجز الحامى فى السطح أو الدرج (دربوز بالمغرب) .

دربكة : الطبل الصغير وهى فارسية عربيها الكوبة التى أشار إليها صاحب القاموس .

الدرفة : درفة الباب أى مصراعها وهو من الدفة بمعنى الجنب ويستعمل العامة فى المغرب لفظة بدل دفة درفة فى مصر .

درويش : فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع) (مصر والمغرب) .

الدشيش : دشيش الفول طحينه وهى من جش الحب إذا دقه ويقال الدشيشة فى المغرب (الطحين المدقوق) .

دغرى : مشى الرجل دغرى أى قدماً لا يلوى على شئ ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعنى مستقيم أو طوغرى التركية .

الدمغة : الطابع والتنبر ويقال أيضاً التمغة بالمغرب وهى فارسية (من التمغ أو الطمغ) .

دندن : غنى بصوت أو آلة موسيقية .

دهست السيارة الرجل : أى داسته ودعسته وتستعمل العامة بالمغرب معس بهذا المعنى مستبدلة الدال ميما :

الدوار : معروف فى ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر اجتماعية كالأمير والمدير والمعلم وغيرهم فهى نواة حضرية وأصلها فارسى (داوار) وهى بمعنى القرية بالمغرب.

رأس مشعنن : أى منتفش الشعر أشعث .

الرزمة من الثياب ما شد فى ثوب واحد .

رغرغت عينه بالدمع : أى اغرورقت (غرغرت بالمغرب) .

الرقاق : الخبز الرقيق واحدتها رقاقة (رقاقة بالمغرب) .

الرقعة : عربية معناها البطاقة استعيرت لرقعة الشطرنج وهى دخيلة حسب (شفاء الغليل) ومن أدواتها المعروفة كذلك فى عامية مصر والمغرب البيدق والرخ والفرز والفرس والشاه .

الزريبة : المكان الذى تنام فيه البهائم وهى فصحى .

زعا : صاح من الزعق (زعق بالمغرب) .

زعلوك : أى صعلوك وقد ورد زعلوك بضم الزاى بمعنى القصير المجتمع العضل ويطلق بالمغرب خاصة على شديد المراس وصعب الطبع ، (مصر والمغرب) .

زغرتت النساء فى الأفراح : من الزغردة وهى هدير الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد بين ألسنتهن وأصابعهن .

زفر : ريحة زفرة أى منتنة وهى رائحة بعض الأطعمة كاللحم والجبن وهو من الذفر أى شدة رائحة الطيب أو النتن .

زلا : أى زلق (زلق بالمغرب) .

الزلط : يقول المصريون فلان رأسه زلط لا شعر فيه،وفى الجزائر : « فلان أزلط من فار الجامع » وهو المدلول المغربى للزلط بمعنى الفقر .

الزمت : شدة الحر ووقوف الريح وهى من زمته إذا خنقه .

زنبيل : وعاء من خوص وهو المعنى العربى الأصيل ويطلق فى المغرب خاصة على وعاء من نحاس .

الزواق : النقش بالألوان وهو من الزاووق أى الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق .

السبوع : اليوم السابع من ولادة الطفل والسبوع لغة فى الأسبوع .

السبيل : صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس فى قارعة الطريق ولعله من السبل بحركتين أى المطر الهاطل والسبيل أى الطريق .

ستف : رتب وهى من صففه أو صفصفه فاصطف وهو مصطف (مستف) .

سطل : بمعنى بقرج ولكن له عروة خاصة وهو ستل بالفارسية (situla) باللاتينية السقاء والسقا : موزع الماء على البيوت (مصر) وهوالمسمى القراب بالمغرب لحمله القربة على ظهره ، والقربة هي السقاء (بكسر السين) .

سلك الباب : سدها ويقال في المغرب أيضاً سكرها وهي سريانية وفي مصر سنكر بزيادة النون .

السميد : لون من ألوان الدقيق وهو معرب عن الفارسية (فقه اللغة) واستعمله الحريري في مقاماته ، ويقال السميد بالمغرب والسميط بمصر .

السوة : (بكسر السين في مصر وفتحها في المغرب) أسفل البطن وهي من السواة بمعنى الفرج ولكنها أطلقت خاصة على الدبر .

سيا الأرض : غسلها (سيق بالمغرب) وهي من صيا رأسه إذا غسله فلم ينقه (متن اللغة) :

السيفون : مجرى خاص للماء أصله siphon (مصروالمغرب) .

شاف : أي تطاول ونظر .

شألب : أي سقلب بمعنى صرع وأصلها قلب ، وهي شائعة أيضاً في الشام (شقلب بالمغرب) :

الشايط : الطعام الذي يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته فيرمى ، والشايط في المغرب هو كل ما يرمى .

الشربات : الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد للمناسبات المفرحة .

الشربة : الحساء الذي يقدم قبل الطعام ومقابلها التركي جوربا .

شرشر الماء : أي خر بمعنى اشتد سيله .

شرمط : مزق (اشرمط في مصر) وذكر الدكتور أحمد عيسى في « المحكم في أصول الكلمات العامية » أنه من أثر نمط السقاء إذا انفتح والإثر نماط اطمحرار السقاء إذا راب ورغا ففي ذلك معنى التمزق » ويظهر لي أن أصل شرمط شرم فهو أشرم إذا انشق وتمزق وتشرم أي تمزق وأصل تشرمط تشرمت (تاء التأنيث) . وقد تكون من الشرط بمعنى الشق فتكون الميم زائدة .

شقافة : أى شظية الخزف والشقف الخزف المكسر (شقفة بتسكين القاف فى المغرب) .

الشكال أى رباط العفال للفرس ولعلها فارسية دخيلة فى الفصحى .

شكم الدابة : شد فمها بالشكيمة .

الشنطة : الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابس (ويطلق فى المغرب على الحقيبة) وأصلها تركى على ما يظهر (جنته) .

شوشة : شعر قمة الرأس ومعناها بالسريانية كبة القطن وتطلق فى المغرب على أزرار الحرير السوداء المتدلية من الطربوش .

شوية : أعطنى شوية أى شيئاً يسيراً .

الشياط : رائحة الاحتراق .

الشيت : نوع من القماش (أصلها هندى) .

الشين : علامة النفى فى اللهجتين مثلا : فلان ماجاش أى لم يأت (أصلها لم يأت شئ) وما كلتش أى لم آكل شيئاً وأخذتش حاجة أى هل أخذت شيئاً (وأضيفت حاجة لزيادة البيان) .

صرصع : صاح بصوت عال وهى من فرفر وتستبدل العين حاء بالمغرب فيقال صرصح .

صنارة : حديدة الصيد .

صنايعى : نسبة إلى الجمع وهو صنائع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعه صنايعية بمصر والمغرب .

صينية : طبق يجهز فيه الطعام ويطلق فى المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كؤوس الشراب وهو منسوب منذ العهد الجاهلى إلى الصين التى يستورد منها .

طابور : صف من العساكر (التابور تركية) .

طاجن : وعاء للطبخ (كلمة يونانية) .

الطار : محرف عن إطار الأعجمية وعربيه الدف وقد دخل فى عامية مصر والمغرب وغيرهما (ويقول عامة المغرب طر) .

طاقة : كوة .

طاقية : ما يلبس على الرأس ولعلها مشتقة من تقية أى وقاية الرأس من الحر والقر .

طبطب على الولد : ربته .

طربوش : قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الرأس كلمة فارسية (. أشار إليها ابن دحيـة فى تفسير حديث «يلبسون الشعر» أى السرابيش .

طز : كلمة يقولها الإنسان إذا شاهد شيئا رديئا أو قبيحا، فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطنز بالتركية وقد عربت) .

الطقس : حال الجو من حر أو برد .

طنجرة : وعاء للقلى أو الطبخ (تنجرة أو طنجرة تركيتان) والطنجير بالمغرب معناه الطنجرة الكبرى .

عافر الرجل : بذل جهده ليقوم بعمل (تعافر بالمغرب) .

عبد اللاوى : نسبة إلى عبد الله ومنه البطيخ العبد لاوى .

عربية أو عربة : عاميتان مرادفهما (العربى عجلة) وأطلق على مركب (ذى عجل تجره الخيل. والعربية هى الشائعة عند عامة مصر والمغرب .)

عرقان : (فصيحة بمعنى عرق (المصباح) يقال عرقان فى مصر والمغرب .

العرقسوس : عرق نباتى حلو يمتص .

عيان : مريض ومدلوله الأصيل فى الفصحى من الإعياء فى الأمر والمشى لا فى المرض (القاموس) (مصر والمغرب) .

عيط : نادى ، والعيطة فى المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف .

العينة : النموذج من السلع (العينة) بتسكين الياء فى المغرب) .

غامق : لون أسود غامض أى شديد السواد ومقابله فاتح إذا خف لونه .

غرقان فى الدين : أى غريق فيه بحيث لا يستطيع أداءه .

الغريبة : نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكر ويكثر فيه السمن (أحمد امين ص 299) .

فتافيت : ما تبقى من قطع الخبز على المائدة من فته إذا دقه (فتايت بالمغرب) .

الفدان : وحدة المقاييس المصرية أو الممرات وهو لفظ نبطى (شفاء الغليل) ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعى .

الفرت : (بكسر الفاء) الكرش وأصله الفرث (وهو بفتح الفاء فى المغرب) .

فرتك : قطع ومزق مثل الذر .

فرجية : ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم ويقال بأن أصلها يونانى وأن الأتراك اقتبسوها وتطلق فى المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهو منفرج من الأمام لذلك لا يبعد أن يكون أصلها عربيا .

فرحان : فرح (القاموس) يقال فرحان بمصر والمغرب .

فرم : أى قطع وكسر وهى سريانية الأصل على ما يقال ولعلها دخلت إلى المغرب عن طريق الفصحى نظرا لانعدام التأثيرات السريانية فى اللهجة المغربية ، وهى تطلق فى المغرب على الكسر الجزئى كفرم الأسنان أو الكأس .

فش : أى فتح ويقال فى المغرب فش الوطب أى أفرغه من الهواء وفى المثل فشه فش الوطب أى أزال نفخته وكبرياءه .

الفشار : الكذاب المغالى فى كلامه .

فقس الطائر البيضة : فضخها .

الفقى : (بالهمزة وكسر الفاء) الفقيه .

الفلقة : الآلة تمسك بها الأقدام فى الكتاب لضرب الصبيان ويقال بأنها يونانية اقتبس منها الفرنسيون palanque .

فلوكة : سفينة صغيرة وهى من الفلك أى المركب .

فلصو : أى زيف ، وزائف درهم فلصو أى زائف وأصلها إسبانى (falso) أو إنجليزى (false) (مصر وشمال المغرب) ويمكن مقارنتها بكلمة فلس وإفلاس العربية .

فميلية : أسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب وهى من اللفظ الفرنسى famille

الفنطزية : نوع من اللعب بالبارود على صهوة الخيل وهى يونانية أخذ منها العربيون fantazia

قارب : سفينة صغيرة وهى يونانية على ما قيل عربت .

القراع : مرض جلد الرأس وأصله القرع بحركتين أى بثر يخرج بالرأس (القرعة بتسكين الراء فى المغرب) .

قرنص من البرد : تبقض ، ويقال فى المغرب حنية مقرنصة أو مقربصة بالباء أى متقبضة النقش والترخيم .

القرينة : الحنية تكون مع الشخص .

القصرية : الوعاء يتبول فيه ولعلها من اللاتينية gastrum ومعناها إناء مجوف وتطلق فى المغرب على وعاء مجوف لعجن الخبز .

قطع اللبن أو ابن قاطع : بمعنى حامض (وانقطع الحليب فى المغرب أو تقطع أى لم يصلح لأن يغلى أو يروب نظرا لعدم طراوته ، ولعلها من قطع الخمرة بالماء مزجها (متن اللغة) .

القفطان : من الملابس الخاصة بالرجال فى مصر ويلبسها حتى النساء بالمغرب وأصلها قفتان التركية المقتبسة هى أيضا من خفتان الفارسية .

قفقف من البرد : ارتعش وهى فصيحة تستعمل فى مصر والمغرب .

قلع ملابسه : أى خلعها وهى بحركتين فى مصر إلا أنها مشددة اللام بالمغرب حيث تستعمل بمعنى الانتزاع كقلع الأسنان أو تقليع الحجارة من الأرض وهو معنى فصيح .

القهاوى : المقاهى .

قورمة : مأخوذة من قاورمة التركية وهى لحم يطبخ بالبصل (المغرب ومصر) .

كاكى : تقول كاكت الدجاجة أى صوتت عند البيض وأصلها قاقت وتستعمل العامة بالمغرب هذا اللفظ فتقول : الدجاجة تقاقى .

كانى مانى : يقال بأنها تركية ومعناها كيت وكيت بمعنى الإكثار من الكلام عن طريق التلميح والكناية ويقول العامة فى المغرب كينى مينى .

وأكد الدكتور أحمد أمين بأنهما كلمتان قبطيتان فكانى معناها السمن والثانية العسل وهى فى الأصل خلط السمن بالعسل ثم استعمل فى خلط صحيح الكلام بفاسده ثم فى الكلام غير المفهوم (قاموس العادات الخ ص 333) .

كاوح أو أوح : فى مصر من كافح أى قاتل وناضل وتستعمل فى المغرب المكابرة وتروج عند عامة المغرب كلمة كافح الفصحى فى نفس المعنى .

الكباب : قطع صغيرة من اللحم تشوى فى السفافيد ، ويظن ياقوت أنه فارسى عربه المولدون (شفاء الغليل ص 174) .

كح : سعل (كحكح بالمغرب) وهى ترديد للمحاكاة أو على نسق جرجر بدل جر .

كرنفال : مسخرة أصلهافرنسي Carnaval (مصر والمغرب) .

الكسكس : طعام معروف بالمغرب خاصة يكس أي يدق من القمح فهو مكسوس ومكسكس ويسمى الكسكس بالمغرب .

كش كش : بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه وهو في المغرب بضم الكاف .

الكفتة : (بضم الكاف في مصر وفتحها بالمغرب) اللحم المهرم أي المقطع قطعا صغارا (ويقال في عامية مصر والشام المفروم) ويقال بأن اللفظ فارسي دخل إلى التركية ومنها إلى بعض العاميات العربية كالمصرية والمغربية .

كفى القدر : أي قلبها (كفحها بالمغرب) .

الكمنجة : بمعنى الرباب معرب حسب «شفاء الغليل» .

الكوارع : الكراع مستدق الساق عند البقر والغنم وجمعه أكراع وأكارع وتجمعه العامة بمصر والمغرب على كوارع .

كورجة : باع كورجة أي بلا وزن ولا كيل ولا عد وهي تركية معناها العمى ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الأعمى بدون تبصر .

الكيب : في مصر هو الحصير من ألياف البردى وهي من اللفظة التركية كيب ومعناها غطاء وتستعملها العامة في المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب يجعل فوق الدكاكين على نسق الإفريز والاستعمال المغربي أقرب إلى الأصل التركي .

الكوشة : موقد الحمام وعربها الأتون ، وتستعمل الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لأتون الآجر وهو بيت يطبخ فيه الآجر .

كومبانية : شركة((Campagnie)) (مصر والمغرب) .

الكيف : بعض أنواع التبغ (يقال له في مصر حسن كيف) .

لبارح=البارحة : أي الليلة الماضية ويقال في مصر إمبارح باستبدال أم من أل على لغة حمير لقوله عليه السلام ليس من امبر امصيام في امسفر .

اللبخة : دواء كالمرهم يوضع حارا أو باردا فوق العضو الألم (اللبخة) .

الألثغ : من في لسانه عسر في نطق بعض الحروف كإبدال الراء غينا بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول العامة بمصر اللدغ بإبدال الثاء ذالا .

لهط الرجل في الأكل : أي ازدرد اللقم الكبرى بدون مضغ وتستعمل في المغرب خاصة للتعبير عن إظهار التلهف في الطعام ولفظه لهف جارية أيضا بهذا المعنى في البلدين .

ليلة الحنة : هى التى تسبق عادة الزواج وللحمام والحناء فيها أهمية وليلة الدخلة الزفاف والبناء .

مبلم (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) أى ساكت لا ينبس ببنت شفة .

المتختخ : أى المسترخى من كثرة الماء (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) .

المترد : وعاء اللبن والثريد وأصله المثرد .

المخروع : ضعيف لا يقدر على العمل .

مخطوف : لون مخطوف أى أصفر .

مخوّخ : فارغ اللب .

مدغمس : عين مدغمسة أى ضعيفة البصر يستعمل عامة المغرب خاصة مدعمش(بالعين المهملة) .

مزنجر : أى يعلوه الصدأ أو الزنجار .

مسوكر : جواب مسوجر أو مسوكر أى مؤمن عليه أو مضمون (assicurase)

المضربة النجاد : المخيطة بالقطن (المصباح) (يقال مضربية فى مصر) .

المعجون : خليط لتخدير الأعصاب .

الملابطة : المصارعة (الملاكطة بالمغرب) .

ملط فى مصر وأملط فى المغرب : أى أملط لا شعر على جسده .

الميت : يتقارب المثلان المصرى والمغربى « الضرب فى الميت حرام » (مصر) « البكاء على الميت خسارة » (المغرب) .

الميضة : المرحاض .

نخشوش (بالنون فى مصر) وتخشوش (بالتاء فى المغرب) إذا دخل الماء فى خيشومه فأثار قلقه واضطرابه .

نش الذباب : أى طرده .

نغز : أى حرض ونغزه بإبرة أى وخزه وفى الفصحى نخس .

نقر : (نكر فى المغرب) بالكاف المفخم أى أكثر من الكلام المؤلف . نكر عليه أى لمزه بالكلام المؤلم .

نى للطفل لإغرائه بالنوم ويسمى غناء الأطفال بالتركية نيني والمهد بالفارسية نانو .

تونو : الطفل الحديث الولادة (مصر) وهو من الكلمة الفارسية نو ويقال فى المغرب نينو لكل جديد فى لغة الأطفال .

نينة : معناها أم جدة وأصلها ننة الفارسية وقد اقتبسها الأتراك ثم العرب ويستعمل عامة المغرب نانة (التى ترخم نه) وكثيرا ما يصف المغاربة الجدة بـ : « حنينة » فيقولون جدتى الحنينة ولا يبعد أن تكون نينة مرخمة عنها بحذف الحرف الأول على غير قياس تسهيلا .

هبهب الكلب نبح .

هجّالة : عزب ويقال عزباء(الأزهرى) وتستعمل فى المغرب خاصة بمعنى الأرملة وهى من متجالة الفصحى .

هطّل فلان (بتشديد الطاء فى مصر وتخفيفها فى المغرب) : استرخى .

الهمج : الطبقات الوضيعة من الناس ، وأصله البعوض فى العربية ، ثم أطلق على كل رذيل من القوم .

هيه : ترد زجرا للطفل إذا استعملت ياؤها ممدودة ، هاه : هى كلمة وعيد حتى للكبار بمعنى حذار حذار .

الوحش (بفتح الواو فى المغرب وكسرها فى مصر) أى الرذيل من الناس .

ورديان : أى الحارس ،أصلها (gardiano) الإيطالية أو(garabien) الفرنسية و(warden) بالإنجليزية وقد اشتق منها المصريون والمغاربة الوردية واستعمل عامة المغرب كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الجمارك .

يوغورت : اللبن الرائب فى التركية ، وقددخلت إلى المغرب أخيراً عن طريق الكلمة الفرنسية) . yogourt .

الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
عضو المجمع من المغرب



المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

للدكتور يوسف عز الدين

مقدمة :

ترددت كثيرا فى الكتابة فى هذا الموضوع لصعوبة الإحاطة التامة به فطبيعته المتحركة تحول دون الإحصاء التام . فمعذرة إذا كانت خطوط البحث عامة . لأن الغاية هى إثارة الموضوع وإبراز هدفه الأول . ومن الاستقراء العام نجد أن حركة وضع المصطلحات الجادة فى المؤسسات العلمية المستمرة ، يزحمها بالمناكب القوية العريضة ، العمل التجارى فى إصدار المعجمات بشكل واسع ونشرها دون رقابة علمية حتى غطت على ما تخرجه المجامع والمؤسسات العلمية وتفوقت عليها بالكثرة وجمال الإخراج وإتقان الأغلفة والإغراء النسبى فى الزينة الخارجية .

ولم يقف العمل التجارى عند هذا الحد إنما تجرأ ناشر على تزوير جزء ألصقه بلسان العرب جمع فيه المصطلحات العلمية التى وضعت فى المجامع لم يسمع بها ابن منظور ولا عصر ابن منظور ، ورغم فائدة هذا الجمع ، فينبغى مراقبة مثل هذه الحركة قبل أن تستفحل ويصبح الفيروزابادى والزمخشرى والفراهيدى من مؤلفى القرن العشرين .

المصطلح :

يوضع المصطلح باتفاق جماعة على معنى محدد لعلم أو فن أو فكر أو تيار فلسفى أو ظاهرة فى الأدب والعلم والفن والفلسفة ، أو جانب منه ، أو جزء لتسهيل الفهم وتحديد الدلالة . وقد ورد فى (الوسيط) بأقرب معنى وأقصره بأنه (اتفاق طائفة على شىء مخصوص . ولكل علم اصطلاحاته) .

---

(١) قدم فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى القاهرة فى ٢١ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٨٤ م .

الحضارة الاوربية :

غمرتنا الحضارة الحديثة التى جاءت من الغرب بأنواع شتى من المخترعات والفلسفات التى لا يمكن أن تتوقف ، وزخت العلوم الحديدة والتقنية المتطورة والآراء المتصارعة على عالمنا العربى بما لم نسمع به من قبل،ولم يسمع حتى أبناؤها بها من قبل هذاالقرن . وغمر اللغة العربية طوفان من المصطلحات المتناقضة والأطر الفكرية الغربية فى الكتب والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة التى ترجمت إلى اللغة العربية .

دور المجامع :

وقد حاولت مجامعنا ــ جاهدة ــ تقريب وجهات النظر المتباعدة عندما عقدت اجتماعين لها فى بغداد والقاهرة ، وكانت تريد الاجتماعات دورية لإنجاز مهمتها العلمية ، غير أن الأمور الخارجة على إرادة العلم حالت دون الاستمرار فيها ، والاستفادة المرجوة من لقاء أصحاب الشأن والانتفاع بجهود المجامع .

ومع ذلك فقد كنا فى المجمع العلمى العراقى ، ندرس المصطلحات التى تم وضعها فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ودمشق وننتفع بما وضع من المصطلحات الحديدة التى كانت تعرض على اللجان[1] .

المنظمة العربية :

وقد حاولت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عدة محاولات جادة فى هذا السبيل ، كما عقد المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون اجتماعات فى تونس ودمشق والقاهرة لكن حالت دون استكمال هذه الاجتماعات الظروف والعوائق المعروفة،ووقفت أمام فكرة توحيد المصطلح وحدت خطواته التى يرجوها المخلصون[2] .

---

(١) يمكن ملاحظة ذلك فى المصطلحات التى وضعها المجمعيون فى بغداد فى الفيزياء وعلم الأحياء والهندسة المدنية والرى والبزل وعلم الغابات وعلم النفس والأمراض العقلية ، ومن أعضاء هذه اللجان كما وردت فى (مصطلحات علمية) المطبوعة فى مطبعة المجمع العلمى العراقى سنة١٩٨٢ الأساتذة السادة أعضاء المجمع العاملون أحمدعبدالستار الجوارى وعبد العزيز البسام ومحمود الجليلى وعبد اللطيف البدرى ونجيب خروفة واللواء محمود شيت خطاب وحسن الكتانى ويوسف عز الدين ومحمد تقى الحكيم وجميل الملائكة وأحمد ناجى القيسى وجوامير مجيد سايم وفخرى الدباغ وعلى عطية وجلال محمد صالح وأحمد سوسة رحمه الله ، إضافة إلى خبراء يختارهم المجمع من ذوى الاختصاص فى العلوم التى يضع مصطلحاتها . وضع المقدمة الدكتور صالح أحمد العلى .

(٢) هناك مشاريع أخرى للمعاجم تلك التى نشرت فى تونس فى الرياضيات والكيمياء والفيزياء ونذكر مؤتمر الجزائر الذى عقد فى١٩٦٤م باشراف اليونسكو والمؤتمر الذى عقد فى طرابلس الغرب سنة١٩٧٧ لتوحيد المصطلحات ومؤتمر =

إن كثرة الجامعات – بما فيها من خير – وزيادة عدد المتعلمين الذين يعرفون اللغات الأجنبية وانتشار المجامع زاد فى تفرق الكلمة وتناقض المصطلح فمن الضرورى القيام بعملية تنسيق جادة وتنظيم مستمر بين المؤسسات العلمية فى الوطن العربى .

التعريب فى القديم :

عندما بدأ التعريب فى العصر العباسى فى بغداد ، كانت المصطلحات موحدة لأن مصدرها واحد هو بيت الحكمة وقد اعتمدت البلاد الإسلامية عليها وبالرغم من أن البداية لم تكن تلائم الذوق العربى الأصيل بدخول كلمات أجنبية فى الترجمة مثل (ارثماطبقى) للحساب (وجو مطريا) للهندسة و (وبويطيقا) للشعر وغيرها مما هو معروف ، وقد تبدلت هذه الألفاظ وصقلت لما أشرف الأدباء وأصحاب الذوق العربى الأصيل على الترجمة فقد احتوى المترجم الأديب المعنى وفهمه وصبه فى الذوق العربى ومن الأمثلة ما صنعه ثابت بن قرة فى كتابى (اقليدس) و (المجسطى) .

التعريب فى الحديث :

وأستميح سادتى عذرا إن ذكرت بداية وضع المصطلح الحديث التى ما تزال آثارها واضحة فى لغة العلوم والفنون والآداب فى مصر عندما أرسل محمد على باشا بعوثه إلى الغرب . فقد كانت هذه البعثات رائدة فى عملها برياسة رفاعة رافع الطهطاوى . . فقد فرض على جميع الأعضاء بعد عودتهم الاهتمام بالتعريب والترجمة .

فقد درست مجلة (يعسوب الطب)[1] الصادرة ما بين عامى ١٢٨٥هـ و ١٢٨٦هـ – و (روضة المدارس) التى أملك نسخة مصورة منها[2] وقلبت كتبا ترجمت إلى اللغة العربية فى مختلف العلوم والفنون ، فوجدت جهدا كبيرا ودقة واضحة فى الترجمة ووضع المصطلح تشابه حركة الترجمة الأولى التى قامت فى بغداد . ومن هذه الكتب[3] .

= تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى الذى عقد فى بغداد سنة ١٩٧٨ . وبعد المؤتمر ألزمت الجامعات والمؤسسات التربوية بالبدء فى التعريب فى الصفوف الأولى ، وبدأ التعريب فى كليتى الطب وطب الأسنان سنة ١٩٨٠ – ١٩٨١ الجامعية إضافة إلى تدريس مادة علمية باللغة الأجنبية فى كل سنة دراسية . وأسس لهذا الغرض مركز للتدريب لتنظيم عملية التعريب وتنسيق المصطلحات وشارك فى المؤتمر أعضاء من المجمع العلمى العراقى العاملين هم جميل الملائكة ومحمود الجليلى ومحمود شيت خطاب وعبد الرازق محى الدين ويوسف عز الدين وفخرى الدباغ وأسهموا فى بحوث المؤتمر ودراساته وتوصياته .

(١) لا تملك دار الكتب أعدادا كاملة للمجلة .

(٢) كتب الزميل الشاعر الكبير محمد عبد الغنى حسن دراسة ممتازة عن (روضة المدارس) ونشرت بالهيئة العامة للكتاب فى القاهرة .

(٣) تركت العناوين والتعليقات بأسلوبها وبكرتها .

١ – حقائق الأخبار فى أوصاف البحار . تأليف على باشا مبارك .

٢ – الصحة التامة والمنحة العامة . تأليف طبيب مصره ولقمان عصره، معلم الأمراض الباطنية بالمدرسة الطبية محمد بدر أفندى .

٣ – آثار الأفكار ومنثور الأزهار تأليف عبد الله بك فكرى .

٤ – المباحث البينات فيما يتعلق بالنبات . تأليف الحاذق الماهر ذى الفضل الباهر – أحمد أفندى ندا – مدرس المواليد الثلاثة بالمدرسة الطبية .

٥ – الأزهار البديعة فى علم الطبيعة . تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب الفن الفرنساوية وترجمه يوحنا عنجورى المدعو بحنين مع مساعدة المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ يونس الواعظ المفصح .

٦ – أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض .
تأليف محمد التونسى محرر كتب الطب، قابله مع جامعه محمد شافعى الحكيم الماهر .

٧ – حسن الصنيعة فى علم الطبيعة . لمدرسه على أفندى عزة أحد خواجات العلوم الرياضية بمدرسة المهند سخانة الخديوية .

٨ – التشريح العام .

تأليف كلار ترجمة عيسوى أفندى النحراوى استملاه الشيخ عوض القنائى وهو المصحح الأول ، المقدمة استملاها الشيخ على العدوى وهو المصحح الثانى ، قابله مع بيرون الكيماوى الطبيب العارف لكثير من اللغات .

ومن قراءة التعليقات التى كتبت على الصفحات الأولى يجد الباحث مقدار الجهد وشكل العناية والشعور بالمسئولية التى بذلت فى سبيل خدمة اللغة العربية ولم يكتف المترجمون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح المناسب إنما كانوا يضعون الملاحق لتسهيل فهم المصطلح وضبط الكلمات وقد شرح الفكرة أحد هذه الكتب بقوله :

« فيه كثير من الأسماء الأعجمية سواء كانت فرنساوية أو يونانية كأسماء مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت للتبين ، وأسماء بعض أمراض ومفاصل ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها أقرب حاصل ، ولا يمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط التام ، الذى به يستقيم الكلام ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بضبطها

بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، أمرنى حضرة ناظر مدرسة الطب الإنسانى الآن الشهير بيرون أن أضبطها بالعبارة ليسهل التلفظ بها ويهون وأن أرتبها على نسق حروف المعجم لتكون مراجعتها أسهل وأقوم وأحكم . . .)[1]

دقة الترجمة والتطبيق :

وأعود فأقول إن دقة الترجمة ووضع المصطلح - رغم الضعف والركة - أحيانا مما يلفت نظر الدارس فقد كان كل طالب من طلاب البعثات الذين عادوا إلى القاهرة حريصا على نقل علوم الغرب وفكره وطراز حياته إلى البيئة التى كان يعيش فيها وتطبيق ما كان يراه صالحا من العلوم الحديثة إلى الطلاب والاستفادة منها فى حياة مصر العامة وما قام به الطهطاوى وما طبع نموذج حى لذلك .

كما أجريت دراسات علمية جديدة على مياه حلوان المالحية الكبريتية من (حضرة موسيو جاستنبيل خوجة الكيمياء والطبيعة وترجم الدراسة ذو المعارف الجمة فتوتلو أحمد أفندى ندا - لأجل معرفته الفرق بين الأوصاف الكيماوية لماء حلوان المحتوى على الأصل الكبريتى والأوصاف الكيماوية للماء المجرد عنه . .)[2] .

وقد ذكر ما حصل للماء من التفاعل الكيمياوى . . وعنيت (يعسوب الطب) بمظاهر الأمراض ووصفتها بدقة . .

توحيد المصطلح :

سبق لى أن ألقيت أكثر من محاضرة فى مؤتمر (تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى) الذى عقد فى بغداد ما بين الرابع إلى السابع من شهر آذار سنة ١٩٧٨[3] . دعوت إلى ضرورة توحيد المصطلح العلمى فى الوطن العربى وهو إحساس كل من عالج أمور المصطلحات ومن يقرأها فى الكتب والمعاجم التى تصدر فى الأقطار العربية . ومؤتمركم خير شاهد على عمق الإحساس وصدق الشعور بالمسئولية القومية والوطنية والعلمية فى ضرورة التوحيد سواء أكان فى إطار المحاضرات والكتب أم بين دفتى المعجمات المتنوعة فقد دعت الضرورة

---

(١) التشريح العام ، تأليف كلار ، طبع فى بولاق ١٢٦١ .

(٢) يعسوب الطب ، العددان ٢٥ و ٢٦ صفر ١٢٨٥ هـ .

(٣) أسهم عدد من أعضاء المجمع العاملين وقد نشرت بحوثهم فى مجلة المجمع العلمى العراقى الصادر سنة ١٩٧٩

إلى جمع المصطلحات وضمها بعد التنسيق فى معجم موحد يعتمد عليه الباحث والدارس والمترجم كل حسب اختصاصه .

وقد أحسن أعضاء المجامع فى القاهرة ودمشق وبغداد والأردن بضرورة توحيد المصطلح وقد دارت الفكرة فى بيت الحكمة فى تونس – الجلسات الأولى – لوضع حد لهذه الفوضى فى اختيار المصطلح وضرورة توحيده .

ولتأكيد هذا الاتجاه صدرت عدة معجمات فى العراق موحدة منها المعجم الطبى الموحد – ومن الصدف الحسنة أن توزع آخر طبعاته علينا فى هذه الجلسة – والمعجم العسكرى وغيرها من المعاجم فى الطب والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الأرض (الجيولوجى) وللوصول إلى توحيد المصطلح فى العلوم المختلفة مثل علم النفس وعلم الأحياء والهندسة المدنية والرى والبزل والغابات والأمراض وكنا نراجع ما أقرته المجامع العربية وما أصدره مكتب تنسيق التعريب فى الرباط ولم تكن تغفل دراسة الكتب المترجمة باختلاف المترجمين وتعدد الباحثين وكانت محاولات مجمع اللغة العربية المبكرة فى القاهرة جادة فى الدعوة إلى توحيد المصطلح وما قام به مصطفى الشهابى من جمع لأشهر الألفاظ اللاتينية لأنواع النبات وترتيبها على حروف المعجم وذكر ما يقابلها باللغة العربية مجال دراسة اللجان المختصة(١) .

ولا يمكن نسيان جهود اتحاد المجامع العربية فى إصدار المعجمات الموحدة فى الطب والنفط والقانون والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم طبقات الأرض ، كما سعت المنظمة العربية للتربية والعلوم فى هذا الصدد لشعورها العميق بهذا التمزق اللفظى .

وخارج المجامع قامت مؤسسة الكويت للتقدم العلمى بإصدار ثلاثة قواميس فى الكيمياء ومشروع المؤسسة يشتمل على خمسة معاجم باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية لشرح المصطلحات وقد وعدت المؤسسة بالالتزام بقواعد وضع المصطلحات التى أقرتها المجامع العربية .

---

(١) يلاحظ أعداد مجلة مجمع اللغة العربية فى دمشق فى أعدادها المتنوعة ومنها العدد الأول سنة ١٩٦١ ومعجم المصطلحات الجراحية الانكليزية والفرنسية والعربية للأمير مصطفى الشهابى ومعجم الشهابى فى مصطلحات العلوم الزراعية طبع مكتبة لبنان .

مشكلة المصطلح :

إن اختلاف المصطلح العلمى فى الوطن العربى مشكلة آنية لا بد من حلها فقد كثرت الشكاوى من هذا الاختلاف والتفرق فى وضعها واستعمالها وما تزال تدخل للحياه العامة ولغة الصحافة والكتاب ونحس بهذا الاختلاف فى أبسط أشكالها فى اللغة اليومية والاستعمال الرسمى :

فنحن فى العراق نقول وزارة النفط وفى المملكة العربية وزارة البترو ل والمعادن وهناك من يسمى النفط بالزيت ووجدنا اختلافا فى كثير من المصطلحات الحيوية منها على سبيل المثال :

علم الطبيعة — الفيزياء — وتسمونها الفيزيقيا .

الملحق فى الامتحان — الدور الثانى ويسمى الإكمال :

المدارس الأميرية والأعمال الأميرية تسمى الرسمية :

المدارس الحرة — الخاصة — الأهلية :

ناظر — مدير :

المرتب — الماهية — الراتب — الرزق :

محال على التقاعد — محال على الاستيداع :

العوائد — الرسوم :

وظيفة خالية — شاغرة :

كادر — ملاك :

وكيل نيابة — حاكم تحقيق — مستنطق :

محكمة النقض — محكمة الاستئناف :

المحافظ — المتصرف — المدير .

مدير الأمن — مدير الشرطة — الحكمدار :

سنترال — بدالة — مقسم :

ولو تتبعت مثل هذه الكلمات لاحتاج الأمر إلى صفحات كبيرة إضافة إلى شيوع كلمات أجنبية مثل الطابور وسره وكوبرى ونمرة باش وتلغراف وجرنال : . والحبل على الجرار وجرائدنا العربية والإذاعة المسموعة والمرئية شاهد يومى على ما أقول. فلا بد من تدارك الأمر

والتكاتف مع الجرائد اليومية ووسائل الإعلام بالابتعاد عن مثل هذه الألفاظ وتوحيدها فى معجم واحد أو معجمات حسب حاجة الحياة المعاصرة . وحياتنا الحاضرة المتطورة تخدم عملنا بما فيها من سرعة المواصلات ووسائل النشر الحديثة وأدوات الطبع المتطورة وقد أصبحت الوثائق والرسائل والصكوك ترسل صورها من بلد إلى آخر بالهاتف المصور .

وقد توحدت الأمم المختلفة رغم اختلاف جذورها فحرى بالعرب القضاء على الفرقة الفكرية والتمزق اللفظى فى وضع المصطلح العلمى . إذ أخشى أن يأتى اليوم الذى لا تفهم شعوب العرب المصطلحات التى توضع فى أقطارها المختلفة وأقاليمها المتباعدة .

هذه المشكلة قد حلها السلف الصالح بوضع كتب للمصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمى والمعرب للجواليقى والمتوكلى للسيوطى والتعريفات للجرجانى والمخصص لابن سيده وغيرها من مصطلحات اللغة والأدب والفلسفة. فالدارس العربى والمسلم قد وحد المصطلحات ورآها ضرورة لمسيرة حياته الحضارية والعلمية فى العصر العباسى وحاولها أحفاده فى زمن محمد على باشا[1] وكان من نتيجة وحدة المصطلح فهم العلوم وهضمها وانتشارها واستعمالها فى الكتب العلمية المختلفة حتى أصبحت مألوفة ميسورة لكثرة تداولها .

ولا بد لى أن أسجل شكوى أستاذين فى المغرب العربى ومعاناتهما من المصطلحات التى توضع فى مشرق الوطن العربى ، فقد قال الأستاذ الدكتور محمد السويسى زميلى فى المجلس العلمى لبيت الحكمة فى تونس :

(واجهنا مشكل المصطلحات فى العربية حين حدت بنا الظروف منذ ما يزيد على الثلاثين سنة إلى الإشراف على تحرير القسم العلمى فى مجلة المباحث وإلى تدريس أصول الرياضيات والعلوم الفيزيائية) . فقد كانت المشكلة قديمة حاول الأستاذ وضع مصطلحات جديدة اعتماداً على التراث العربى وما وضع المشارقة من مصطلحات لكنه وجد تشتتا وتفرقا فى وضع المصطلح فقال :

(قام الباحثون فى المشرق منذ أمد بعيد بأعمال كثيرة كانت مفيدة ، وأكب العديد من الأخصائيين جاهدين على إنشاء ما يقابل فى العربية ، المصطلحات العلمية الجارى بها العمل ، ولكن هذه المساعى ، كانت مشتتة وكان نتائجها متباينة مختلفة فصار المعجم العربى الحديث

---

(١) المؤسسات العلمية فى زمن محمد على باشا وضعت معجما كبيرا فى عدة مجلدات سمى قاموس القواميس الطبية ولايمكن اغفال ما فى مخطوطات التراث العربى لابن الهيثم وابن سينا والكندى وابن بصال وابن وحشية من مصطلحات فى مختلف العلوم والفنون .

ملفقا تلفيقا مصطبغا بعديد من الألوان وهو مائج متحرك يعرض من المستحدثات أفواجا من الألفاظ المشتركة التي قد توازى المدلول المقصود موازاة تامة أو هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الأشخاص ، فعرب كل أخصائي بعض مصطلحات اختصاصه ، متأثرا باللون الذى طغى على اللفظ المستعمل فى لغة الأصل التي استند إليها وجعلها أساسا فى بحثه فتراكمت المفردات وتعددت لأداء المفهوم الواحد أو لوصف الظاهرة الواحدة . . .) [1] .

وقال الدكتور أحمد الأخضر من الجزائر :

(ولو كان المعجمون العرب العصريون قد اهتموا بتأليف معاجم متخصصة على منوال أسلافهم (كابن سيده فى مخصصه) لأدركوا اضطراب المصطلحات التي لا يقبل مجال من الأحوال ، وما كان علينا أن نقوم بهذا العمل الجبار لإعادة تنظيمها اليوم)[2].

الخاتمة :

إن توحيد المصطلح فى لغتنا المعاصرة ضرورة من ضرورات حياة العرب الفكرية المعاصرة لإثبات الذات فى الوطن لأن التطور العلمى فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور الحضارة السريع لا بد له من إعداد متقن ومنسق بعد أن أصبحت البشرية عالما واحدا مشتركا فى كل قضاياها العامة ؛

واللغة العربية هى الأداة القوية التي تربط الأقطار العربية وتسجل تطورها العلمى وتقدمها الحضارى فمن الضرورى أن توحد مصطلحاتها بعد أن أصبحت جزءا من الفكر القومى والوطنى لأن ترك الأمور على الغارب سوف يخلق لغات متنوعة لن تمكن الاستفادة منها فى الأقطار العربية الأخرى. وليست القضية اعتزازا بالنفس واعتدادا بالإقليمية إنما هى قضية مصير موحد وقضية مستقبل الحضارة والعلوم فى وطننا فمن الضرورى أن تأخذ الأمور بالجد واحتواء الحضارة الغربية ومواجهتها بفهم علومها ومصطلحاتها .

إن فهم العلوم لا يتم بصورة مفيدة وفاعلة فى تطور الفكر العلمى عند العرب إلا إذا فهم الباحث العلوم الجديدة فى لغته المعاصرة فقد تقدمت اليابان وطورت علوم الغرب عندما درست العلوم الغربية بلغتها رغم الصعوبات الكبيرة فى هذه اللغة وقد تطورت العلوم الحديثة فى روسية عندما بدأ العلماء يدرسونها باللغة الروسية ، ولم تصل الصين ذات اللغة العجيبة

---

(١) مؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى ، بغداد ١٩٨٠ ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .

المعقدة إلى اكتشاف أو اختراع القنبلة الذرية ومزاحمة الغرب فى صواريخه إلا بعد دراسة العلوم المتطورة باللغة الصينية[1] .

كنا ندرس الكيمياء ولا نعرف ما يحتويه المصطلح من كميات المواد وكنا نحفظ غيبا المصطلحات العلمية كي ننجح فى الامتحان لأننا لا نعرف بصورة مضبوطة محتويات هذه المصطلحات العلمية ، والطالب فى الغرب يعرف ما معنى كبيرتوز وكبريتات وكبريتد وكبريتيك وما مقدار الأكسجين والكبريت فى هذا المصطلح .

إن وضع المصطلحات باللغة العربية وتنسيق المعجمات وتوحيدها سوف يخلق جيلا عربيا يفكر بلغته ويعرف أسلوب البحث العلمى ودقائق المصطلح ومن فهم الأسلوب العلمى فقد تطور فكره فى البحث ووصل إلى النتائج الجيدة وأصبح مبدعا . لأن اللغة خير وسيلة للتأصيل العلمى والفكرى . وبعث الثقة العميقة بالتراث اللغوى التى عانى من الاتهامات المريرة .

إن الإيمان بقدرة اللغة سبيل إلى بعث الثقة بالذات ووسيلة للتأصيل العلمى والفكرى فى الأمة واحتواء الحضارة الجديدة لأن العلم متى أصبح مشاعا يصبح سهلا ومتناولا من أصحاب الحرف والأعمال العامة وعلى هؤلاء المعول فى إدارة كثير من أعمال المخترعات الحديثة .

ولا بد فى هذا المجال من مراجعة المعاجم التى وضعت لمختلف العلوم والفنون والاستفادة من أصحاب الخبرة فى كل فن وعمل فى وضع المصطلح العلمى . ويمكن اتخاذ الخطوات التالية :

١ — عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة التى بدأت فى المجامع — ولم تستمر — لتوحيد المصطلح الذى يضعه المجمعيون قبل أن يطبع فى المعجم الموحد للعلم الواحد .

٢ — أن يكون التنسيق مستمرا بين جميع المؤسسات العلمية والمجامع بتبادل ما وضع من المصطلحات ودراستها وإبداء الرأى فى كل مصطلح .

٣ — إسهام عدد من اللغويين فى المؤسسات العلمية الصرفة عند وضع المصطلح فقد لاحظت بعض المصطلحات يضعها العالم الفاضل بعلمه ولكنه بعيد عن الذوق اللغوى والأسلوب العربى فتدخل الألفاظ الأجنبية التى ألفها العالم ويفرضها لشدة حرصه وقرب معناها إلى نفسه .

---

(١) لكى تلم باللغة الصينية لابد أن تعرف عشرة آلاف حرف وقد أحسست بصعوبة لغتها عند زيارتى للصين الشعبية ولا شك بأن اليابان تعانى مثل هذه الصعوبات ولكن لم تتحل الصين واليابان عن اللغة رغم الصعوبة البالغة ولم تكن بلغارية لها حروف هجائية حتى جاء (كيرو ستيودى) وأخذ من اليونانية الحروف وطورها .

٤ – من المهم وجود هيئة علمية للتنسيق قادرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك القدرة المالية والمعنوية فى التنسيق والطبع والنشر.

٥ – تحديد معنى المصطلح بوضع تعاريف مطولة واختيار الدقة فى لغة العلم المعاصرة ، وإيضاح الدلالة العلمية والتفاعلات التى جاء منها المصطلح لأن الإيضاح ضرورة لفهم المصطلح فى أول وضعه والاتفاق عليه .

٦ – جمع المصادر العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف البين وتقريب وجهات النظر ما بين هذه المصطلحات والتأكيد على دراسة ما وضع فى المشرق العربى والمغرب العربى لاختلاف القواعد الفكرية العلمية بتنوع الجذور الأجنبية التى أخذت منها هذه المصطلحات .

٧ – ولا بأس من الاستفادة من المصطلحات العلمية التى وضعت فى زمن محمد على باشا رغم ما فيها من سذاجة وبدائية وقد وجدت الكتب التى انتشرت فى المدارس مطبوعة أو مخطوطة فى دار الكتب وقد ذكرت جزءاً منها .

شكر وتقدير :

وأخيرا أقدم جزيل شكرى وتقديرى للمبادرة الكريمة التى قام بها مجمع اللغة العربية للدعوة لهذا المؤتمر فإن عمله التاريخى خطوة كبيرة فى سبيل الوحدة الفكرية للقضاء على التمزق الفكرى فى وضع المصطلح لأن توحيد المصطلح أقوى قاعدة للنهوض بالعلم المعاصر وتقريب فهمه ونشره بين أكبر عدد من المتعلمين وأصحاب الحرف . . وبالتالى فهو عمل خالد فى توحيد الفكر المشتت فى بلادنا العربية.

وأرجو أن تكون هذه الخطوة العلمية باعثا لحفزهم المؤسسات العلمية فى كل الأقطار العربية للسير فى هذا السبيل .

وأختم قولى هذا بالتهانى القلبية لمجمع اللغة العربية ولرئيسه أستاذنا شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور إبراهيم بيومى مدكور وأساتذتى وزملائى أعضائه وأتمنى لهم أعذب التهانى. والعمر المديد والإنتاج المستمر . . بالعيد الذهبى راجيا أن يكون المجمع منارا يشع بعلمه ونبراسة يهتدى بفضله وفكرا يستفاد منه وفضلا يطور الحضارة المعاصرة ويقدمها حية لجميع الأمة العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

الدكتور يوسف عز الدين
عضو المجمع من العراق

معجم العربية الفصحى
الذى يصدر فى ألمانيا الغربية
للدكتور رمضان عبد التواب

من القضايا المهمة التى أحس بها وناقشها المشتغلون بالعربية فى العالم ، منذ أكثر من مائة عام ، قضية صنع معجم شامل ودقيق للعربية الفصحى ، يستقى مفرداته من نصوص هذه العربية . وقد بذلت فى هذه القضية محاولات مختلفة ، متعددة الطرائق والأهداف هنا وهناك ، غير أن محاولة من هذه المحاولات ، لم تصل إلى النتيجة المرجوة منها حتى الآن .

ومن المحاولات المهمة التى بدئ فيها فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ م ، ماقامت به جمعية المستشرقين الألمانية ، على يد ثلاثة من كبار العلماء المستشرقين ، وهم : « يورج كريمر » Jorg Kraemer من جامعة « إرلانجن » ، و « هيلموت جيتيه » Helmut Gätje من جامعة « توبنجن » ، و « أنطون شبيتالر » Anton Spitaler من جامعة « ميونخ » .

وقد رأى هؤلاء العلماء أن يبدءوا معجمهم بحرف الكاف ، ليكملوا معجم : « مد القاموس » Arabic-English Lexicon الذى ألفه « إدوارد لين » E. Lane ووصل فيه إلى نهاية حرف القاف ، ونشره فى لندن سنة ١٨٦٣ — ١٨٩٣ م ، ثم أعجله الموت عن إتمامه ؛ وذلك حتى يفيد منه الباحثون عن معانى كلمات الأدب العربى القديم ، التى لم يقدر لإدوارد لين أن يضمنها معجمه : « مد القاموس » ، وإن اختلف منهج هذا المعجم عن منهج المعجم الألمانى الجديد ، الذى سماه مؤلفوه : « معجم العربية الفصحى » (Wörterbuch der klassischen arabischen Sprache).

ومن المعروف لكل المشتغلين بالعربية ، أن المستشرق الألمانى : « أوجست فيشر » August Fischer كان قد بدأ مشروعه الضخم ، لعمل معجم تاريخى للغة العربية ،

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية من العيد الخمسينى .

يستقى مادته من النصوص العربية ،ويستخلص منها دلالات الألفاظ والتراكيب . وقد قضى « فيشر » فى هذا المشروع زمنا طويلا ، قبل أن يختار عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، منذ أول يوم أنشئ فيه هذا المجمع . وعندما عرض مشروعه على مجمع اللغة ، لقى ترحيبا بالغا من أعضائه ، وأنفق « فيشر » آنذاك أربع سنوات كاملة ، فى جمع مادة معجمه ، واستكمالها ، وتبويبها ، وتنسيقها . ولكن الحرب العالمية الثانية فاجأته ، واضطرته للعودة إلى وطنه ، ثم أقعده المرض ، وعاجلته المنية ، دون أن يخرج من مشروعه الضخم إلا مقدمته ، ونموذج من حرف الهمزة إلى مادة (أبد) . وقد نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد ذلك .

ولايزال جزء كبير من جزازات هذا المشروع الكبير فى حوزة مجمع اللغة . وقد تفضل المجمع فأذن لجمعية المستشرقين الألمانية ، بتصوير الجزازات الخاصة بحرفى الكاف واللام منها ، قبل ربع قرن مضى . كما كتب « يورج كريمر » فى عام ١٩٥٥ م مقالا فى مجلة جمعية المستشرقين الألمانية (ZDMG, Bd. 105, S. 81-105) عن هذه الجزازات ، بين فيه أنها فى حاجة كبيرة إلى التصحيح والتنقيح والإكمال .

ثم وقعت تحت يد « كريمر » مجموعة أخرى من الجزازات ، صنعها : « تيودور نولدكه » Th. Nöldeke و « ركندورف » Reckendorf لألفاظ العربية الفصحى ، وجمعاها من النصوص اللغوية ، إلى جانب حصيلة أخرى من الألفاظ ، التى دونها « فيشر » نفسه على هامش نسخته من : « مد القاموس » لإدوارد لين .

وعندئذ فكر « يورج كريمر » مع زميليه ، أن يقوم بإحياء مشروع « فيشر » مبتدئا بحرف الكاف ، كما ذكرنا من قبل . وخرجت الكراسة الأولى من هذا الحرف ، ونصف المادة العلمية الموجودة بها لفيشر ، أما النصف الآخر فهو من جهد « كريمر » وزميليه ، ومما استفادوه من مجموعة « نولدكه » و « ركندورف » .

وقد ذكر الثلاثة فى مقدمة الكراسة الأولى ، أن عملهم يسوده روح الفريق : فقد ذهب « كريمر » إلى القاهرة ، ودرس الجزازات التى صنعت تحت إشراف « فيشر » بمجمع اللغة ، وانتقى منها مايخص حرفى الكاف واللام ، ورتبها ، وقام بتصويرها بمساعدة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية آنذاك ، ثم أعد مع زميله : « جيتيه » فى « توبنجن » مسودة المعجم ، بعد الإكمال والتنقيح والمراجعة لجزازات « فيشر » ،

وما أضيف إليها من المادة الجديدة ، وأرسلت هذه المسودة إلى « أنطون شبيتالر » فى « ميونخ » ، فراجعها على المصادر ، وزاد عليها ماجمعه من قبل من مادة صالحة لهذا العمل .

أما معانى الكلمات العربية ، فقد تُرجمت بالألمانية والإنجليزية ، وقام بالترجمة الإنجليزية لهذه الكلمات : « جون ديفز » John Davis وصححها بعناية المستشرق : « دنلوب » Dunlop فى « كمبردج » ، كما عاون فى تصحيح تجارب الكراسة الأولى المستشرق : « سنجر » Singer فى « إرلانجن » .

وفى عام ١٩٦٠ م مات « يورج كريمر » منتحراً ، بعد أن أصيب بحالة اكتئاب نفسى ، وصدرت الكراسة الثالثة من حرف الكاف ، من عمل : « أنطون شبيتالر » مع : « مانفريد أولمان M. Ullmann وظل هذان المستشرقان الجليلان يسهمان بجهدهما فى هذا المعجم ، حتى انتهى حرف الكاف كله فى عشر كراسات . ورأى كل واحد منهما بعد ذلك ، أن يستقل بالعمل فى حرف كامل ، فكان حرف اللام من نصيب « أولمان » ، وحرف النون من نصيب « شبيتالر » .

وقد انتهى الجزء الأول ، الذى يحتوى على حرف الكاف كله فى عام ١٩٧٠ م ، ويقع فى ٥٨٢ صفحة من القطع الكبير ، كما كمل القسم الأول من الجزء الثانى ، ويحتوى على أول حرف اللام إلى الجذر (ل ض م) فى عام ١٩٨٣ م ، ويقع فى ٦٧٣ صفحة من القطع الكبير كذلك . وهذا القسم يحتوى على ٢٣١٠٠ من الشواهد اللغوية .

ويسير الجزء الثانى المختص بحرف اللام ، على المنهج الذى وضعه « يورج كريمر » فى مقدمة حرف الكاف . غير أن الاستمرار فى العمل طوال هذه السنوات ، أدى إلى تغيير بعض الخطوط العامة للمعجم على النحو التالى :

١ – النصوص الكثيرة المحققة ، التى ظهرت فى السنوات العشرين الماضية ، جعلت المادة اللغوية أمام المؤلفين غزيرة جدا .

٢ – النصوص التى كانت بالنسبة لهم مفقودة ، وكانوا يعتمدون فى استخدامها على مصادر ثانوية ، ظهرت للوجود منشورة محققة .

٣ – استبدلت بالنصوص المحققة قديما ، ماحقق منها حديثا مرة أخرى . ومن ذلك دواوين : البحترى ، وجرير ، وكثير عزة ، والراعى النميرى ، وابن الرومى ، والشماخ .

٤ — بعض التحقيقات القديمة استبقيت إلى جانب الجديد منها . مثل دواوين : العجاج والأخطل ، وحسان بن ثابت ، ومزاحم ، والنابغة الذبيانى .

٥ — ترتب على ظهور مطبوعات كثيرة جديدة ، أن تغيرت مختصرات كثيرة استخدمها « يورج كريمر » متبعا فيها « نولدكه » (فى معجمه الذى ظهر منه كراستان فى برلين ١٩٥٢ — ١٩٥٤ م) ، فكانوا يرمزون مثلا لكتاب : « الاشتقاق لابن دريد » بالرمز : (b. Dor·) . أما فى الوقت الحاضر ، فإننا نعرف لابن دريد ثمانية كتب ، كلها مستخدمة فى « معجم العربية الفصحى » .

من أجل هذا كله ، وضعت فى هذا الجزء الثانى قائمة جديدة للاختصارات ، التى تصلح للتعبير عن كل هذا التراث الجديد . واتبعت فيها النظم التالية :

١ — ضبطت أسماء الكتب ومؤلفيها بالضبط الموافق للنطق العربى ، وليس بالنطق المعروف لدى المستشرقين (مثلا : Bakri وليس : Bekri) .

٢ — لم تعد الرموز تكتب بالطريقة الإنجليزية ، التى ترمز للصوت الواحد أحيانا بحرفين من الحروف اللاتينية ؛ مثل : Kh للخاء ، وإنما اتبعت الطريقة الألمانية ، التى ترمز للصوت العربى برمز لاتينى واحد ، مع وضع بعض النقط أو الخطوط والأقواس فوقه أو تحته .

٣ — أشار المؤلفون إلى الدواوين بذكر أسماء الشعراء فقط ، كما أشاروا إلى المعاجم العربية بمختصر لعناوينها ؛ مثل : العين ، والبارع ، والجمهرة ، واللسان ، والمخصص .

٤ — أشاروا إلى غير ذلك من المراجع العربية ، بذكر مختصر لاسم المؤلف ، وبعده مختصر لاسم كتابه ؛ مثل : البلاذرى أنساب ، والبلاذرى فتوح ، والمرزبانى معجم ، والمرزبانى موشح ، والمرزبانى مقتبس ، والمرزبانى نساء ؛ وبذلك ظل الباب مفتوحا لمراجع جديدة تظهر لهؤلاء المؤلفين . ومع ذلك أبقى المعجم على المشهور من أسماء المراجع بلا ذكر لمؤلفيها ؛ مثل : الأغانى ، والخزانة ، والعقد .

٥ — أشار المؤلفون إلى الطبعة الثانية ، مما له طبعتان ، بذكر اسم محقق الطبعة الثانية مختصرا ، بعد ذكر أرقام الطبعة الأولى ، مفصولا عنها بشرطة مائلة ، وموضوعا بين قوسين ؛ مثل : حسان ١٧٧ / (عرفات) ١٧٥ / ٣

٦ — الكتب العربية المترجمة عن اليونانية ، كتبت أسماء مؤلفيها فى صورتها العربية ؛ مثل : بقراط : فصول ، وديوسقوريدس : حشائش ، وجالينوس : تجربة . . إلخ .

وقد قام الناشر فى عام ١٩٧٩ م بنشر قائمة الاختصارات الجديدة نشرة مستقلة ، ممثلة لحالة « معجم العربية الفصحى » اعتباراً من يولية ١٩٧٨ م ، لتسهيل الأمر على مستخدم هذا المعجم بصورته الجديدة .

وعندما ظهرت بعد ذلك نصوص جديدة ، روعيت كذلك فيما نشر بعد ظهورها من صفحات المعجم ، كما تم الاتفاق مع الناشر على عمل قائمة جديدة مستوفاة ، ستنشر فى أول القسم الثانى من حرف اللام ، أو فى نشرة مستقلة .

وعند بدء ظهور هذا المعجم بحرف الكاف فى عام ١٩٥٧ م ، كانت جزازات « فيشر » التى صورت من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تمثل ٥٠ ٪ من الشواهد المستعملة فى المعجم ، كما ذكرنا من قبل ، وبدأت هذه النسبة تقل بالتدريج ، حتى وصلت مع نهاية حرف الكاف فى عام ١٩٦٦ م إلى ٥ ٪ فحسب . وابتداء من مادة (لحد) فى الجزء الثانى (ص ٢٧٩ وما بعدها) لم يعد الرجوع إلى جزازات « فيشر » أمراً مرغوبا فيه ؛ لأن مراجعة الأفلام التى صوّرت عن مجمع اللغة العربية ، كانت تضيع الوقت ، كما أن المادة التى تحتويها هذه الجزازات ، كانت مأخوذة من طبعات قديمة عفى عليها الزمن ، فترك الرجوع إلى هذه الجزازات ابتداء من مادة (لحد) نهائيا .

وقد عمل فى هذا المعجم الكثير من المساعدين ، رجالا ونساء ؛ مثل : الدكتورة « كيللرمان » Kellermann التى قامت بين عامى ١٩٦٦ — ١٩٦٨ م باستخراج المادة العلمية اللازمة لحرف اللام من مجموعة ضخمة من المصادر ، تصل إلى أكثر من ٣٥ مصدراً ؛ منها : ديوان العباس بن الأحنف ، وديوان علقمة ، وديوان عنترة ، وديوان بشار ، وديوان جرير ، وديوان امرئ القيس ، وديوان طرفة ، وديوان زهير ، إلى جانب : الأصمعيات ، وسمط اللآلى ، والعقد الفريد ، وشرح المقامات للشريشى ، والبخلاء للجاحظ ، والمعانى الكبير لابن قتيبة .

وفى عامى ١٩٦٣ — ١٩٦٤ م ، استخرج بروفسور « شبيتالر » المادة العلمية اللازمة لحرفى اللام والميم فى المعجم ، من بعض الدواوين كديوان عمرو بن قميئة ، وأوس بن حجر ، وجران العود ، ومزرد ، والنمر بن تولب ، وسراقة البارقى ، والشماخ ، وغيرها .

وممن عمل فى هذا المعجم كذلك : الدكتورة « فيلانت » Wielandt و « حبيب جاويش » والدكتور « عثمان بوغانمى » . والدكتور « أدولف دينتس » Adlof Denz والدكتور « فيرنر ديم » Werner Diem والسيدة « تولى » Tölle والدكتور « شتيفان فيلد » Stefan Wild وغيرهم .

وقد أدى كل هذا الجهد الكبير إلى اتساع المادة العلمية ، والشواهد اللغوية المستخدمة فى المعجم اتساعا كبيرا ؛ فبعد أن كان مرجع الحديث : « وهل يَكُبُّ الناس على مناخيرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » الوارد فى صفحة ١٤ من الجزء الأول (كبب) هو كتاب الأمثال لفرايتاج (رقم ٢٥٨٣) وحده ، أصبح مرجعه فى مادة (لسن) من الجزء الثانى (صفحة ٦٠٣) : رسائل الجاحظ ١ / ١٦٨ والبرهان لابن وهب ٦٥ وبهجة المجالس لابن عبد البر ١ / ٨٣ وثمار القلوب للثعالبى ٣٣٤ والتمثيل والمحاضرة للثعالبى ٢٥ وليس لابن خالويه ١١٩ .

واتساع المادة بهذه الصورة ، يؤدى إلى درجة عالية من الوثوق بصيغة الكلمة ودلالتها ، ومعرفة تاريخها وتطورها . وذلك أمر تجب مراعاته فى البداية بكل دقة ، حتى وإن أدى إلى تضخم المعجم ، فإن هذا التضخم سيخف بالتدريج فى المستقبل ، حين يمكن الإشارة المختصرة إلى المواضع التى عولجت من قبل . فمثلا فى عبارة : « باللسان وباليد » بمعنى : بالقول والفعل ، ذكر لها عشرة مراجع فى مادة (لسان) ، وعندما يصل المعجم إلى مادة (يد) ، سيكتفى بالإشارة إلى هذا الموضع السابق فى مادة (لسان) . ومثل ذلك فى عبارة : « هو لحم على وضم » التى ذكر لها فى مادة (لحم) أحد عشر موضعا ، ولاتحتاج العبارة عند ورودها فى مادة (وضم) إلا إلى إشارة يسيرة إلى ماسبق الحديث عنه . ويستخدم المعجم فى هذه الحالة سهما (←) يشير إلى موضع ورود العبارة فى المعجم من قبل .

وفى بعض الأحيان يعالج مع اللفظ مايتصل به من مرادفات ، وتشبيهات ، واستعارات ، وعبارات لغوية خاصة ؛ فقد عالج المعجم مثلا ارتباط كلمة (اللحد) فى عبارات مع القبر والضريح والحفرة والرمس والقعر والهوة وغيرها . ومثل ذلك ارتباط كلمة (اللجين) فى عبارات مع الذهب والنضارة والإبريز والعسجد والتبر وغيرها . ومع كلمة (اللذة) مثلا ، عالج المعجم ارتباطاتها بالشهوة واللهو والسرور والمسرة والفرح والراحة والرخاء والتمتع والأريحية والنعيم والغضار وقرة العينين والطرب والضحك والحسن والعذوبة وغيرها . وكذلك كلمة (اللجام) مثلا عالج المعجم ارتباطاتها مع الشكيم والمقود والعليق والعنان والرسن واللبب والسرج ، ومايقابلها من الكلمات التى تستخدم مع الجمل ، كالزمام

والرحل وغيرهما ، بحيث تصبح المادة اللغوية شاملة لكل مايدور فيه اللفظ من عبارات فى العربية .

ويقوم فى الوقت الحاضر الدكتور « زايدنشتيكر Seidensticker » بعمل فهرس تفصيلى لهذه الكلمات المذكورة فى غير موادها ، فى الجزأين اللذين صدرا من المعجم ، حتى يمكن لأى باحث الإفادة منها .

وكان المتبع فى الجزء الذى صدر خاصا بحرف الكاف ، أن يذكر بعض شواهد الكلمة متضمنا السياق الذى تذكر فيه الكلمة كاملا ، وفى بعضها كان يكتفى بذكر المرجع بجزئه وصفحته دون ذكر السياق الذى وردت فيه الكلمة . ومنذ بداية الجزء الخاص باللام ، رئى تعميم الطريقة الأولى ، أى ذكر السياق الذى استخدمت فيه الكلمة دائما . وكان هذا أحد أسباب تضخم هذا الجزء ، وإن لم تخل هذه الطريقة من فائدة للباحثين فى طرائق العربية ، وتغيرها من عصر إلى عصر .

ويسير « معجم العربية الفصحى » فى ترتيب كلمات المادة الواحدة على تقديم الأفعال على الأسماء . وفى الأفعال يرتب مايوجد منها فى العربية على الصيغ التالية : فَعَلَ (إلى جانب فَعُل وَفَعِل) وفعّل وفاعل وأفعل وتفعّل وتفاعل وانفعل وافتعل وافعلّ واستفعل وافعالّ ، على هذا الترتيب . ويشار فى الثلاثى إلى حركة عين الفعل فى المضارع . وفى الأسماء تقدّم الصيغ الثلاثية الساكنة الوسط على فَعْل ثم فِعل ثم فُعْل ، ويأتى بعدها الثلاثى المتحرك الوسط ، ثم المزيدُ بحرف أو أكثر .

ويشير المعجم إلى أصول الكلمات المعرّبة فى العربية ، وإلى اليسير من اللغات السامية الأخرى ، كما يهتم بالإشارة إلى الكلمات التى عالجها بعض المستشرقين فى بحوثهم ومقالاتهم هنا وهناك . كما يشير كذلك إلى شىء من التحريف القديم ، الذى أصاب بعض الكلمات العربية على أيدى اللغويين العرب ؛ مثل كلمة : « اللجن » فى بيت ابن مقبل (ديوانه ٣٩/٢٣) :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية   على سعابيب ماء الضالة اللجن

التى حرّفت فى الإبدال لأبى الطيب ١ / ١٧٠ والصحاح للجوهرى ١ / ٦٣ ولسان العرب ٧ / ٢٧١ والمزهر للسيوطى ٢ / ٣٩٠ إلى (اللجز) ، ووضعت فى مادة مستقلة فى المعاجم العربية ، على أنها مقلوب : اللزج !

وسأضرب هنا بعض الأمثلة من هذا المعجم الجليل ، مع ملاحظة أننى اخترت من الكلمات مالا يطول فيه الاستشهاد :

(١) مكتنز (حرف الكاف ٣٨٣) : معناها بالألمانية : fleischig أو Fést أو kompakt وبالإنجليزية fleshy أو solid أو compact أو strong أو stark

الشواهد : بمكتنز عبل، لأبى ذؤيب فى ديوانه ٦ / ٦ وديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) ١ / ٣٦ : ٤ والمعانى الكبير لابن قتيبة ٧٢٣ : ٧ // صقراً مجتمع الخلق شديدا مكتنزا : المصايد لكشاجم ٨٨ : ٩ والبيزرة ١٨٠ : ٨ // عضدان ممتلئان لحماً مكتنزان شحما : الوصايا لأبى حاتم ٦٧ : ـ٤ والعقد الفريد ٣ / ٢٨٧ : ٦ // كان صلبا مكتنزا : طبقات النحويين للزبيدى ١٦٠ : ١٢ مكتنزة ضخمة : أمالى ابن الشجرى ١/١٢٣ : ٩ // هذا الكتاب مكتنز بالفوائد : أساس البلاغة ٣٩٩ : ـ ٥ وانظر أيضا معجم البلدان لياقوت ٢ / ٣٤٢ : ١٥ .

(٢) مكايدة (حرف الكاف ٤٨٧) : معناها بالألمانية : List أو Kriegslist أو Betrug وبالإنجليزية : trick أو stratagem of war أو Seduction

الشواهد : مكايدة الرقيب : المختار من شعر بشار ٦٤ : ٢ // على مكايدة امرأته : الفاخر للمفضل بن سلمة ١٢٥ : ٩ // من مكايدة الروم : فتوح مصر لابن عبد الحكم ٣٥ : ١٦ // فى المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة : تاريخ الطبرى ١ / ٨٤٧ آخر سطر // على تقاعده بى ومكايدته إياى : الوزراء للصابى ٩٥ : ٦ مكايدة الغلمة : مختار الحكم لمبشر ٧٩ : ١٥ .

(٣) مُلابس (حرف اللام ١٤٩) : معناها بالألمانية : Umgang Pflegend أو berührend وبالإنجليزية : having dealings أو touching

الشواهد : بجرباء تعدى من أتاها ملابسا : ديوان مزرد ٨ / ٣ // ويحظى بنا الجار الغريب الملابس : حماسة ابن الشجرى ٢٥ : ـ٧ // فهم ملابس مكيث : الجيم (مخطوطة الاسكوريال) ٢٤٨ ب / ١٢

ومن معانى الكلمة كذلك بالألمانية : sich beimischend وبالإنجليزية mixing with

الشواهد : فإن قلنا إن النفس قائمة من دون الجسم بذاتها ، فالمراد بذلك أنها غير ملابسة له : المقابسات لأبى حيان التوحيدى ٣٠٥ : ٨ // إذا طبخت الماء صرفا ساذجا على وجهه ، لم ينعقد والحل بخاراً حتى يتفانى ، وإنما ينعقد الكامن من الملابسة له : الحيوان للجاحظ ٥ / ٣١ : ١٤ // فلم يكن هناك ضياء كامن ملابس : الحيوان للجاحظ ٥ / ٣ : ٣

(٤) لاصق (حرف اللام ٦٥٩) معناها بالألمانية : an etwas haften أو in Berührung stehen أو einer Sache unmittelbar benachbart وبالإنجليزية to stick to a thing أو to be in contact with a thing أو to be immediately next to

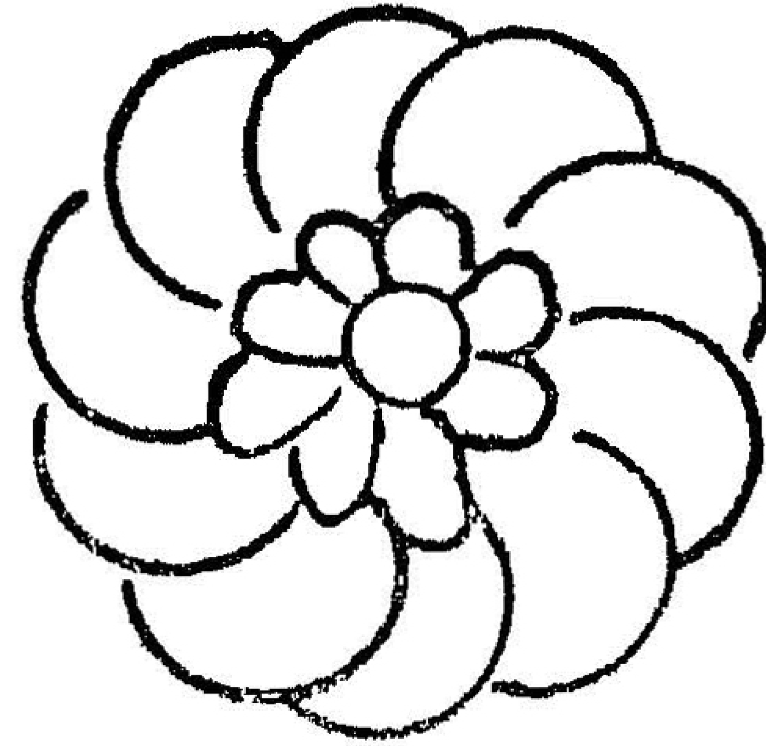
الشواهد : فبنى ذلك الرجل مسجدا يلاصق دار إسماعيل : الأغانى ١٠ / ١٣٩ : ٨ والوافى بالوفيات للصفدى ٩ / ١٧٩ : ١٣ // الدير الذى يلاصق قبر معروف الكرخى : معجم البلدان ٢ / ٦٥٠ : ٦ // بتباع داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها : المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخى (طبعة كرد على) ٩٢ : ٤ // كان الوجع والورم عند الكبد ؛ لأن الكلى تلاصق الكبد : الحاوى للرازى ١٠ / ٣٣٠ : ١٥ // لا يلاصق الزبل أصول الكرم البتة : كتاب الفلاحة لابن العوام ١ — ٥٤٠ : ١٠

* * *

هذا هو « معجم العربية الفصحى » الذى يصدر فى ألمانيا الغربية ، منذ أكثر من ربع قرن مضى ، ولم يتجاوز العمل فيه حرفا ونصف الحرف . ولو سار تأليفه على هذا النحو الدقيق البطىء ، الذى ينشد الكمال ، فاننا نقدر لإتمامه أكثر من أربعة قرون ، مع تعاقب الأجيال ، وتغير المناهج والرجال ، ومع هذا الفيض العزيز من كتب التراث العربى الذى تخرجه المطابع يوما بعد يوم .

وصدق الإمام الشافعى الذى يقول فى رسالته (ص ١٢) : « ولسان العرب أوسع الألسنه مذهباً وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى » . والله سبحانه وتعالى أعلم .

الدكتور رمضان عبد التواب
عميد كلية الآداب
جامعة عين شمس



المعجم العربي في القرن العشرين : مصطلحاته ومناهجه في الجمع والوضع (*)

للدكتور محمد رشاد الحمزاوي

١ ـ مدخل ومنهج :

١ ـ ١ قال ابن منظور رحمه الله ـ صاحب لسان العرب فى المعجم : «أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ؛ فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع » فهذا يفيد أن اعتناءنا اليوم بهذه القضية وما إليها من مسائل ليس غريبا عن تقاليد معجمية عريقة فى ثقافتنا وعن نظريات معجمية عربية سابقة وأصيلة لم تعرف مع الأسف تعريفا كافيا ؛ ولم تنزل منزلتها الحقيقية النقدية من التفكير الإنسانى اللغوى[١] أو بالأحرى اللسانى ، حسب تعبير المحدثين [٢] فهو مبادرة تهدف إلى تواصل جهود العرب فى هذا الميدان الذى برزوا فيه فى الماضى وكانوا فيه من الرواد .

والمعجم العربى فى القرن العشرين لا ينحصر فى قضية مفردة بل هو قضايا متعددة شائكة ، لا سيما إن أردنا أن نصف المعجم كما هو اليوم وكما نتصوره ونرتضيه اعتمادا على اعتبارات عدة ، منها مقاربته على ضوء ما وفرته لنا العلوم اللغوية المعاصرة من معلومات تتعلق بمصطلحاته ، ومحتوياته ، وفنياته ، وأهدافه التربوية والاجتماعية والثقافية والحضارية . فيبدو لنا عندئذ أن القضية المطروحة تدعو إلى معالجتها من زاويتين متداخلتين : الزاوية النظرية والزاوية التطبيقية ، انطلاقاً من تلك المعلومات المعاصرة ، شريطة تطبيقها على أمثلة عربية حاضرا ومستقبلا حتى ندرك منزلة المعجم العربى من الدراسات والبحوث المعاصرة التى غرتنا ، فأفدنا من النافع منها .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

(١) تجاهل المؤرخون للمعجمية من الأوروبيين مساهمة العرب فى هذا الميدان ولعل ذلك عائد إلى جهلهم بتلك المساهمة انظر فى هذا الشأن: G. Moumin, histoire de la linguistique Paris 1967: 1970; G. Matorè histoire des Dictionnaircs Francais - Paris 1968

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربى قديما وحديثا ـ تونس ١٩٨٣ ص ١٢٩ ـ ١٥٤ حيث سعينا إلى إنصاف جهود القدماء فى ميدان المعجم .

١ — ٢وعلى هذا الأساس لا بد أن نقرأن قضايا المعجم العربي فى القرن العشرين مقرونة بعلم جديد فى اللغة ، قد ازدهر ازدهاراً كبيراً فى الخمسينيات الأول من القرن العشرين [١] وهو علم اللسانيات الذى ترجم إلى العربيــة بمصطلحات عدة ، منها « علم اللغة » و « علم اللغة العام » و « الألسنية » و « اللسانيات » و « اللسنيات [٢]» وقدأقر مؤتمر اللسانيين العرب المنعقد بتونس سنة ١٩٧٨ [٣] مصطلح « اللسانيات » التى راجت بضاعتها أولا فى تونس ومصر وراجت على مايعترضها من مصاعب ، فى الأقطار العربية الأخرى وجامعاتها وكلياتها فلقد زودتنا اللسانيات بالطبع بمعلومات ومفاهيم أساسية نظرية وتطبيقية لابد من الاعتناء بها ، لأنها توضح أمرنا وتيسر علينا مقاربة موضوعنا مقاربة مفيدة فيها منفعة و صلاح ، دون إفراط أو تفريط ودون قطيعة بين الماضى والحاضر ، فلقدأصبح تقريبا من المستحيل علينا اليوم أن نتقدم بقضايا المعجم العربى إن قصرنا جهودنا على الاجتهاد فى المذهب ، وإن لم ندرجه علنا ومبدئيا فى المجادلات اللسانية النظرية التى لا تسلم من المهاترات ، والتى تعتبر مبررة وضرورية اقتداء بالخليل بن أحمد الذى أخرج المعجم العربى من الرسائل المفردة ، ووضع لنا نظرية لغوية معجمية شاملة أهملها العرب وحالوا عنها وهى صالحة لكل لغة ، كأنه كان يؤمن بالقول المشهور : العلم لا يستقيم إلا على ماعم ولقد تعرضنا إلى هذه القضية فى مكان آخر [٤] واعتمادا على ما سبق نرى من المفيد أن نقسم موضوعنا إلى الأقسام التالية :

المعجم تعريفا

مداخل المعجم جمعا ووضعا

المعجم و قضية التعريف

المعجم : تعريفا :

٢ — ١يبدو من العسير أن نطرق موضوع المعجم فى القرن العشرين فى نطاق ماسبق لمجمعنا الموقر أن أسماه سنة ١٩٦٢ [٥] بالمعجميات ترجمة لمصطلحى (Lexicographie-Lexicography)

B. Malmberg - Les Nouvelles tendances de la linguistique - Paris 1972 (١)

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : المصطلحات اللغوية الحديثة فى اللغة العربية — حوليات الجامعة التونسية (عدد خاص) ج ١٤ / ١٩٧٧ . ولقد عرضنا فيه تلك المصطلحات — انظر كذلك لنفس المؤلف : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات — تونس ١٩٨٣ ص ٢١٨ .

(٣) أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية — تونس ١٣ — ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ — ٤١٥ صفحة .

(٤) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربى قديما وحديثا ص ١٥٥ — ١٦٦ .

(٥) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية المجلد الرابع —

(Lexicologie - Lexicology) معرفا تلك المعجميات بـ « من يقوم على جمع مفردات اللغة وتصنيفها من حيث دلالتها وبنيتها وأصولها[1] وذلك العسر عائد إلى كون هذا التعريف يحتاج اليوم إلى نظر وإلى كون أهل الذكر قد ميزوا بين (Lexicography-Lexicographie) و (Lexicology-Lexicologie) اللذين أصبحا علمين مستقلين بذاتيهما تعريفا وأهدافا وإن كانا مترابطين فضلا عما تميز به الثانى من شمول وسعة وحداثة . ولقد رأينا من المستحسن أن نخصص للأول مصطلح « المعجميات » الذى وضعه المجمع ونخصص للثانى مصطلح « المعجمية » وهو مصدر صناعى يؤدى مفهوم العلم النظرى المجرد .

٢ ــ٢ واعتماد الترجمتين مبرر فالمعجم ينسب إلى « المعجميات » وهى تفيد فى نظر اللسانيات الحديثة وضع المعجم جمعاً وترتيبا فحسب فهى أساسا حرفة أصبحت فى عصرنا صناعة تكاد تكون ثقيلة ، وليست بالضرورة عملية لغوية تستدعى اختصاصيا فى اللغة ــ فمصطلح (Lexicographe - Lexicographer) يفيد اليوم جامع المعجم ومرتبه كما يفيد صانعه أو صناعه الذين ينتسبون إلى حرف وصناعات متعددة إن اعتبرنا ما يقتضيه وضع معجم لاروس الكونى الفرنسى (Larousse Universel) أو معجم اكسفورد (Oxford Dictionary) من خبرات ومهارات وتقنيات تتجاوز بكثير عمل اللغوى المعجمى ــ فوضع المعجم عملية جماعية إن لم نقل وطنية وسياسية وثقافية انقرضت معها صورة المعجمى الواحد الأحد واستبدت بها إدارات كاملة وشركات ووكالات .

٢ ــ ٣ أما « المعجمية » فهى أساسا علم مجرد ينتسب إلى اللغة وهى بالتالى مادة علمية غايتها دراسة جميع مظاهر اللغة وبالخصوص محتوى المعجم ــ دراسة لسانية نظرية يعتبر تطبيقاً من تطبيقاتها والملاحظ أن قلة قليلة من اللسانيين العرب قد ميزت بين مفهوم المصطلحين[2] وذلك ليس غريبا لأن الغربيين ممن أجادوا فى اللسانيات ونظرياتها وتطبيقاتها المختلفة لم يعتنوا بالمعجميات والمعجمية باعتبارهما جزءاً من أجزاء اللسانيات التى ظلت تتنكر لهما مدة طويلة لأنهما لا يخضعان لمفهوم النظام (Systeme — System) . فكلمات المعجم فى نظرها لا تكون نظاما يشابه النظام الصوتى أو الصرفى أو النحوى الذى يمكن أن نعرفه بأنه « البنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضا »[3] أو بأنه « كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء

---

(١) نفس المصدر المجلد ص ٩٤

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربى ... ص ١٥٦

(٣) ولقد جاء فى سورة الصف ٦١ ــ ٤ « صفا كأنهم بنيان مرصوص »

بالسهر والحمى»[1] وبالطبع يمكن أن نعود إلى تعريف مفهوم النظام بإسهاب حسبما وضعه اللسانيون المعاصرون ولاسيما دوسوسير الذى اعتمد لعبة الشطرنج للتدليل على ذلك .

٢ – ٤ فالمدرسة اللسانية التوزيعية الأمريكية التى تزعمها بلومفيلد قد استهانت بقضايا المعجم لأنه يضع على بساط البحث قضية « المعنى » العويصة . وهى حسب رأيها من خصائص علم النفس والسلوك أو العلوم الوضعية ولما كانت هذه المدرسة تدعو إلى الوصفية فحسب فإنها كانت ترى أن مسألة المعانى والمقابلات السيمية أو الدلالية ليست من مشمولاتها ولا من مشمولات اللسانيات – أما المدرسة اللسانية البنيوية التى تزعمها دى سوسير فإن اهتمامها الكبير بما عبر عنه مجمع القاهرة الموقر بالنطقيات[2] (Phonologie – Phonology) ( ) قد أدى بها إلى إغفال المعجم وإن كان صاحبها دى سوسير قد ركز نظريته على الكلام والكلمة لأن المنطوقات تكون وحدات معنوية سفلى هى دون الكلمة المندرجة بطبيعة الكلام الإنسانى فى نظام من العلاقات والمناسبات لا سيما مناسبات التعويض ومناسبات السياق [3] أى عندما يختار الإنسان فى كلامه كلمة عوضا عن غيرها وعندما يضعها فى موضع أو سياق يجعلها تختلف وظيفة ومعنى عما هى عليه فى سياق آخر وجاءت المدرسة التوليدية التى يتزعمها تشومسكى فاهتمت أولا بالنحو وقضاياه ثم خصصت عنايتها لقضيه التعريف بالمعجم فركزته على ثلاثة عناصر : النطقيات والنحو والدلالة .

٢ – ٥ ولقد أفادت المعجمية والمعجم فى نهاية الأمر من هذه النظريات واستخلصت منها مفاهيم ومصادرات جديرة بالعناية من ذلك أنها ميزت بين المصطلحات الثلاثة التالية :

(Dictionnaire- Dictionary) (Vocabulaire-Vocabilary) (Lexique-Lexicon)

التى لاتقابلها فى العربية عموما مصطلحات تؤدى معناها حسب المفاهيم اللسانية المعنية بالأمر فمعجم وقاموس ومنجد الخ هى أوصاف فيها اختلافات فى أصلها[4] وليست مفاهيم لسانية فضلا عن أن أغلب المجمعيين القدامى قد تجنبوها عند تسمية معاجمهم التى قال بعضها بمفهوم « المدونة » الذى اعتمدناه لتطبيقه على لسان العرب لابن منظور[5] .

فالمصطلح الأول يفيد حسب رأينا ما عبر عنه الخليل بن أحمد الفراهيدى بـ « المهمل » أو الموجود بالقوة وشومسكى « بـالقدرة اللغوية » (competence) وهو رصيد اللغة الكامل

---

(١) تضمين مأخوذ من الحديث الشريف المشهور .

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية مجلد ٤ / ٩٥ .

(٣) عبر عنها فى الفرنسية بـ Rapports Syntagmatiques Rapports Paradigmatiques

(٤) محمد رشاد الحمزاوى : مجمع اللغة العربية بالقاهرة : تاريخه وأعماله – تونس ١٩٧٥ (بالفرنسية) ص ٥٢٣ والمؤلف يترجم إلى العربية .

(٥) محمد رشاد الحمزاوى : المعجم العربى قديما وحديثا ص ١١٧ – ١٢٨ .

الذى تجرأ الخليل على إدراكه نظريا باعتماد عملية التقاليب الرياضة والذى تصور شومسكى باعتماد عملية التحويل ونحن نقترح أن نطلق عليه مصطلح « الرصيد اللغوى » باعتبار أنه المعجم المثالى الأكبر الذى يشمل معاجم كل المتكلمين بالعربية الفصحى فى الماضى والحاضر والمستقبل والذى لا يحيط به حسب الشافعى إلا نبى .

أما المصطلح الثانى الذى أطلق عليه الخليل بن أحمد اسم « المستعمل » أو الموجود بالفعل وابن دريد « الجمهرة » « وشومسكى » المنجز او المطبق » ((Performance)) فيستحسن أن نطلق عليه اسم المعجم « والمصطلح الثالث الذى يحتوى على القائمة الشاملة لكل الكلمات المثبتة فى مدونة معينة أو ميدان معين فلقد أطلق عليه ابن سيده اسم « المخصص » فيجوز أن نسميه « مخصص الألفاظ » مثل مخصص ألفاظ السيارة أو الكهرباء أو البترول الخ . . .

٢ ـ٦ فما هو عند ئذ « المعجم » فى نظر اللسانيات الحديثة ؟
إن تعريفه يتكون بالضرورة من أوصاف عدة وإن كان المنجد والمعجم الوسيط قد اقتصرا على تعريفه بعبارات ملخصة للغاية فهو حسب الأول « كتاب اللغة وما يعرفونه بالقاموس من أعجم الكلام أو الكتاب أى أزال عجمته وإبهامه وفسره»[١] وهو حسب الثانى «ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم»[٢] وفى التعريفين اختلاف ونظر .

إن المعجم أصناف ووظيفة وثقافة وعقيدة فالمعجم معاجم إذ يشمل مثلا معجم الكلمات ومعجم الأشياء ـ فالأول مؤلف يهتم بوضع الكلمة .صوتيا وصرفيا ودلاليا ونحويا وبلاغيا واستعمالا فى سياق كثيرا ما يعتمد النصوص والشواهد أما الثانى فإنه يهتم بالشئ أو الموضوع المعبر عنه بكلمة من الكلمات معتمدا فى ذلك جملا تصف ذلك الشئ او الموضوع واستعماله وأصله ومكانته من ثقافة المجموعة ولا يحتوى بالضرورة على جميع كلمات اللغة المستعملة فيدعى الأول المعجم اللغوى والثانى الموسوعة اللغوية ويوجد صنف ثالث يجمع بينهما ويشمل الأسماء والأعلام والأماكن وهو المعجم اللغوى الموسوعى وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر أن دائرة المعارف للبستانى من صنف معجم الأشياء وأن المعجم الوسيط من صنف المعجم اللغوى وأن المعجم الكبير من صنف المعجم اللغوى الموسوعى مع ما فى ذلك من نظر .

٢ ـ٧ المعجم أداة تؤدى رسالة معرفية وتربوية وثقافية باعتبار وظيفته. فالمعجم معاجم إذلا تقدر منزلته بحجمه فحسب .إن مبدأ الوظيفة يستدعى منا أولا أن نفرق بين المعجم التاريخى ، مثل معجم

---

(١) المنجد ص ٥١٠

(٢) المعجم الوسيط ج ٢ / ٥٩٢

فيشر الذى تبنــاه المجمع وعدل عنه ومعجم أصــول الألفاظ الذى لا وجود له فى العربية ومعجم الاستعمال المعاصر المعدوم عندنا ومعجم الطلاب ومعجم الأدباء والمثقفين والمعجم الحضارى الذى يربط الماضى بالحاضر والذى سعى المعجم الوسيط إلى الاقتراب منه فلقد جاء فيه « قصر همه على اللغة قديماً وحديثا وتوسع فى المصطلحات العلمية الحديثة ودعا إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة[1] وللغة الصحافة فى هذا الشأن دور ما فى ضبط قواعد الفصاحة الحديثة وإدرجها فى المعاجم الحضارية المعاصرة [2] فى اللغة العربية .

إن تلك الوظيفة مربوطة ربطا بالمستعمل أو ما يعبر عنه بالمستهلك لأن المعجم أصبح اليوم أداة ضرورية فرضتها ديمقراطية التعليم وتزايد المعارف وتشعبها وضبطت محتوياتها وأهدافها حاجات المستهلكين المختلفة المتنوعة والملاحظ أن ذلك المستهلك أو « الإنسان المعجمى يحتاج إلى التعريف باعتبار حاجاته التى تجاهلتها معاجمنا فارضة عليه معارف لا تعود عليه بالضرورة بالفائدة — وكثيرا ما تصورناه حسب تصورنا الذاتى لمعايير اللغة والثقافة والمعرفة والاستعمال التى تمزج بين حاجات المستهلكين الأموات والأحياء فى الماضى والحاضر — ولم يحظ هذا الموضوع بدراسة إلى يومنا هذا تضبط تلك الحاجات المختلفة وتبنى على أساسها نماذج لمعاجم معينة . إن معجم لاروس الصغير مثلا يسقط كل عشر سنوات ما يقرب من الخمس من مداخله التى عدل عنها أو التى أهملت حسبما يقر ذلك الاستقراء اللغوى المعجمى ولعل الاستدراكات والحواشى والتكملات والتذييلات الملحقة بمعاجمنا سواء القديمة منها أو الحديثة تدل دلالة واضحة على أن مراجعة المعجم لا نهاية لها لأنه أداة تحتاج إلى التطور باستمرار حتى يكون شاهدا حسب المستطاع على أمور الناس وتطلعاتهم .

٢ —٨ المعجم عقيدة ومذهب من حيث محتواه بالخصوص فهو يعتمد على اختيارات كثيرة منها اختيار دينى وسياسى وحضارى — فالمعجم يقول بالثقافة السائدة والعقيدة القائمة ويكفينا أن نذكر أن المنجد مثلا لا يعتمد شواهد من القرآن ولا يصلى ولا يسلم على محمد رسول الله كما أنه لا يسلم على المسيح وأنه لا يذكر الشيوعية ولا يعرفها ويعرف تشيع : « ادعى دعوى الشيعة » اما المعجم الوسيط فإنه يعرف بالشيوعية تعــريفاً قويما ويقــول فى تشيع : « انتحل مذهب الشيعة واتخذ مذهب الشيوعية » فانتحل وادعى يدلان على حكم

---

(١) المعجم الوسيط — المقدمة ص ٧ .

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : الحدث الصحافى وأثره الاجتماعى واللغوى فى المجتمع العربى — مجلة شئون عربية عدد ٢١ نوفمبر ١٩٨٢ م / محرم ١٤٠٣ هـ — ص ١٢٧ — ١٤٤

لا على وصف : ولسنا بحاجة إلى أن نفصل فى شأن معاجمنا القديمة التى نستسقى منها المعارف وكانت تعتمد « إاللعن والتكفير » وكانت كذلك تنزع نزعة ثقافية استيعابية بإعادة كل شئ إلى العربية إذ تأثرت بمجادلات الفقهاء والمفسرين فى شأن المعرب فى القرآن مثلا يرى بعضها أن يكون (شيطان — والنجاشى) مثلا من لغات غير عربية الخ . . . .

فالعقيدة الثقافية أو اللغوية وما وراءها لا تنفى الموضوعية اللغوية ومستلزماتها وفى ذلك مجال للبحث والنظم :

مداخل المعجم : جمعا ووضعا (محتوى وترتيبا) :

٣ — ١ اللسانيون يفضلون مصطلح مدخل جمع مداخل على « كلمة » ومادة لأنهم يعتبرون أن مفهوم الكلمة[١] قضية شائكة فهى ليست اللفظة الواحدة وليست القول المفرد كما أنها ليست سوادا يسبقه بياض ويتبعه ولأنهم يرون أن اللغة ليست مادة وجوهرا قارا مستقلا بذاته، بل أشكالا مصطلح عليها ولذلك قالوا بالمدخل أو المعيجمة[٢] ج معيجمات كما قالوا بالأساس والأصل[٣] الأول للمداخل المعبرة عن الألفاظ المزامنة لنا والمدمجة فى المعجم التزامنى أو السنكرونى والثانى للمداخل المعبرة عن تطور الألفاظ والمدمجة فى المعجم التاريخى أو الدياكرونى الذى يسجل تطور معانى الألفاظ .

وتفيد الدراسات والأبحاث أن مداخل معاجم العربيـة مثلها مثل مداخل المعاجم فى اللغات الأخرى لا تنحصر فى معيجمات بسيطة فحسب وهى المسماة بالمفردات تقليديا بل تتكون كذلك من معيجمات مركبة ومن معيجمات معقدة ومثالها : فرس — فرس بحر — غاق غاق — حيص بيص — شذر مذر — عدم قابلية التصرف — لأول وهله — التى تكون وحدات مهيكلة متلازمة لا يمكن تجزأتها دون المساس بمعناها الكلى الذى لا يستقيم إلا بجزأيه — فهى وحدات تتجاوز المعيجمة البسيطة — ولقد أطلق عليها اللسانيون المعجميون مصطلح العبارة المقترنه أو المتلاحمة (synapsie) وهى تتطلب عناية خاصة وسنعود إليها عند الحديث عن ترتيب المداخل فى المعجم .

٣ — ٢ المعجم جمع ووضع وبعبارة أخرى محتوى وترتيب وكثيرا ما تاه المعجميون فى حل هذه القضية ولقد أحسن ابن منظور التعبير عن تيههم بقوله فى مقدمة لسان العرب :

---

(١) ما الفرق بين هذه الكلمات : م ؟ يد — الأولاد — اعطيناكه — هيدر وحديد وسيانيك ؟

(٢) وضعناهما لتأدية Lexie (adresse — Entree)

(٣) وضعناهما لتأدية Etymion base

« أما من حسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع » -- فالجمع يعتمد الاختيار والاختيار مغامرة إن لم تعتمد منهجية تضبط أنواع الكلمات بحسب صنف المعجم المقصود لأداء أغراض معينة دون إسقاط أو إهمال أو تكرار فالواجب فى المعجم مهما كان صنفه أن يكون شاهدا على لغة العصر أو العصور التى يريد أن يسجل لها فيأخذ بجميع أنواعها من عامة وفنية وتقنية وحرفية وعامية وعادية وسرية وبذيئة وسوقيه ومعربة ودخيلة الخ وهذا وارد فى معاجمنا القديمة فهو مدعو بالضرورة إلى استنباط منهجية تضبط جمعه ووضعه إلى محتواه وترتيبه وبالتالى :

٣ — ٣ فإن الجمع يفترض اختيار مصادر ومراجع شعرية أو نثرية قديمة أو حديثة وافية بالغرض أى أنها تمثل تمثيلا صادقا كاملا العصر أو العصور التى نسعى إلى تسجيل لغتها واستعمالاتها وفصاحتها لأن الفصاحة حسب رأينا فصاحات [1] فهو يستوجب منا اختيار « مدونة » معينة (Corpus) وما يعبر عنه بالحقول المعجمية (Champs Lexicaux- Lexical Fields) والمراد بالمدونة مجموعة معينة من النصوص المكتوبة أو المقولة أو مجموعة من المراجع المختارة تؤخذ سندا لوضع أسس لغة ما أو معجم حتى تضبط حدود المعجم زمانا ومكانا وميدانا ولقد سبق ابن منظور إلى ذلك بالاعتماد على خمسة معاجم كبرى لوضع لسان العرب [2] أما الحقول المعجمية فهى تكملة للمدونة وتعنى مجموع الكلمات التى توفرها اللغة أو تنشئها للتعبير عن مختلف عناصر تقنية من التقنيات أو شىء من الأشياء مثل حقل السيارة المعجمى وحقل الطيران والحبر والأنبياء والأمة الخ . . . . لندرج منها ما يفيدنا فى معجمنا المقصود وضعه .

٣ — ٤ أما الترتيب فإنه مرتبط بالمداخل أو المعيجمات البسيطة ، والمعقدة والمركبة والعبارات المتلاحمة — فإن كان أمر المعجمات البسيطة بسيطاً ، وأمر المعيجمات المركبة يسيرا (بطنيات الأقدام ورأسيات الأقدام ترتب تحت قدم) فأين توضع المعيجمات المعقدة والعبارة الملتحمة . مثل : يتأثر بالحرارة وحلقة دائرة وعوضاً عن وإن لم يسعدنى الحظ ، وحيص بيص ، وشذر مذر ، فهى موضوع جدال مازال قائماً فضلا عن الجدال القائم فى شأن المعيجات البسيطة أو المفردات التى ما زال يستبدبها الترتيب بالاشتراك ينازعه فى ذلك الترتيب بالتجنيس . فهناك نظرة القائلين بالاشتراك [3] ويعنى باللفظ المشترك ، اللفظ الذى له شكل واحد ومعان مختلفة .

---

(١) محمد رشاد الحمزاوى : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات — تونس ١٩٨٣ ص ١١ — ٢٩ .

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربى قديما وحديثا ص ١١٧ — ١٢٨ .

(٣) إصطلاح عربى قديم — وهو يقابل Polysemie

و و مستمد من مبدأ الاقتصاد فى اللغة التى تعبر عن معان لا تحصى بأشكال محدودة . وهناك نظرة القائلين بالتجنيس [1] ويعنى به أن يكون اللفظان مختلفين معنى ومتشابهين شكلا . والخلاف بين أصحاب الاشتراك وأصحاب التجنيس فى العصر الحديث . يكمن فى أن الأولين يقولون بأن الكلمة وحدة لغوية لها أصل دلالى ثابت ، لا يتغير مع الزمن وله مدلولات ثانوية تستخرج من الاستعمال . ويعتبر أصحاب التجنيس الكلمة وحدة كلامية مستقلة بحسب سياقها وعلى هذين الأساسين يدعو الاشتراك إلى الإيجاز فى عدد المداخل ويقـــر التجنيس تعددها بحسب سياقها ومعانيها المتولدة عنه : إن المعجم الوسيط والمنجد ، كثيرا ما يعتمدان مداخل مرتبة حسب طريقة الاشتراك : وهذا شأن أغلب المعاجم العربية . ويمكن لنا أن نقارن بين الطريقتين بالمثالين التاليين [2] يعبر فيهما الجدول الأول عن وضع المداخل حسب الاشتراك ويعبر فيهما الجدول الثانى عن وضع المداخل بحسب التجنيس .

---

(١) اصطلاح عربى قديم – وهو مقابل Homonymie ولقد ذكر الثعالبى فى فقه اللغة (ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص٣٦٠ – ٣٦١) والتجنيس هو أن يجانس اللفظ اللفظ فى الكلام والمعنى مختلف كقوله تعالى : « فأدلى دلوه » و « فأقم وجهك للدين القيم . »

(٢) المثال مأخوذ عن المعجم الوسيط ، ج ١/ ٧٩ .

طريقة الاشتراك بالوسيط	طريقة التجنيس (من ترتيبنا)
(بان) منه وعنه بينا وبيونا وبيونة : بعد وانفصل — ويقال : بانت المرأة عن زوجها — ومنه انفصلت بطلاق — فهى بائن . و — الفتاة : تزوجت و — فلان : رحل . و — النخلة ونحوها : طالت طولا ظاهرا . والولد بان بائنة بيونا : ظهر واتضح . والشىء بيانا : ظهر واتضح و — الشىء أوضحه وأفصح عنه ، فهو بائن وبين . و — الشىء بينا . فصله وقطعه — ويقال : بان صاحبه : فارقه وهجره . فهو بائن :	(بان) : (فعل لازم يفيد الظهور والرحيل والزواج والطول) ١ بان الشىء بيانا ؛ ظهر واتضح . ٢ بان فلان : رحل ٣ بانت الفتاة : تزوجت ٤ بانت النخلة ونحوها : طالت طولا ظاهرا (٢) بان (فعل متعد إلى مفعول يفيد الإفصاح والوضوح) ١ أبان الشىء : أوضحه (٣) بان (فعل متعد بحرف يفيد البعد والفصل) ١ بان فيه وعنه : . . . .) بعد . ٢ بانت المرأة عن زوجها : انفصلت بطلاق . (٤) بان (فعل متعد إلى مفعولين يفيد الفراق والهجر)

وإليك مثال آخر بكلمة « الكريك » (المأخوذة أيضاً من المعجم الوسيط (٢٧)

طريقة الاشتراك بالوسيط	طريقة التجنيس (من ترتيبنا)
الكريك : الخشبة التى يدفع بها الخباز الأرغفة ويجذبها (تركية) . وأداة ذات خشبة طويلة تنتهى بسلاح من الحديد منبسط ، مفاطح ، عريض يحفربها حفرا خفيفا ، وينقل بها التراب (مع) ، وآلة حديدية ترفع عجلة السيارة (محدثة) .	(١) الكريك : الخشبة التى يدفع بها الخباز الأرغفة ويجذبها (تركية) (٢) الكريك (أداة ذات يد خشبية طويلة تنتهى بسلاح من الحديد منبسط مفاطح عريض يحفر بها حفرا خفيفاً وينقل بها التراب (مع) . (٣) الكريك : آلة حديدية ترفع بها عجلة السيارة (محدثة) .

فما نستنتج من الطريقتين باعتبار المثالين اللذين أخذناهما كما هما من المعجم الوسيط (على ما فيهما من نظر) نلاحظ أن طريقة الاشتراك تعتمد فى المثالين على ما يلى:

١ - اعتبار معنى (بان) موجودا فى كل المعانى الثانوية الأخرى وليس ذلك واضحاً . وتظهر نسبية هذه الطريقة فى المثال الثانى الذى لا يوجد فيه ربط معنوى واحد بين معانى الآلات المختلفة التى لها وظائف ومعان متباينة لأنها مأخوذة من لغات مختلفة - ولقد خلطت الطريقة بينها كأن معناها الأساسى واحد .

(٢) الخلط بين سياقات لغوية مختلفة فى المستوى الدلالى والنحوى مما لا يساعد المتعلم على إدراك مختلف التراكيب والسياقات لاستخراج مختلف المعانى - وهذا ضعف تربوى لا يليق بمعجم يدعى أنه أداة تربوية .

(٣) الخلط بين فترات مختلفة من اللغة ، فلا نعلم متى استعملت هذه المعانى وكيف تطورت .

أما طريقة التجنيس فإنها تمتاز على سابقتها بما يلى :

١ - التدرج من سياق بسيط عناصره قليلة إلى سياق معقد عناصره كثيرة .

٢ - استخراج مختلف المترادفات باعتبار المعانى العامة لها وباعتبار صلاتها بمحيطها الدلالى والنحوى .

٣ - التمييز بين معان لا صلة بينها كما يظهر ذلك فى المثال الثانى .

٤ - الوضوح التعليمى والتربوى الذى ييسر على المتعلم إدراك نظام اللغة ومعاييره المختلفة .

المعجم وقضية التعريف (الحد) :

تعتبر قضية تعريف المداخل أعسر قضية يواجهها اللسانيون لأنها تهتم بقضية المعنى المقابل للمدخل . وكثيراً ما ظن المعجميون أن لكل مدخل مرادفاً أو دلالة كونية (Universal) قارة فى شكل مفردة أو جملة تعبر عنه فى كل زمان ومكان . إلا أنهم يخرجون عن ذلك باعتماد تعريفات عديدة متضاربة منها التعريف الاسمى وفروعه ، والتعريف المنطقى والتعريف بالشواهد ، والصور فضلا عن التعريف البنيوى والتعريف السيمى (١) اللذين حل ركبهما بنا اليوم .

---

(١) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربى قديما وحديثا ص ١٤٩ - ١٥٢ . حيث تضرب أمثلة عدة لتلك التعاريف مأخوذة من المعجم الوسيط .

ولقد رأينا من المفيد أن ندعو إلى اعتبار التعريف البنيوى الذى يرتكز على أساسين :

١ ــ تنظيم الكلمات وترتيبها حسب طريقة التجنيس ولقد سبق ذكرها .

٢ ــ المعاوضة : وهى مرحلة تلى المداخل ــ فما هى ؟

مفادها أن نعوض الكلمة بمرادفها فى سياقات مختلفة باعتبار أن المرادف أو المعادل هو ما يقوم مقام غيره فى كل مقال : فإن أخذنا فعل جلس ومرادفه قعد كما جاء فى المعجم الوسيط ، فإننا نرى من واجبنا أن نعوض الواحد بالآخر فى نصوص مستعملة حتى ندرك مالها من صلة ــ مثال ذلك :

جلس الولد : قعد الولد

جلس قرب المنزل : قعد قرب المنزل

لكن لا يمكن أن يقال وجلس الأربعاء أو الأربعاءى وقعد الأربعاء . . أى تربع

جلس القرفصاء قعد القرفصاء

قعد عن الأمر جلس عن الأمر .

وهكذا دواليك . فإن كان جلس يفيد قعد عامة فى سياقات معينة ، فإنه لا يفيد ذلك فى نصوص أخرى . فيظهر لنا أن المرادف المطلق الذى يتحدث عنه المعجم عموماً ليس دائماً محققاً . فهو ممكن فى مقال ومعلوم فى مقال آخر . إن ميزة طريقة المعاوضة لغوية بحتة إذ انها لا تعتمد الا على الوسائل اللغوية . وهو دقيقة لأنها تجنبنا المترادفات الكثيرة للمدخل الواحد ، وتخلصنا من تعسف التعريف المنطقى والشواهد الأدبية أو التعليمية المتعسفة التى تنكر مبادىء التربية ، وتنفى تصور معجم تربوى يساعد الطلاب على فهم نظام اللغة واستيعاب خصائصها .

الخاتمة :

إن العرض المتواضع الذى قدمناه فى شأن المعجم وقضاياه يهدف بالضرورة إلى الاهتمام بتلك القضايا بالاعتماد على تراثنا اللغوى الذى ما زال يحتاج إلى تحليل ووصف واستقراء حتى ننزله منزلته من التفكير اللغوى الإنسانى ماضياً وحاضراً ، وعلى ضوء الدراسات اللسانية الحديثة التى نرجو أن نستوعبها استيعابا ذاتيا وأن نسهم فيها حتى تصبح أداة من أدوات تطوير المعجم العربى وتقدمه ــ ورجاؤنا أن يخصص مجمعنا مدراسا[1] خاصا للسانيات العربية المعاصرة ــ وهى موجودة ومفيدة ــ لاستقراء مبادئها واعتماد طرقها ومناهجها لترقية العربية ومعاجمها .

---

(١) والكلمة من موضع المجمع فى أيامه الأولى .

قائمة في المصطلحات اللسانية المعجمية الواردة
في الدراسات بحسب تسلسل الصفحات

المصطلح العربي	المصطلح الاجنبي E: English; F: Francais
١ — المعجميات :	1— E : Lexicography — F: Lexicographie
٢ — المعجمية	2— E : Lexicology —F : Lexicologie
٣ — نظام	3— E : System — F: Systeme
٤ — النطقيات	4— E : Phonology — F : Phonologie
٥ — اللسانيات التوزيعية	5— E : Distributional linguistics — F: linguistique distributionnelle
٦ — اللسانيات البنيوية	6— E : Structural linguistics — F : linguistique structurelle
٧ — اللسانيات التوليدية	7 — E : Generative linguistics — F : linguistique generative
٨ — مناسبات التعويض	8— F: Rapports paradigmatiques
٩ — مناسبات السياق	9— F : Rapports syntagmatiques
١٠ — الرصيد اللغوى .	10— E : Lexicon — F : Lexique
١١ — المعجم	11 — E : Dictionary — F : Dictionnaire
١٢ — مخصص الألفاظ	12 — E : Vocabulary — F: Vocabulaire
١٣ — مدخل	13 — E: Entry-dress — F : Entrée-adresse
١٤ — معيجمة	14— E : Lexie — F : Lexie
١٥ — الأساس	15— E : base — F : base
١٦ — الأصل	16— E : Etymion — F : Etymion
١٧ — العبارة المقترنة أو الملتحمة	17— E : Synapsia — F : Synapsie
١٨ — المدونة	18— Corpus
١٩ — الحقول المعجمية	19— E : Lexical fields — F : Champs lexicaux
٢٠ — الاشتراك	20— E : Polysemia — F : Polysemie
٢١ — التجنيس	21— E : Homonymia — F : Homonymie
٢٢ — مفردات كونية	22— E: Universals — F : Universaux .
٢٣ — المعاوضة	23 — Substitution

اللغة العربية والحاسب الآلى
للدكتور على حسن فهمى

اشترك فى الإعداد :

د . سمير إبراهيم شاهين

د . أحمد محمود نظيف

مقدمة

نالت الصناعات الإلكترونية ، وعلى وجه الخصوص صناعات الحاسبات ، حظا وفيرا من الاهتمام فى السنوات الماضية مما أسفر عن تقدم هائل فى تكنولوجيات صناعة الحاسبات ونظريات تشغيلها . وقد صاحب هذا التقدم التكنولوجى انتشار سريع فى مجالات الاستخدام بحيث أصبحت الحاسبات الآلية فى متناول العديد من الفئات ذوات الخبرة المحدودة بأسس تصميم ووسائل برمجة وتشغيل هذه الحاسبات .

دعا هذا الانتشار فى مجالات الاستخدام المتخصصين فى تطوير البرمجة إلى تطويع اللغات المستخدمة لكتابة البرامج لتناسب احتياجات المستفيدين فنشأت لغات عديدة لكتابة البرامج العلمية والتجارية وطورت هذه اللغات على مراحل تاريخية مختلفة لتشمل تعبيرات أكثر قوة .

فى نفس الوقت ، جرت محاولات عديدة لتبسيط استخدام الحاسبات فنشأت مجموعة أخرى من اللغات المتخصصة للاستخدام فى الأغراض التعليمية مثل لغة « البيزك » التى أريد بها أن تكون لغة ميسورة التداول لكى يتمكن الطلاب ومن فى مستواهم من استخدام الحاسب .

وفى رأينا أن زيادة مستخدمى الحاسبات الآلية إلى الحد الذى يصبح فيه الحاسب جهازا أساسيا فى المتجر والمصنع والمدرسة بل والمنزل أمرا متوقعاً حدوثه فى القريب العاجل خاصة وأن بوادر هذه الظاهرة قد وضحت فى الدول المتقدمة تكنولوجيا وباستعراض الوضع فى كثير من الدول النامية ودول العالم العربى خاصة فإننا نجد أن الحاسبات الآلية قد انتشرت فى بعض المجالات المحدودة مثل مكاتب الخبرة والبنوك والجامعات إلا أن انتشارها لباقى

المجالات والتطبيقات مقيد بالمشاكل الناجمة عن ضرورة استخدام لغات برمجة وتشغيل تعتمد فى صياغتها على لغة أجنبية مما تسبب عنه فجوة متزايدة الاتساع بين الاحتياج لاستخدام الحاسبات والإمكانيات المتاحة . ومن المؤكد أن وجود هذه الفجوة وزيادتها سيكون له تأثير سلبي على انتشار هذه الصيغة من صيغ التكنولوجيا المعاصرة ، والتى ينعقد عليها كثير من الأمل فى تحريك عملية التطور وزيادة الإنتاج وتجويده .

غنى عن الذكر أيضاً أن استخدام لغات برمجة وتشغيل أجنبية المصدر يمثل عائقاً أساسيا فى سبيل استخدام الحاسبات فى مراحل التعليم الأولى ، بل والثانوى ، فى دول العالم العربى ، مما سيؤدى مستقبلاإما إلى زيادة فجوة التخلف أو التحول إلى تعليم المواد الأساسية مثل الرياضة والفيزيقا باللغة الإنجليزية إذا لم تتخذ بعض الخطوات الفعالة فى هذا المجال .

من هذا المنطلق . وبنظرة مستقبلية ، فإن الحاجة ملحة فى الوقت الحالى لإرساء . قواعد المعاملات المختلفة باللغة العربية مع الحاسبات على أساس قياسي موحد يشمل نظم تشفير الحروف والعلامات الكتابية والحسابية وقواعد إدخال وإخراج البيانات وتبادلها على شبكات نقل البيانات مع إيجاد لغة خاصة لبرمجة الحاسب ، مشتقة من اللغة العربية وتصلح لكافة الاستخدامات .

أولاً : شفرة الحروف العربية :

من أهم التطورات فى نظم تشغيل الحاسبات هو ظهور واستقرار عدد محدود من الشفرات المعيارية القياسية مثل الشفرة المعيارية القياسية الأمريكية لتبادل المعلومات (ASCII) التى تستخدم حاليا على أغلب شبكات نقل البيانات والتى تمكن من استخدام حاسبات مختلفة التصنيع دون الحاجة إلى الاستعانة بأجهزة خاصة أو برامج معقدة .

أما بالنسبة للغة العربية فإننا نجد أن الشفرات المستخدمة متعددة ما بين الشركات المنتجة للحاسبات بل وفى نفس الشركة من طراز إلى آخر .

وقد انتشر استخدام بعض الشفرات مثل CODAR-UFD (الرباط ١٩٨٢) و SASO (السعودية ١٩٨٣) فى بعض البلاد العربية الا أن هذه الشفرات تعرضت لبعض النقد من مصنعى الحاسبات لاستخدامها بعض الرموز الخاصة فى مواقع لا تتفق مع النظم العالمية للاتصالات .

وجدير بالذكر أن بعض الشفرات المقترحة (ARCII) — كندا ١٩٨٣ — على سبيل المثال) لم تبن على أسس لغوية سليمة . لهذا فإن المطلوب فى هذا المجال هو توفير شفرة عربية موحدة تتسم بالمواصفات التالية .

١ — تتفق مع النظم العالمية للاتصالات .

٢ — تتفق مع الاستخدامات الحالية والمستقبلية للحاسبات .

٣ — تسمح بالاستخدام المزدوج (عربى — لاتينى) .

٤ — تكون صحيحة لغويا من حيث الترتيب الهجائى للحروف والصلاحية للتطبيق فى الدراسات اللغوية .

ثانيا : نظم ادخال واخراج البيانات :

تتعدد النظم المستخدمة فى تداول اللغة العربية على الحاسب وفى تسجيل البيانات على وسائل الحفظ المختلفة مما يعوق تبادل البرامج ويحد من إمكانية استخدام كثير من الأنظمة الجاهزة مثل قواعد البيانات .

وفى بعض التطبيقات نجد أن النظام الموضوع يلزم المستفيد إما إلى التعامل مع اللغة العربية على أساس كتابتها من اليسار إلى اليمين أو كتابة الحروف بترتيب عكسى ؟

مما تقدم فإن المطلوب فى هذا المجال هو تدارس النظم القائمة وانتخاب أصلحها ، أو وضع نظام جديد يتفق مع متطلبات اللغة وفى نفس الوقت يكون قابلا للتنفيذ على الأجهزة القائمة .

ثالثا : لغة عربية لكتابة البرامج :

فى الآونة الأخيرة تعددت محاولات إيجاد لغة عربية لكتابة البرامج واتسمت جميع هذه المحاولات بالفردية وعدم التكامل . والمطلوب فى هذا المجال هو لغة تسمح للطالب فى مدرسته وللتاجر فى متجره والعامل فى مصنعه باستخدام الحاسب دون اللجوء إلى المتخصصين فى كتابة البرامج . لذا يجب أن تتصف هذه اللغة المنشودة بالمواصفات الآتية :

١ — سهولة التعبير ؛ لتعم وتنتشر .

٢ — التكامل ؛ لتفى بمتطلبات كافة الاستخدامات .

٣ — المرونة فى التطبيق ، لتيسير تنفيذ المترجمات ؛

٤ — إمكانية التطوير ، لملاحقة التغيرات المستقبلية .

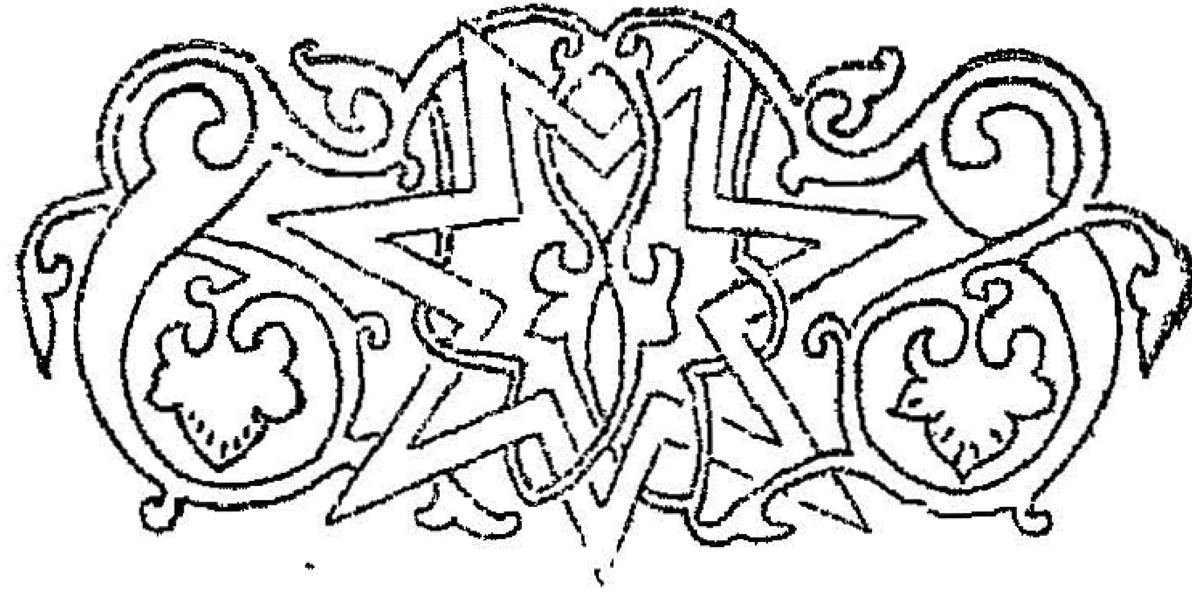
٥ — قابلية التداول ، للاستخدام على الحاسبات المختلفة .

٦ — القابلية للترجمة والتحليل الآلي .

الخاتمة :

عرضنا في هذا الحديث بعض المتطلبات والمشاكل التي يلزم تدارسها وإيجاد حلول مناسبة لها بهدف الحفاظ على اللغة العربية في مستوى التعامل والاستخدام العلمي المعاصر . وإننا نعتبر هذه المقالة « ورقة عمل مبدئية» نأمل أن يتم تناولها بالجدية والاهتمام المتناسبين مع الأهمية القومية للهدف منها : وندعو الدوائر المسئولة إلى الاشتراك في المناقشة والإضافة لتذليل العقبات التي تقف في سبيل استخدام الحاسبات الآلية في كثير من المجالات .

الدكتور علي حسن فهمي



تواريخ تأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة بحساب الجمل شعرا ونثرا

للدكتور حسين على محفوظ

هذه مجموعة صغيرة متواضعة من التواريخ الشعرية والنثرية بحساب الجمل أرخت فيها عام تأسيس مجمع اللغة العربية فى القاهرة (سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٢ م) وعيده الخمسينى (سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) وذلك بمناسبة الاحتفال ؛ احتفاء بهذه الذكرى .

وهذه التواريخ هى عبارة عن مقطوعة تشير إلى السنة الهجرية وتاريخين اثنين كل واحد فى بيتين كذلك . وجمل يضم بعضها التاريخ الهجرى ، وبعضها التاريخ الميلادى .

(١)

ومجمع طاول هام العلى ... مؤتلق الوجه أغر الجبين
خمسون مرت وهو سامى الذرى ... فى أعلياء المجد ، يطوى السنين
أخلص فى تخليد أم اللغى ... سائرة فى ضوء وحى الأمين
ضم جناحيه على نخبة ... تفتخر الدنيا بهم كل حين
كالشمس جلاها نهار الهدى ... يمحو الدياجى نورها المستبين
تبتهج الفصحى بتاريخه (الضـ ... ـاد لسان عربياً مبين)

١٣٥٢ هـ

(٢)

من أولى الفضل بذكرى مجمع ... سام جلا علياه مر السنين
بالأحد الفرد استعن وارخ (الضـ ... ـاد لسان عربى مبين

١٣٥٢

---

(١) إشارة إلى إضافة واحد إلى جملة التاريخ . ويسمى هذا النوع من التواريخ الشعرية بالتاريخ المذيل .

(٣)

(هى هى لغة عربية) أو (لهى لغة عربية) أو (هى للغة عربية) = ١٣٥٢ هـ .

ذا مجمع بالضـاد ومستمساك   معتصم منه بحبـل متـين
فزد[1] وبارك (عام) تأريخه   (هذا لسانى عربى مبـين)

١٣٥٢ هـ

(بيد مجمع الخالدين يحمى الضاد المبـين)
(يحمى الضـاد المبـين بيـد مجمع الخالدين)
(الضاد المبين يحمى بيد مجمع الخالدين)
(حمى الضاد المبين بيدى مجمع الخالدين)
(بيد الخالدين يحمى مجمع الضاد المبـين)
(مجمـع الخالدين حمى بيدى الضاد المبـين)
(حمى مجمع الخالدين بيدى الضاد المبـين)
(مجمع الضاد المبين يحمى بيـد الخالدين)

١٩٣٢ م

(٦)

(دام قرن[2] مجمـع اللغـة العربيـة)
(ناد مقر مجمـع اللغـة العربيـة)

١٩٣٢ م

(٧)

تاريخ ذكرى المجمع الذهبية فى عيده الخمسينى بالسنة الهجرية "(أحيا اللغة العربيه) (هادى اللغة العربية) . وبالسنة الميلادية (قرنه[3] مربد لغـة العربية)   ١٤٠٤ هـ

١٩٨٤ م   ١٤٠٤ هـ

---

(١) إشارة إلى إضافة كلمة عام وتساوى (١١١) إلى جملة التاريخ . وهو التاريخ المذيل كما تقدم .

(٢) القرن هنا بمعنى الزمان .

(٣) الضمير فى لفظ قرنه يعود إلى مجمع اللغة العربية. والقرن – هنا – بمعنى الوقت من الزمان ومطلق من الزمان. أى أن زمان المجمع وذكراه الذهبية بمناسبة عيده الخمسينى هى بمنزلة المربد يلتقى فيه العلماء والأدباء والكتاب والشعراء والنقاد .

تحية مجمع اللغة العربية في الذكرى الذهبية

للدكتور حسين علي محفوظ

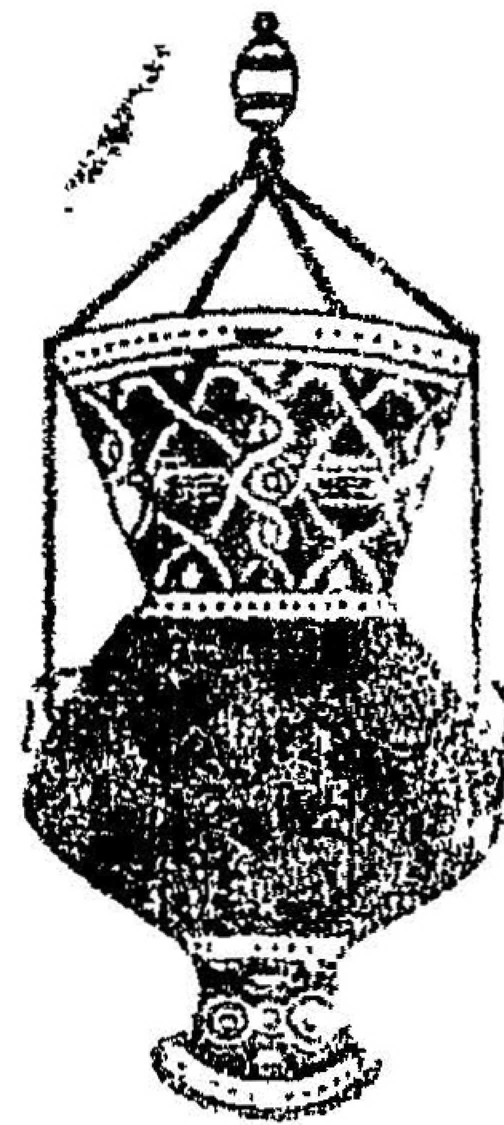
مجمع جاز مجده الأقمارا ... وتعالى فطاول الدوّارا
جمع الشمس والضُّحى في سناه ... فاستحال اللّيل البهيم نهارا
مفرقُ الشَّمس موطئُ الكعب منه ... وقفت عنده النجوم حيارى
عَلِمَ النَّاس أَنَّنَا أُمَّة الضّـا ... دِ لسانًا مجليًّا أَلّا يجارى
إن تراءى تشعشع السحر منه ... عبقريًّا يُحير الأَنظارا
لمعات تمحو اللّيالِيَ دُهْمًا ... ينحلن شعاعها الأنوارا
لو أطلت على الدُّجَى آض صبْحًا ... وغدت فحمة الدياجير نارا
غلواء الإعجاز يختال كبرًا ... في بلاغاتها فصاحًا غزارا
هِيَ أُم اللُّغَـات أَكْرم بها أُمـّـ ... ـا وبنت العرباء طابت نجارا
إِنَّ في الفجر من شمائلها البيـ ... ـض خصالًا تكسو الظَّلَام نهارا
لو رَآهَا الدُّجَى تنفس صبحا ... أو رَآهَا الظَّلَامُ كان مَنَارا
عرجت في العلاءِ معجزةً الوحْـ ... ـي مبينًا ، وأَنْزَلت معطارا
رَقَّمَ الفَضْلُ صَفْحَتيهَا ففا ... ضت بالمعاني تفاخر التيّارا
بَنَت العقل شامخًا يلهم الرأْ ... ي أصيلًا مُسَدَّدًا مُخْتَارا

(*) شجرت أوائل ابيات القصيدة بحروف كلمات (مجمع اللغة العربية في القاهرة) تخليدا للمجمع في المناسبة .

يتناهَى إليهِ حُسْن الأعَاريـ   ـب بيانًا يجلو المعانى قصارا
هؤلاء العظام أعضاوه الغرّ   كرام يعنعنون الفخارا
فاز بالسبق كل أروع منهم   يتردَّى برد الجلَال وقارا
يا حِمى الخَالِدِينَ بُورِكْتَ فى العِـ   ـيد تُقَاوِى الأزْمان والأعْصارا
أنْتَ يا مجْمع الفضَائل قامو   س لآل يُوْلى الدرارى كبارا
لَحت فى منْكب الفَضَائل طودًا   يتحدَّى القُرُونَ والأدْهارا
قُمْ وحيِّ الخَمْسِين حافِلَة بُجـ   ـرا سجالًا فيَّاضة مدْرارا
إنَّ هذَا البيت الْمُعظَّم صرح   أنْجد القَول فى ثنَاه وغَارا
هذِهِ دارةُ البيان نَضِيرًا   هُو ذَا مُربّع الكلَام نضارا
ردَّد النَّشْرُ نَعْتَهُ أريحيا   والقَوافى تنَافست أبكَارا
هلْ ترانَا نَقُولُ إلَّا معادًا   ما أرانَا نَقُولُ إلَّا معارا

* * *

الدكتور حسين على محفوظ
عضو المجمع (من العراق)



معلقة المجمع

أنجوم هذى التى تترامى ... تتقرى براحتيها الرغاما
أم شموس تواضعت فى ثراه ... ضارعات خدود هن احتراما
عكس النيل فى صفاء سماها ... فألمت بمائه إلماما
واستحمت فى صفوه سابحات ... ناشرات فى شاطئيه الحماما
هل أضاعت فى تربه حاجبيها ... فتهادت تروم أمراً عقاما
أم هوت تنشد الطالع فى مصـ ... ـر بروجاً مشيدات عظاما
أم ترى راعها علاه فأحنت ... منكبيها تقبل الأقداما

* * *

هذه مصر حىّ مجمعها البا ... ذخ طورا يعانق الأهراما
هذه مصر حى فى ربعها الضا ... د شموخاً يطاول الأعلاما
والتمس هاهنا اللسان مبينا ... يتجلى فيه الفصيح إماما
يتثنى على الزمان اختيالا ... وتوطى له الدهارير هاما
ويلالى فى ذروة الكاهل الأعـ ... ـبل نوراً يحير الأوهاما
هى ذى مصر ألبس المجمع عطفيـ ... ـها جلالا وسربلته احتشاما

* * *

مصر يا مركز اللهاميم غراً ... والأساطين سادة قواما
مصر يا جنة الزمان بهيجا ... يا ربيعا يزين الأياما
(جنة تبعث الحياة وتجلو ... صدأ النفس رونقاً ونظاما)

* * *

يا عرانين مصر ياحلية الأد ... هر فياضة العباب عظاما
(قد نزلنا جواركم فحمدنا ... منكم الود والندى والذماما)
(وحللنا فى أرضكم فأصبنا ... منزلا مخصباً وأهلا كراما)
(وغشينا دياركم حيث شئنا ... فلقينا طلاقة وابتساما)
نسل الفاضلون من كل فج ... يرفعون التبجيل والإعظاما

* * *

هام فى النيل شاعر العرب الأكـ ـبر وجداً واختار مصر مقاما
قال فى أهلها (نعم أهل مصر أنتم خير أمة) لن تضامـا
ثم لفت عليـه أضلع مشتـا ق حنوا وأضمرته احـتراما

* * *

أنا يا مصر شاعر العـرب الشا نى وكم فى ليم فى هواه ولامـا
إننى شاعر العـراق سـبانى حسن مصر وزاد توقى ضراما
وطحابى هـواك يالغة الذكـ ـر وحسبى لسان قومى عظاما
شغفتنى حبـا مناقبـه الغر وعلقـت صـبوة وغراما

* * *

أنا ظل الرضى أنهـلنى الشعـ ـر صبيا وعلنيـه غـلامـا
أنا أروى مسلسل الضاد عن أهـ ـلى صحيحا معنعنا لا يسامى
علمتنى أمى البيـان بديعـا وأبى زقنى المعـانى كرامـا
روقـت لى هى الفصاحة درا وسقانى هو البلاغة جـاما

* * *

جادك الغيـث يابلاد أمون وسقاك الربيـع دارإمـامـا
(بلد يرحـل الأنام إليـه) جامع بين لابتيـه الأنامـا
فى أساريره انطـوى العالم الأكـ ـبر يهمى مداره سجـامـا
أمطرى ياكنانة الله عـزمـا وانثلى يا ابنـة العزيز سهامـا
وأعيذى العرباء من صـولة العا دى وعوذى بالضاد بيتا حراما
فنجـوم السماء تزداد وقـدا كلما اشتدت الليالى ظـلامـا
والسيوف الصقال تشتد لمعـا كلمـا ازدادت الحواء قتاما

* * *

هاهنا داوة البهـاء زهـير وابن هانى يرقرقان النظامـا
شاعر النيل قام فيهـا هـزارا يتغنى فـيرقص الأنغامـا
وأمـير الأشعار أحمد شوقى بقوافيـه أطرب الأيامـا
وهنـا الجـارم المفوه يختـا ل بليغا ويعتلى نظامـا
غرد عـلم الطيـور التغنى صادح علم الهديل الحمامـا

وأقام العقـــاد تستعذب الأبـ ـيات منه ويستجاد عصـــاما
رفـل النظم فى دمقس مبانيـــ ـه وأهدى نثر الدرارى كلاما
وجرى سابقاً أباظـــة يقضى لبيان المعنى البديع ذمامـــا
يتهادى وراء (قافلة النـــو ر) ضياء مشعشعـــا مسجامـــا
وحـــداه الخريف ظمآن تسا قط أوراقه ولاقى الحمامـــا
والصعيدى دبج الشعر إفصـــا حا وأعلى بسفره الآطامـــا
هـــذ داليـــة التحيـــة فى بغـ ـداد ينحو فى السرد نحو القدامى
والشبيبى حجـــة الأدب البـــا هر شيخ البيان ربعـــا قامـــا
ينتقى من جماهر الشـــعر ماطا ب ومن جيد النثير الفخـــامـــا
حيث جارى أبو زهـــير زهيرا بالقوافى يعتامهن اعتيا مـــا
واستطارت ملاءة الحضر لزا ا ـعذر فيها وعانقاها تـوأمـــا

* * *

هـــذه حلبة القصـــائد تزهى بفحول يدبجون الـــكلامـــا
جال فيهـــا البصير وابن خميس وأبو زاهر أديبـــاً همـــامـــا
تتفيـــأ ظلال أيامـــه الأشـــ ـعار رقراقـــة البيـــان وساما
ردد الطيب المرنم عنـــد النـــ ـيل أصداءه ، وحن هيامـــا
وتبدى مهلهـــلا شاعر الأهـ ـرام يعلو بشعره الأهـــراما
وأعاد الحســـين نهج الرضيـيـ ـن يضوعان كالشميم انسجاما
شادلى عمى الكميت القـــوافى وعبيد أبى أقام الدعامـــا
ونمتنى إلى وشـــاح جـــدود ركبوا غارب القريض سناما
فترعرعـــت ناشئا فى حمـــاه وتمشيت فى فنـــاه غلامـــا

* * *

قام فى المجمع المبجل سوق الشـ ـعر يحيى عكاظه الأيامـــا
وبدا المربد المجلجل فى مصـ ـر رواقاً أعظم به أن يسامى
تتبارى فوارس النظم فيـــه ويزين القصيدَ فيـــه الكلامـــا
وأشاد اللسان فيـــه ابن منظو ر أديبا مكرما عـــلامـــا
والزبيدى صاحب التـــاج قامو سا محيطاً أوعى اللغات تمامـــا
ملأ العين بالصحـــاح أساســـا فائقاً جـــاوز النهاية هامـــا

وتجلى ضوء المقاييس مصبـــا ... حا منيراً يمحو الدجى والظلاما
ها هنا معقل النفوس كبـارا ... ها هنا ندوة العقول عظامـا
كلما الأعجمى رام يقاوى الضـ ... ـاد أوهى قرناً وعاد حطامـا
وإذا طاول الفصيحة حوشـ ... ـى عشا فى شعاعها يترامى

* * *

عطرت أرض مصر بضعة طه ... وابن بنت النبى طابا مقـاما
عبقة المصطفى ومسحـة ياسيـ ... ـن يضوعان عزة واحتشامـا
هاهنـا نبعـة النبـوة كالرحـ ... ـمة ينهـل قطرها تسجامـا
تتمشى أنفاسهـا كالربيع الطـ ... ـلق يختال ضاحكاً بسامـا
حسد الطيب عرفهـا وفتيت الـ ... ـمسك فواحـه انتشى تماما
خلق الورد عاطراً من شذاها ... وسقى ريها الأريج البشامـا
تربة فاقـت الضراح علـوا ... واجتبت مفرق الثريا سناما

* * *

وثرى السـيد المطهر فى طنـ ... ـطا يبا هى به الصعيـد السماما
يتهاوى الفجـر المنير حفافيـ ... ـه وفيـه شذا الرسول أقامـا
حسـبه جـده نجـارا نضارا ... حسبه آلـه جدودا فخامـا

* * *

واستطالـت للشافعى قبـاب ... سامقات شم تجـير الغمامـا
أخـذ الصبح قبسة من سناها ... فتجـلى راد الضحى بساما
ظل يحنـو على الفصاحة أما ... وأنارت آراؤه الأحـكاما

* * *

شمخ الأزهر المجيـد رفيعـا ... يتحدى السنين والأعـوامـا
سجد الدهر فى رواقيـه عبدا ... وجثا عنده الزمان غلامـا
كبر الله ضـارعا ألف عام ... فعـلا شاهقـا وعز مرامـا
وتهاوى الإيوان فيـه ركوعا ... والأساطين سبحتـه قيـامـا
وتعالى التهليـل فيـه دهورا ... فانحنى فوقه الهـلال احتراما

* * *

واستطالت دار العلوم نديا   مشمخراً يبدد الأوهاما
حاول الدهر أن يغير عليه   فانثنى سيفه نخشيباً كهاما

* * *

وزهت بنت مصر جامعة العصر   هي الصبح يصدع الأظلاما
(سوف تفنى فى ساحتيها الليالى)   وتشيب الدهور والأياما

* * *

شاد هذا الرواق للضاد إبرا   هيم صرحاً ممردا وأقاما
رافعاً من قواعد البيت ما أسـ   ـس أسلا فه القروم القدامى
حجرات يطوف الفضل فيهـ   ـن وتسعى فيها الفهوم مداما
فكأن البيت العتيق حباها   كسوتيه فسحت أعظاما
وكأن المقام أهدى إليها   لمعات منه هزمن الظلاما
وكأن الركن اليمانى أولا   ها جلالا فأوسعته استلاما
بسطت كفها تشير إليه   وأكبت تبره إكراما
وتجلى نور الفصاحة وضا   ء مشعا فباركته التزاما
وتراءى فجر البلاغة سحرا   ينطق الفدم والعيى العياما
كلمات الرحمن عزت جلالا   وكلام النبى جل كلاما
فهو البحر لا يساجل ثجا   جايبل الصدى ويشفى الأواما
وهو الجم لا يحافل مسوا   را يهيل الجدا ويعطى الجماما

* * *

وعلى الفاضلين ضم جناحيـ   ـه صناديد صفوة أعلاما
نخبة فيهم الأديب أريبا   ينثر الدر واللآلى نظاما
والطبيب الآسى يناجى ابن سينا   ويميط الأمراض والأسقاما
والحكيم اللبيب يستلهم الكنـ   ـدى آراه ويأبى ذاما
ها هنا الراسخون فى كل علم   لازموا الدرس رحلة ومقاما
فرشوا المجمع المعلى نجوما   زاهرات وظللوه غماما
تخذوا من بلاغة القدم نهجا   عربيا وأصلتوه حساما
كلهم ها هنا أقام عزيزا   كلهم هاهنا عزيزا أقاما

* * *

شمخ المعجم الكبير كتابا ... يمطر المعجم الوسيط رهاما
وحوى المعجم الوجيز أفانيـ ... ـن من القول تؤنس الأفهاما
وتعالى مباركا معجم الألـ ... ـفاظ بحراد ثرا يروى الأواما
موعب يحتوى على كلمات الذ ... كر جلت حروفه لا يسامى

* * *

وضع المجمع البديع من الألـ ... ـفاظ رقت عذوبة وانسجاما
وألوف الألفاظ قد كشف المجـ ... ـمع عن وجهها الجميل اللثاما
وألوف الألفاظ عربها المجـ ... ـمع راحت تداعب الأقلاما
منهج قوم المقاول لكتا ... وهدى الناثرين والنظاما
وأجار البيان من جنف العجـ ... ـمة فازدان معرباً واستقاما
وأعاذ المنثور من عرة اللحـ ... ـن وصان المنظوم يزهى نظاما
(وساع لولا المحاباة منى) ... عا طرات كمثل نشر الخزامى
ذكرتنا مسعاة جد أبينا ... وأبى جدنا الرفيع دعاما

* * *

يالسان التنزيل بوركت وها ... جا تزيل الدجى وتردى القتاما
لغة الله والنبي وأهل الـ ... ـجنة المكرمين عز كلاما
يتجلى القرآن فيها سراجا ... مستطير السنا وبدرا تماما
والكتاب الحكيم ذو الذكر زخا ... را عبابا يرمى الرشاد ركاما
والكتاب المنير نزل بالحق ... عظيما مباركا مسجاما
والكتاب العزيز يسر للذكـ ... ـر ضياء ينور الأفهاما
والكتاب المبين أنزل نوراً ... وهدى جل نعته أن يراما
فيه تبيان كل شيء لسانا ... عربيا يحير الأوهاما
خشعت سجداً له الكتب إعظا ... ما وخرت لعزه استسلاما
مطلع أعجز الخلائق بدءا ... وختام أعيا البرايا ختاما

* * *

وحديث النبي معجزة الوحـ ... ـى بحور تطمو علت أن تعاما
تتصدى جوامع الكلم الثا ... قب فيها مثل النجوم اضطراما

هو ثاني الثقلين يأتلق النـو　ر حواليهما وينفي الظلامـا
أفصح الناطقين بالضـاد أمطى　لغـة الضاد غاربا وسناما
بيـد أني إلى ذراريه أنمى　وإلى آله بدورا تمـامـا
وبأبنـائه شرفـت فخـورا　وبأسباطه اعتصمـت اعتصاما
نجلتني عقائل من بنـات الـ　ـوحي تأبى مدى الدهور انجذاما
ورقـت بي إلى العواتك أنسا　ب تعاورن زمزما والمقامـا
نسب يرتقي العـلاء نضـار　ونجار يعـلو للذرى قـدامـا

* * *

١٥٠ — وتساميت أيها الكوكـب الدر　ي شمسا تشعشع الأيامـا
وسراجاً يعشو إلى ضوئه النا　س وتهفو إلى سناه ازدحامـا
(أيهـا الباهر العقول فما يد　رك وصفا ولا ينال مرامـا
سرح الليل مظلما وادلع الصبـ　ـح لسانا صلتا يقد الظلامـا

* * *

حي هذي الآكام صناجة المجـ　ـمع واهزج ورنم الأنغامـا
أنت مطراب سرحة النيـل فنوا　ء فطارح ورقاءها تهمامـا
وأغن بالقـول يا شاعر الأهـ　ـرام وانثر سحر البيـان نظاما
نحن في هذه الخميـلة خـلا　ن أدار الوفا علينـا جامـا
تستبينا ظباء وجرة حـورا　ونفدى في حاجيهـا الظلامـا
نحن سـيان يا خليلي في الوجـ　ـد ألافا سقى التشاكي مداما
ملكت حبنا ابنـة الضاد الفيـ　ـن وذبنـا شوقاً وتهنا هيامـا
فكلانا يشكو الغرام أسيراً　وكلانـا يشكو الأسار غراما
كلنـا هكذا جوشفه الحـب　ويفني مدلهـا مستهامـا
يابني عمنا الأفاضـل حيـوا　مجمع الخالدين عامـا فعامـا
واذكروا أمـة الفطاحل من قبـ　ـل أناخوا هنـا وزاروا لماما
والبهاليل عصبة الأدب الغضـ　وضيا يغري الدجى صمصاما
عمروا المجمـع المبجـل بالفضـ　ـل ومدوا على السماك دعاما
خدموا العـلم والمكارم والآ　داب والضاد والتراث اعتزاما
باهلوا الأبحر الطوامي وهم أغـ　ـدق منها طولا وأندى غماما
طاولوا الشمخ الرواسي وهم أر　فع منها ذرى وأعلى سنامـا

سابقوا الصافنات جردا وهم ... أوسع منها جريا وأرخى زماما
لفهم فى جـلاله عالم الصمـ ... ـت وباتوا فى بردتيه نيـاما
واستحبوا وادى السكوت وقدكا ... نوا قديماً يفجـرون الكلاما
سبقونا إلى الحقيقـة والحـق ... كراما وغادرونا كرامـا
رضى الله عنهم ورضوا عنـ ... ـه ولقـاهم النعيم مقامـا

* * *

أهذا الوادى الملفـع بالـرحـ ... ـمة يرعى للراحلين ذمامـا
جادك الغيث كلما ذرت الشمـ ... ـس وأرخى على رياك الغمامـا
وهمى هاطـلا ملـث العزالى ... يغمر السهل متنـه والآكاما
ويروى ثرى محمـد توفيـ ... ـق عـلا رفعـة وجل مقاما
ويغادى مزار أحمـد لطـفى ... سيدا بارزا وفحـلا همامـا
وينـدى ضريح طه حسـين ... عبقرياً كم قـارع الأيامـا
نضر الله وجـه كرد عـلى ... والشبيبى شـاعرا عـلامـا
والفحول القروم من (شيخة الضا ... د) مصاليت قـادة أعـلامـا
رحم الله (عصـبة الخير للفصـ ... ـحى) جميعاً ما روحتها النعامى

* * *

وسـلام عليـكم أيهـا الأخـ ... ـوة ترعون للفصيح ذمامـا
كلكم فاضـل خبـير بصير ... ملكته شمس العـلوم زمامـا
أوتى العزم والفصاحـة والحكـ ... ـمة والعقـل والنهى قواما
هنىء المجمـع المبـارك بالخمـ ... ـسين با هى بعيدها الأيامـا

* * *

هنىء المجمـع المجيـد بكم طو ... دا وهنئتم بـه أعـلامـا
مثل طيب الحبيب يأرج عرفا ... ونسيم الصبا وريح الخزامى
يتعـالى ويستطير سـناه ... وينـير الدهـور والأعواما
هن أعضاءه الكواكب كالشمـ ... ـس (تميط الدجى وتجلى القتاما)
وبنى عمنـا ذوائب عـدنا ... ن وقحطان حيثما الضاد قامـا
كل دار فيهـا العروبة دارى ... لست أرضى أنا سواها مقاما

* * *

حى فى الشام من عمـرو متنا البيـ   ـض عرانين يعتزون كرامـا
أسسو المجمع المخـلد ربعـا   شاهقا جاوز الثريا مقـاما
ظل يسقى عذب المعانى فراتا   سائغاً رائقاً ويهمى سجامـا
واستنارت بجلق مقالـة الدهـ   ـر وضاءت بروقهـا من شاما
أنا أفدى بحاجب الشمس مصرا   وبجاه البـدر المنير الشامـا

* * *

وسقالة الربيـع ياروضة الأر   دن جوداً يدر غزرا ركاما
راعنا دوحـة البهيج نضيرا   وطعمنا ريا شذاه مـدامـا
وارتقى فى عمان مجمعها العـا   مر أعلى الذرى وهـز سناما
جبـل تطمح الرواسى إليـه   شامخات الشعاف يقرى الغماما
وتلألأ يشع مجمـع آل الـ   ـبيت ينفى عن الوجـود الظلاما
يتقرى التراث فى كل واد   ويبـاهى بأخشبيـه لكامـا

* * *

وتراءت جبـال لبنـان عصما   شاهقات فذكرتنا شمامـا
مربع لقن الجمـال رواه   وسقاه تفاح لبنـان جامـا
دار أهـلى محجلـين وأعما   مى فحولا أكرم بهـم أعماما
عمروا الفضـل فى ذراها قرونا   وأقاموا فى روقهـا أعـلاما
زينت عاطل الزمـان حلاهم   وأعزوا السيوف والأقـلامـا
وتجلى الصباح فى المغرب المشـ   ـرق بادرا تما يشق الظـلاما
تتمشى فيه المعالى طوالا   وتلوح العلياء فيه سناما
وعلى العلم زرت الأكاذمـ   ـيه تنضو فى الغرب عنه اللثاما
أسفر الصبح فى مطالعها الغر   يروع الدجى ويورى الهاما

* * *

ورياض الجنات فى تونس الخضـ   ـراء طابت أرائحـا ونساما
يستعير الربيـع فوح شـذاها   وأريج الأنفاس منها الخزامى

* * *

وطرابلس جبهة الدهر وضا حا تزف العلاء للعزلاما
ظل فيها المختار يختال رمزا عبقريا يوهى الخميس الاها ما

* * *

شمخت ساحة الجزائر تروى قصص المجد فذها والتوأما
تخذت منكب النجوم مقاما وترقت إلى الذرى تتسامى

* * *

ومغانى السودان علمت الكحـ ل عيون المها فهمن وهـاما
خلع الليل حلتيه عليها وسقى الصبح ثغرها بساما

* * *

وموريتانية المقرطقة السمـ راء تجلو قشيبها الأظلاما
ورثت عاليا بها مجد شنقيـ ط وحامت على الجمال وحاما

* * *

وارتيريـة لواحـظ عينيـ ها ملئن السحر الحلال مداما
شاق زنجى ليلها الصبح فافتر سنـا برقه يضئ ابتسامـا

* * *

رفلت فى مطارف الوشى جيبو تى ودار السلام فاضت سلاما
أخذ البرق من ضحاها سناه وروى المسك عن دجاها الظلاما
ويفاع الأقيال فى اليمن المخـ صب لاحت آثارها أطاما
ذكرتنا دياراً سنمة العـز ة فى ربعها طوالا جساما
يتراءى الفخار فى بطن واديـ ها وأعلى بقاعها أعلاما
(تلك آثارنا تدل علينا) ونباهى بشمها الأقوامـا

* * *

وكويت الخليج طرزت السا حـل وردا وفوفته بشاما
وقفت مثل غرة الصبح يحكى وجهها طلعة الحبيب ابتساما

* * *

ولآلىء البحرين حالية السمـ ط تزين الظباء والآراما
خلعت صفوها على البحر رهوا فصفا ماؤه وجـاد الغماما
وأول الفخار والمجد كم من أمة أخرجت أوال عظاما

* * *

وعمان الراسي علا الجبل الأخـ ضر طودا نال الثريا هاما
ناوحت شمه جبال سرنـديـ ب فأمطـرن لؤلؤا معتاما

* * *

والأمارات أنهن عذارى الـ بحر حلم يراود الأحلاما
لقنت غنها الطيور صداها وحبت ريمها الظباء البغاما

* * *

قطر كالجمان قطر نداها يقت يورث البياض الثغاما
قانت الشمس لونها الساحر الزا هر مثل الشراب يغرى الندامى

* * *

والعراق العظيم منبت آبـا ئى وقومى غلبا سراة عظاما
مجمع الكوفتين منتجع الأمـ ة مرتاد شمها فمقامـا
إنها (الدار ما ترام امتناعـا من عدو) ولاتسام اهتضاما
روقت للصديق عذبا هنيئا وأمرت للمعتدين سمامـا
هى أم البلاد مبتدأ التا ريخ تسمو بداية وختامـا
تلك دارى بغداد سيدة الدنـ يا تربى منتاجها الأعلامـا
ومناط الرجـا (وأول أرض مس جلدى ترابها) إكراما

* * *

وفلسطين ملتقى الصحف الأو لى تناجى النجوم فيها الرضا ما
منزل الوحى موضع المسجد الأقـ صى ومرقى النبي جل مقاما

* * *

وتجلت جزيرة العرب الشمـ اء فى بطن مكة تتسامى
واستطالت أم القرى مهبط الوحـ ى تشع الذكر الحكيم جماما

بزغت فى قرارة الأرض شمسا   وثنت دارة الهـلال حزاما
بسمل الأنبياء فى سرة الأر   ض فقام البيت العتيق حرامـا
واستدارت من فوقه القبة الزر   قاء عينا ترنو إليه دوامـا
وانحنت فوقه السماوات تقديـ   سا وخرت جباهها إعظاما

* * *

شرفت هجرة النبى ثرى طا   به طابت مهاجرا ومقاما
حسدت تربها السماوات عليا   ء وساوى النضار فيها الرجاما
تخذت من ذؤابة الشمس فرقا   ومن النجم سجـدا أقدامـا
واستحال الصعيد فيها جمانا   وتلالا التراب فيها ساما
واستجارت بقبره القبة الخض   راء تحنى هاما وترفع هاما
ودنا فى علوه قاب قوسيـ   ن وجاز السبع الطباق مقاما
وتدلى فى حضرة القدس صديـ   قا نبيا برا وخاف مقاما
وأتاه اليقين وانشرح الصد   ر وبث الإيمان والإسلامـا
وحد الله والرسالات والأمـ   ة فردا ونكس الأصناما
سيد الرسل مستجار النبييـ   ن منار الهدى الرفيع دعاما
بلغ المنتهى من المجد والشأ   ن وصلى الورى عليه احتراما
هو مجد أمنع به أن يضاما   هو فخر أعظم به أن يراما
تستعير السماء منـه قباهـا   ويلف الأفق المبين لفامـا
عارضا بى مفديا ركب نجد   واستملا عراره والبشاما
واكتبا ذلك الحديث بدمعى   وارويا عنى الدموع سجاما
وأعيدا ذكر الجزيرة معطا   را يزيد الشوق الملح ضراما
دار قومى ومربع الصحب والأهـ   ل يضم الأخوال والأعماما
أبلغا نخلة الأبيرق شوقى   وانثرا أدمعى عليها سلاما

* * *

وتذكرت والحديث شجون   وكلام الصفا يجر الكلاما
رب قوم تغافل العصر عنه   وجفته الأيام سحلا رهاما
وتناسى الزمان عيلمه الطا   مى وأرخت عنه العيون قراما

وهمام يفجر الفضل ينبو   عا وتحدى جدا يديه الغماما
نسيته مرابع الفضل غيدا   قا فألقى السنى عليه ركاما
غفلت عنه أعين الناس وضا   حا فأرخى الدجى عليه ظلاما
ليس عجبا فالعين لاتبصر الأخ   رى على قرب هذه وهذى مقاما

* * *

رب بحر غادرته أنت دثرا   وسحاب أغفلته مسجامـــا
وسناء تركته مستطيـرا   وعلاء جنفت عنه سنامـــا
وعليم جانبته لوذعـــا   وتجافيت عنه فحلا همامـــا
وتجاهلته سراجـــا منيرا   وتباعدت منه بدرا تمامـــا

* * *

ذكرتني هذى الخليل الفراهيـ   ـــدى بحراً غطامطا هلقامـــا
فجر الفضل والزكانة والفط   نة والعقل ألمعيا همامـــا
ترك العين مبصرا ولم تره الأع   ين إلاميتا يعب الحمامـــا
تحجب الشمس بالقتير ويخشى الـ   بدر تمـــا على سنـــاه الرغاما
ويزن البحر المحيـــط أجاجا   وهو يعطى العذب الفرات الغماما
يحمد الصارم الصقيل وقد يغ   مد عضبا ، ولا يسل هذامـــا
ويعاف الخطى لدنا وقد كا   ن يعير السمر الطوال قواما
إنما تكسف الشموس كبارا   إنما تخسف البدور تمامـــا

* * *

ونسينا عين الخليل فغاضت   ثم فاضت فوارة لن تراما
ثم نحنا على الخليل وقلنا :   عبقرى مضى وكان إمامـــا
وبكينا فسال بالدمع واد   كان يرجو لو نال منه ثماما
كم طوينا عن مثلها ذاك كشحا   وتركناه يستطيب الزؤامـــا
وسد لنا دون المنجد ثوبـــا   وهجرناه فاستحال ذمامـــا
عد عن ذا فالشمس تحجبها الأصـ   ـبع مهزولة وتخفى لمامـــا

* * *

لو أطلنا المقال فى لغة الضا د يد الدهر مابلغنا المرامـــا
طاب فى نعتها الكلام افتتاحا عبقا ذاكيا وطاب اختتامـــا
فاسلمى ثمت اسلمى أيها الدا ر وتيهى على الزمان دوامـــا
وتفرع ياأيها المجمع البـــا هر مجدا قدامسا قد امـــا
واستنيرى من مقبس المجد يامص ر فخـــارا يطاول الأيقاما
واعتلى أمة العروبة لافضـ لك الدهر ما اجتمعت نظامـــا

* * *

أمة العرب جبهة الحسب العد تعالت مفـــارقا ولمامـــا
وجبين التأريخ أبيض وضا ح الأسارير معرقا قدامـــا
ولباب الأقوام ليس كمثل الـ عرب شعب يباهل الأقواما
جمع الناس يستظلون بالألـ فة بندا مرفوفا قوامـــا
وتجلى الإنسان فى شرعة التو حيد شيئا مقدسا وكرامـــا
هو بنيانه تعالى على الأر ض وحسب الإنسان هذا مقاما
من يعظم بناه يلق سلامـــا من يهدم بناه يلق أثامـــا

* * *

وتسامى طلاعة يابلاد الـ عرب لاتاركين قط اعتزاما
هل تباهى الشعوب عـــلاء هل تضاهى أم البلاد مقامـــا
هل تساوى أم الكتاب افتتاحا هل توازى أم الكتاب اختتامـــا

الدكتور حسين على محفوظ
عضو المجمع من العراق